الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية بعنوان:

قيم الفكر الحضاري الجزائري في العصر الحديث "الأمير عبد القادر أنموذجا"

إعداد الطالبة:

رابح مليكة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد دكار

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د أحمد دكار	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د. بن عزة عبد القادر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د.بن مصطفى دريس	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا
د.حيفري نوال	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د . خالدي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1438/1437هـ الموافق 2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل....

إلى أساتذتي الذين درسوني.

إلى زملائي الذين رافقوني في دراستي.

إلى زملائي الذين يعملون معي.

إلى عائلتي التي علمتني.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والامتنان إلى المحترم السيد:

المشرف الأستاذ الدكتور أحمد دكار

وأتوجه بعظيم الشكر إلى السادة:

الأساتذة الأفاضل المناقشين على عناء قراءة هذا البحث وتصويبه.

مقدمـــــــــــة

مقدمـــــة:

لا شك في أن المتتبع للحياة العلمية والأدبية والأوساط الجامعية، يدرك تماما دور النشاط الفكري في ترقية مستوى حاملي الشهادات؛ إذ يحملنا ذلك النشاط على دفع عجلة النهضة وفق أسس ومناهج مدروسة.

لا بد من تنشيط الفكر وفتح مجال التواصل، لذلك تُنظم ملتقيات وطنية ودولية في الجامعة ولكذا التظاهرات الثقافية، والمنتديات؛ وكل ذلك من أجل فتح المجال للالتقاء، والتحاور، وتبادل الأفكار . فنخطو قدما نحو حل مشكلة الحضارة.

إنّ الاطلاع على التاريخ الحافل بالأحداث، وتتبع مسيرة الرواد والمفكرين المليئة بالتجارب والأخبار والمحن ، يحدث انتعاشا في فكر الفرد شيئا فشيئا . ومقارنة بالتراجع وحالة التخاذل بين المعنيين بصناعة الحضارة، وهو من أولوياتنا نحن بالدرجة الأولى قبل غيرنا. لأجل ذلك وغيره اخترت هذا العنوان:

" **قيم الفكر الحضاري الجزائري في العصر الحديث** " وأدرجت مقتطفات من مسيرة البناء الحضاري للأمير عبد القادر كأنموذج لاكتشاف التاريخ الفكري ؛ في فترة تميزت بالصراع الفكري والحركات التحررية والاستقلال.

إنّ دراسة الفكر الحضاري في المجتمع العربي عامة والجزائر خاصة من أولويات كل باحث عربي للمساهمة في استرجاع مجد الدولة العربية الإسلامية السليم، وإبعاد كل ما ألصق بها من إهانة، وتحليل أسباب سقوطها. قام الباحثون بالدراسات، انطلقوا من آراء الأولين فسار البحث بدء من واضع للمقدمة إلى راسم للنهضة. وكان ذلك بالتحليل والتدارس؛ لإظهار القيمة الكبيرة للحضارة العربية الإسلامية وفكرها، ثم تابعهم آخرون همهم تخليد هذه الأعمال، والاحتفاء بها، ومحاولة للإضافة.

ومساهمتنا احتفاء ومحاولة للكشف عن التناقضات الحاصلة بين النظرية وتطبيقها، وحلّ المشاكل التي تمس الجوانب المحيطة بالإنسان العربي المسلم(الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية الحضارية...)، وما حصل له خاصة وقد شهد له بالمكانة، والسلطة في فترات مضت، هذا كله يجعلنا نرصد المظاهر والوسائل التي وقف عليها بغية استعادة مكانته، والخروج من دائرة الصراع الفكري متفوقا، وقابلا للتحضر، ولعل ما يثير اهتمامنا أكثر هو الولوج إلى منظومة القيم التي أثمرت فكرا متميزا، ولازالت القاعدة الأساسية للعمل والتطور من جهة، ومن جهة أخرى اعتبرها الباحثون لغزا محفزا للارتقاء

فنجدهم يبحثون، وينقبون عن السّر الفكري الذي رفع أمة نامية إلى مصاف الدول المتقدمة . سمح ذلك لها بكسر القيود، والانفلات من أنياب الجهل والظلم ثم رسم طريقها نحو النهضة، وأيضا لتبيين مدى تأثير الفكر الجزائري والصدى الذي أحدثه في العالم العربي والغربي، عبر عالمية الشخصيات الجزائرية؛ التي وضعت خطوط النهضة الحديثة في مختلف المجالات. وهذا مازال إلى يومنا فضاء للبحث والتنقيب لاكتشاف كل خفي وغامض.

وقد طرحت الاشكالية التالية:

فيم تمثلت قيم الفكر الحضاري الجزائري؟ وما أثرها في الحضارة الإسلامية ؟ وفيم تمثلت عند الأمير عبد القادر الجزائري؟

من بين المراجع التي اعتمدت عليها "الموجز في تاريخ الجزائر" ليحي بوعزيز، و"تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله؛ لإبراز محددات الأرضية الجزائرية على مستوى مختلف الأصعدة، التي سنحت لها ببداية نهضتها، بالإضافة إلى "أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس" لمحمد بن سمينة و"ابن باديس وعروبة الجزائر" لمحمد الميلي، و"تاريخ الصحافة العربية" لمفدي زكريا للكشف عن نهضة الجزائر ومسارها نحو الحضارة على يد أبطال خلدت أسماؤهم خلال فترات متعاقبة أما الفصل الثالث فقد جمع مجموعة من الكتب التي اهتمت بالأمير عبد القادر وريادته في الفكر والأدب أهمها " الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا" لفؤاد صالح السيد "الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها على أدبه" لمحمد السيد علي الوزير، و"رموز من عمق الجزائر" ليحي يحياتن، وغيرها كثير تمثل صورة هذا الفكر.

وقد اتبعت المنهج المتكامل في البحث، لأن طبيعة الموضوع وتحولاته هما اللذان فرضا إتباع ذلك من قراءة نصوص المراجع المدعمة لآرائنا وشرحنا، قصد التحليل والوصف.

من الأهداف الرئيسة للبحث ؛ بيان وجود قيم للفكر الجزائري، كشفت عن أسماء لا زالت ترن في الأفق، وعابرة للزمن، وعلى أساسها بُنيت هياكل وسياسات، وخلدت أفكار جوهرية سواء في استقراء طبيعة الوضع العربي بعد الاستعمار الحديث، أو طرح إشكاليات الحضارة والثقافة تحليلا وبناء للنظريات، وإثباتا للكثيرين قوة الأمة الجزائرية فكريا وحضاريا.

وقد اتبعت خطة بحث مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول راجية أن أحقق بها الأهداف المقصودة، فافتتحتها بمقدمة شرحت فيها موضوع بحثي وكل جوانبه، ثم مدخل أردت فيه إبراز أحد

ركائز الوجود، ألا وهي الهوية وعلاقتها بالتفكير سواء كان ثقافيا أو سياسيا أو بفكرة العولمة لأستطيع أن أدرج في الفصل الأول مبحثين أولهما حول هُوية الجزائر عبر تاريخها في فترات قديمة وصولا إلى العصر الحديث، والثاني تطرقت فيه إلى مفهوم القيم والفكر والحضارة والتي ارتبطت بهذه الدولة وفق ما أُفرد في المعاجم والكتب. وانتقلت إلى الفصل الثاني الذي احتوى على ثلاثة مباحث خصصت الأول لعرض الفكر الحضاري في الجزائر في فترتها الحديثة إبان الاستعمار الفرنسي، حيث تطرقت إلى حركية النهضة وروادها، واخترت ابن باديس والبشير الإبراهيمي، ومالك بن نبي،ثم أفردت في المبحث الثاني دور الصحافة ضمن فترتين وختمت الفصل بالثالث الذي أدرجت فيه مادة الصحافة وناطق الأمة الأدب الجزائري الحديث. أما الفصل الثالث فقد خصصته لقراءة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، وأهم القيم التي انبثقت عن فكره الرائد؛ إذ تضمن ثلاثة مباحث افتتحت بالأول المعنون بآثار الأمير عبد القادر، أما الثاني فكان مخصصا لمشروع الأمير في بناء الدولة الجزائرية، ثم الثالث الذي تناولت فيه الأمير في عالم القيم التي أفرزها فكر الأمير عبد القادر. لكل بحث خاتمة، وهي خلاصة واستنتاج لأهم النقاط، التي هي تتويج لهذا البحث البسيط.

والكلمة الأخيرة حول هذا البحث الذي هو خطوة من خطوات بحث، ومحاولة تلت محاولات أخرى، أو خطوة وسط أبحاث سابقة لإغراء المهتمين حول زخم الفكر الجزائري وقوته وروادهكالأمير عبد القادر الجزائري الذي لازالت حياته، ومؤلفاته يعتريها الغموض؛ ولأنني فقط طرحت الموضوع بعد عدة دراسات سابقة. ولم يسعفني الحظ للبحث فيه بشكل موسع؛ لأن مادته حساسة تحتاج إلى الانتقال إلى عدة بلدان عربية وغير عربية، ولم أرد أن أنقل كل الأحداث التاريخية بتفاصيلها؛ بل أدرجت فقط أضواء حول مراكز الفكر ومجالاته.

ارتأيت أن أسوق كلمة شكر لكل من ساعدني في الولوج إلى هذا الموضوع، وإتباع خطوات ثابتة لطرح هذه القضية ألا وهي قضية الفكر الحضاري في الجزائر، وكذا على كل نصائحهم أخص بالذكر السيد المشرف.

تلمسان في 2016/08/15

المدخـــــــــل

1 – مفهوم الهـوية.

2 – الهـوية والتفكير.

3 – الهـوية والعولمة.

المدخل:الهوية والتفكير

قطع مفهوم الهوية حقولا معرفية كثيرة، ولهذا تعددت معانيه، فحاولنا أن نحدد بعضها من أجل الشروع في تحليل الأبعاد التي بني عليها بحثنا.

1 . مفهوم الهوية

يعتبر مفهوم الهُوية في المعاجم المتنوعة الغائب الحاضر، بحكم أنّه مرتبط بالتعريف الاصطلاحي أكثر من التعريف المعجمي.

"الهوية ناصية الدلالة اللغوية، هي كلمة مركبة من ضمير الغائب مضاف إليه ياء النسبة في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، فالهوية هي اسم الكيان و الوجود على حالة؛ أي وجود شخص أو شعب أو أمة"....[1]

"وتنطوي الهوية على تقابل ثنائي يفترق فيه مبناها و معناها؛ فمبناها مبنى المصدر الصناعي من "هو" فهي بذلك مُعادل ما "هو" أو"كينونة الآخر" ، أما معناها ما "أنا "أو كينونة الذات" والهوية تستعلي لتبيّن الذات في مواجهة الآخر"...[2]

تعتبر الهوية من خلال التعريفات السابقة هي ذات الإنسان وما تميزه من صفات، تجعل منه شخصا يختلف عن الآخر، أو الوجود سواء كان فرديا معبرا عنه بالفرد أو عن طريق الجماعة من قبل الشعب أو الأمة.

وهناك من اصطلح عليه بقوله:

أ ـ "مفهوم الهُوية حديث ظل في مفترق الطرق بين علم النفس، وعلم الاجتماع وميدان الأنتربولوجيا ولم يلق الاهتمام إلا مع مطلع السبعينات. فهي تكتسي المعنى القديم للوحدة

[1]: الهوية الدينية والنخبة السياسية في الجزائر، حزب جبهة التحرير أنموذجا، حسن عالي، ماجستير في علوم التربية، معهد علم النفس، الجزائر 1996ص32.
[2]: اللغة العربية في العصر الحديث، نهاد الموسى، دار الشروق الأردن، ط1 2007 ص 58.

الكلية ولنفس الوحدة و للشعور بالأنا وللتقييم الذاتي، وهذا الشعور هو الاستمرارية في الزمان و المكان"....[1]

ب ـ "ويشير الجرجاني بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق. الهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لاشيء".....[2]

يتضح لنا مما سبق أنّ الهوية هي الوحدة في النفس والشعور بأنّ أنا هو أنا، وهي مجموعة الحقائق، التي تعطي صفات الأصل ووجوده بدون شرط، وهي الوحدة الكلية، ووحدة الأنا سواء تغير المكان أو الزمان.

✓ **فلسفيا:**

يشير جميل صليبا فيما يخص حقيقة مصطلح الهوية قائلا:" اسم ليس عربيا، وإنّما اضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرب الرباط أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره. يدل على " هو" في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان (حسب تفسير ابن رشد)"...[3]

وقال أيضا: " إنّ الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود، لكنها التي تدل على ذات الشيء غير التي تدل على الصادق. واستعان بقول الفارابي بهوية الشيء وعينيه وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا أنّه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له لا يقع فيه اشتراك"....[4]

يظهر الفيلسوف فيما سبق أن للهوية عند القدماء عدّة معان، وهي الشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي، قالوا الشيء هو؛ هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة، وذات وباعتبار تشخصه يسمى هوية؛ فالشخص هو ذاته وعينه حتى ولو انهار العالم الخارجي.

---

[1]: الهوية و العولمة، محمد مسلم، دار الغرب، وهران ص4.
[2]: التعريفات ، الجرجاني، باب الهاء، عن شبكة المشكاة الإسلامية ص 188
[3]: المعجم الفلسفي، جميل صليبا،ج2 دار الكتاب العالمي لبنان، 1994، ص 529.
[4]: المرجع نفسه ، ص530.

وتطلق الهوية على الشخص(أو على الموجود المشبه بالشخص) إذا ظل هذا الشخص ذات واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده ، ومن قولنا هوية الأنا هوية الفاعل وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية.

وورد أيضا "الهوية صفة موضوعين من موضوعات الفكر إذا كانا رغم اختلافهما في الزمان والمكان المتشابهين في كيفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالنوعية أو الكيفية. ومن ذلك فإنّ فلسفة الهوية هي وحدة الطبيعة والفكر، ووحدة المثل الأعلى والواقع" ....[1]

ويتطرق الفيلسوف إلى مشتقات الهوية:" ومن مشتقات الهوية أولا التناقض فهو القول إنّ الشيء الواحد لا يكون موجودا ومعدوما معا. وثانيا مبدأ الثالث المرفوع وهو القول بأنّ القضيتين المتناقضتين لا تصدقان ولا تكذبان معا. وشروط الضرورة المنطقية، التي تعبر عنها مبدأ الهوية(وهو مبدأ من مبادئ العقل).

- ← أن يكون المعنى المتصور محددا وثابتا ، فلا يتغير بحال.
- ← أن يكون الحقّ حقا والباطل باطلا دائما وفي مختلف الأحوال فلا يتغيران بتغير الزمان والمكان.
- ← أن يكون الموجود بالحقيقة هو عين ذاته، فلا يتغير ولا يختلط به غيره، وهذا لا يصدق في الحقيقة إلا على الموجود المثالي؛ الذي يتجه إليه العقل دون التمكن من تحقيقه تحقيقا كاملا".....[2]

واقع الأمر يتبيّن لنا أن تلك المعطيات لا تتوقف مطلقا عند الوجود والدليل على ذلك عودة ظهورها لنا بنفس طبيعتها، إذن لابد أن يوجد شيء مادي جوهري يكمن وراء المعطيات الموجودة؛ التي تحدد وحدات تخص الأحوال الظاهرية وتبدو في اللون والشكل، والصوت، والطول ووحدات جسمية باطنية؛ وهي تمثل التركيب الذري؛ والتي تصبُّ في هوية الشخص هو. والهوية

[1]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 531.
[2]: المصدر نفسه، ص532.

الشخصية تظهر من خلال إضافة بطاقة إلى الهوية وهي نعث إلى الشخصية؛ فكانت بطاقة الهوية؛ التي تعبر عن اسم الشخص وجنسيته وصفاته، وزمرته، وعمله؛ فهنا تعبر عن الشخص هو هو، مهما طرأ عليه من تغيرات. تميزت الهوية أيضا بالانفراد بالوجه الواحد، فهي لا تحتمل التناقض؛ إذ يحكمها العقل بثبوتها.

- ✓ **في علم النفس:**

الهوية وحدة الأنا (الذات) وأساسها ، فهوية الأنا تعني ذلك الإحساس الأنوي بأنّي أنا هو أنا في كافة الأحوال والأزمنة ؛ وهي في الآن نفسه ما تميز به الأنا عن غيرها من الأنوات.

تعبر الهوية كمبدأ فلسفي عن ضرورة منطقية بعينها، تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه، فهو عين ذاته كما تقول الفلسفة وهذا ما عرفناه سابقا.مثلما جاء في معجم علم النفس "مبدأ الهوية الشخص هو هو مهما اعتراه من تغيرات؛ الأمر الذي يشير إلى أهمية إدراك العمليات اللاشعورية والتسليم بها"..... [1] ذلك أن الإنسان إنما هو هو بمجمل شعوره ولا شعوره؛ أي أنّ اللاشعور يلعب دورا أساسيا في نشأة الهوية بقدر ما يطور معناها ذلك الأنا."فصور والديه الروابط الانفعالية عبر مراحل التنشئة بقدر ما تدعم الهوية وتسهم بذاتها في تطور الأنا إلا أن الأمر الذي تقوم عليه نشأة الهوية، والتي اعتبرها "أريكسون" حجر زاوية في تطور الإنية التي تبلغ تمام تطورها في مرحلة المراهقة بوصفها " الأنا" عبر الآخر ومن هنا كانت المراهقة ميلادا جديدا تحاول الهوية أن يكتسب فيها دورها الاستقلالي ليكون تمام الاكتمال أنا هو أنا ولست أنا عبر والدي والآخرين"..... [2]

يمكن القول إنّ الهوية باعتبارها جملة معايير شعور داخلي يتعدد إلى الإحساس بالانسجام وبالانتماء، وبالقيمة، وبالاستقلال، وبالثقة. مجموعة من المميزات المنظمة حول إرادة التواجد، يحس الفرد من خلالها بأنّه موجود كإنسان له مجموعة من الوظائف، التي تجعله مقبولا

[1]: مجموعة من المؤلفين، معجم علم النفس و التحليل النفسي ، إشراف فرج عبد القادر طه ،دار النهضة العربية، لبنان ط1 ص479.

[2]: المصدر نفسه، ص480.

ومعترفا به من قبل الآخرين، أو حتى من جماعته والثقافة التي ينتمي إليها، ومن جانب آخر نجد الهوية تعتمد على العلاقات والروابط الأسرية؛ لأنّه لا يستطيع تصور نفسه بمعزل عن الآخرين. فالصورة تتشكل بواسطة جملة من المعارف التي تتعلق بالإنسان، أو بالمجتمع ذاته. وهذه المعارف حول الذات تكون مصدر الشعور بالهوية ومن ذلك يجعل الفرد لنفسه خصوصيات تميزه عن الباقي ؛ فلكل شخص أو مجتمع أو أمة هويته.

✓ **ثقافيا:**

للجابري أيضا آراء حول الهوية بقوله :"..إلى أنّ الهوية هي التي تؤسسها لغة واحدة و تراث مشترك، تعبر عن حضارة وتاريخ ، ومشروع كيان واحد" ..... [1]. وأضاف نتيجة دراسته أ ن "الهوية تتشكل وتصير عند العرب نحو الوحدة الثقافية القائمة على الاقتصادية والسياسية. ردا على العدوان الأجنبي وفي أوقات الأزمات ولا يتناقض في انعدامها؛ مبيّنا أن النزوع ليس شيئا آخر سوى التعبير الإيجابي عن ذلك الشعور، خارج أوقات الأزمات، وهل الهوية شيء آخر غير رد الفعل ضد " الآخر" ونزوع حالم لتأكيد " الأنا" بصورة أقوى وأرحب".....[2]

وعن حماية الهوية يقول:"كانت الثنائية (العروبة والإسلام) على مستوى الأداة التي ينبغي تحريكها للدفاع عن الهوية في الوطن الواحد جاء كرد فعل مزدوجا إسلاميا ضد التنصير والتبشير وعربيا ضد السياسة البربرية فكانت بذلك العروبة و الإسلام يحيلان إلى شيء واحد هو الهوية الوطنية".....[3]

"اللغة علمُ الهوية ورمز الذات القومية في إعلان " وجود" ينكره الآخر ، يظهر في قول محمود درويش: سجِّل أنا عربيٌّ، قد تحيل عند بعض المفكرين إلى القومية العربية"...[4].

[1]: مسألة الهوية العروبة والإسلام... والغرب، محمد عابد الجابري،مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 لبنان 1997 ص11.
[2]: المرجع نفسه، ص 17.
[3]: المرجع نفسه ،ص 42.
[4]: اللغة العربية في العصر الحديث، نهاد الموسى ص58.

ترتبط الهوية هنا بالخصوصية الثقافية بالنسبة للمجتمع العربي الإسلامي، فالفرد يكتسب القيم والمعايير الثابتة عبر تلك الثقافة. فيرتب ما يتلقاه من معارف ومعلومات بشكل أوسع كما أن النظرة إلى الحياة تحددها هويته مما تحقق من تلك الثقافة؛ والتي تشكل المرجعية من خلال التمسك بالعروبة كلحمة والإسلام من جهة واللغة والوطن من جهة أخرى للتأكيد على الأنا الموجود والواحد وتحقيق الإرادة السياسية عندما تواجه ما يهدد هذه المرجعية بصورة أقوى وأمتن.فما هي الهوية السياسية؟

- ✓ **سياسيا:**

لاشك أنّ الهوية السياسية تؤدي دورا ملحوظا في الحياة السياسية، فإنّه يستجيب لبحث يقضي بترسيخ المواطنين في التماسك والاستمرار والاستقرار، وتحقيق الأمن.

يهدف مفهوم الهوية إلى التأكيد على شيء مشترك بين الأفراد وإلى إبعاد الخلفية التي تفرق بين هؤلاء الأفراد بشكل ملموس.كما يشار إلية في المعجم "ولا تكون الهوية السياسية أكانت هوية وطنية أو ولاء حزبيا إلا من خلال العمل المستمر في بناء صور تصوغها المجموعة المعينة وتتسبب بها المجموعات الخارجية فالمواطن أيا كان وطنه فهو موجود بفضل الصور التي تلقاها عبر المشاركة لاسيما في المدرسة و مشهد الحياة السياسية، إلا أن هذه الصور التي يتخذها المواطن عن نفسه تتوقف جزئيا على الصور التي تعطيها عنه الدول المجاورة المعادية والصديقة. ويعني الانتماء اليساري أن يحدد المرء نفسه ولكنه يعني كذلك أن يحدد الآخرون على أنه مرتبط بقيم معينة وبخبرات تاريخية وشخصيات سياسية، فضلا عن الذاكرة والمشروع السياسي والممارسات اليومية، وما إلى ذلك ،وتؤدي هذه الظواهر إلى التناقض المتعلق بالهوية".....[1]

يتضح أنّ الهوية السياسية عدد من الملامح المستقرة والثابتة. تكتسي في الواقع بمعاني مائعة ترتبط بالصور المتصارعة فأن يكون المرء أيا كانت جنسيته لا يعني الشيء نفسه في نظر المثقف المسلم أو الظالم القاتل. "فالهوية التي تكمن في البحث عن وحدة الشخص والتمثل بمجموعة تتسم بملامح

[1]: معجم علم السياسة و المؤسسات السياسية ، مجموعة المؤلفين، ترجمة هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط1 لبنان 2005، ص 408.

ثابتة وموحدة تتراجع بصيغة الجمع وفقا للتفاعلات التي عاشها الفرد وتشكل إثباتا للذات. والهوية السياسية الأقوى فهي تلك التي تقاوم الاندماج ، وتفرض قيام مدلولات تضفي على الفرد قيمة تعزز الاعتداد بالنفس؛ ويعني ذلك إمكانية التمثل بقضية كبرى وبقادة يحظوْن بالتقدير أو يثيرون الإعجاب وما إليه. ذلك من خلال الولاء لحزب أو لعائلة سياسية و إمكانية توظيف المشاعر الإيجابية (شعور بالفخر أو الوفاء لميراث على سبيل المثال) في الولاء الوطني ويصبح إثبات الهوية السياسية الوطنية أسهل عندما لا يتناقض مع أشكال أخرى من الولاء؛ أي عندما ترتكز على صعيد الثقافة واللغة والدين و إلى ما هنالك فضلا عن الاقتصاد (من منظور بناء حياة جديدة) بمنأى عن العوز وتساهم الطريقة التي تتطور من خلالها النقاشات السياسية والصراعات والمجادلات التي تتخللها في تعزيز إما الإفراط في استثمار الهوية (القومية مثلا) لصالح نوع واحد من الولاء وإما إعادة توزيع إثبات الهوية حول آفاق جديدة"....[1]

يظهر أن الهوية السياسية تكون من السلف إلى الخلف في ارتباطهم واستمرار التماسك والاستقرار، وعدد من الملامح الثابتة، وتواجه وتقاوم الاندماج في كل ما يناقضها؛ لأن الهوية تكون مرسخة في الفرد أو الأمة عبر الأجيال، وتحكمها المرجعية الثابتة مثلا الهوية العربية الإسلامية، تحكمها القرآن والسنة المحمدية؛ التي بينت تفاصيل الحياة والشريعة الحقيقية في الحياة، فأي مساس بذلك يظهر الصراع الذي يرفض الانتقاص من صورتها وقيمتها. وتظهر الهوية عند التفاعل، فتبدو مدلولات تضفي على الشخص قيم تقوي الذات النفسية، واعتراف الآخرين بذلك، كما تنمي الرابطة بين هوية الفرد والهوية الجماعية، أو الفرد والسلطة؛ لأنها تخضع لقيم واحدة وثابتة، وولاء صادق لله بإتباع شريعته.

على ضوء ما جاء في أراء العلماء والفلاسفة فإنّ مفهوم الهوية هو ذلك الإحساس الداخلي المطمئن للإنسان على أنّه هو نفسه في الزمان و المكان، وعلى أنّه منسجم مع نفسه باستمرار مهما تعددت واختلفت الأمكنة الاجتماعية وعلى أنّه معترف به بما هو عليه من قبل

[1]: مجموعة من المؤلفين، معجم علم السياسة وبناء المؤسسات، مرجع سابق، ص (409 –410).

الآخرين الذين يمثلون المحيط المادي والاجتماعي، والثقافي المحلي، والإقليمي، والدولي. وتعتبر الهوية الوظيفة الديناميكية للإنسان جوهر وجوده في الحياة؛ لأنّها تمكنه من التوازن والبقاء والاستمرار داخل المحيط الذي يوجد فيه، تتجلى من خلال الممارسات، أنتجها لنا الدين والمجتمع والمدرسة وتتوسطها الأسرة والأصدقاء، فالحوار يشكل الهوية التي تنمو مع نمونا، والمواد يمدنا بها المجتمع مثل اللغة.

2 . الهوية و التفكير:

ارتبطت الهوية بالتفكير، أو ارتبط التفكير بالهوية، فكلاهما يكون الفرد، ويميزه عن غيره، وكل واحد منهما يؤثر في الآخر؛ يتجلى ذلك في قول العلماء: "تكمن أسباب يقظة الذات العربية في إعادة اكتشاف جوهرها المتميز، ومناهج التفكير من خلال الثقافة ـ ذلك الكل المعقد ـ وإنتاجها وإعادتها من جديد. فهي تدافع عن خصوصيتها وأصالتها.إنّ ثقافة الفرد تربط بين ماضيه وحاضره ومستقبله، وما يشيع فيها من تناقضات، فهنا يقتحم الفرد متمثلا في هويته عملية التفكير؛ من خلال الحكم عليه وله. ودعم الجدل والتحكم في الأزمات"...[1].

ويضيف الكاتب مسلم: "...عن طريق معرفة ما يميز الآخرين من أفراد ومجتمعات،ويحدد تنظيمه الذي يحقق له هويته والأنا المتميزة والمختلفة عن الآخرين، حتى تكون الهوية ذات معنى. ينبغي وقوعها بين الاستجابة لواقع يوجد خارج دواتنا ولأمور تتجاوز خياراتنا، فالحوار المؤدي إلى فهم الآخرين هو السبيل لتطوير هويتنا".....[2].

نستنتج من ذلك أنّ الهوية تحرك عملية التفكير في مواجهة الآخر، إما بالاستجابة لهذه التناقضات، والحكم عليها أو الاحتكام إليها؛ لأن الهوية تستمد قوتها، ووجودها وتميزها من خلال هذا التفاعل، وقد ربط الهوية بالأزمة، وأمور تعاكس ما نفكر فيه فكان هذا الحوار مبعثا لتقدم وقوة الهوية.

---

[1]:الهوية و العولمة، محمد مسلم، ص9

[2]: التنشئة الأسرية والهوية الدينية، أحمد عاشوري ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2008/2007،ص 49. مذكرة لم تطبع

والهوية تعبر عن فكر وثقافة، وسلوك، وأسلوب حياة الإنسان"...فبذلك يشكل مركب الفكر والثقافة. ولم يرتبط ذلك بزمان ومكان بفضل اللغة والإسلام باعتباره دينا قويا بفضل الفتوحات وبمنطق ما حمله من تعاليم، وسعادة، وراحة نفسية للبشرية ساهم ببروز مجتمعا راقيا فكـــرا وحضارة....[1]

تظهر هوية الفرد والمجتمع من نمط تفكيره وثقافته التي تميزه عن غيره، وتتجسد في الأسلوب الذي ينتهجه في حياته، فأمة مسلمة تختلف عن غيرها من الأمم في فكرها وتفاصيل وجودها والطريق الذي رسمته في حياتها.

يطرح "ساطع الحصري" قضية التمايز بين الأمم التي اتخذت العربية لغة الإسلام وأداة لتعريب الشعوب في الممالك المفتوحة، لكن العربية لم تلبث أن تراجعت إذ عادت تلك الأمم إلى لغتها القومية مع أنّهم ظلوا مسلمين.... ومن جهة أخرى نفى القطرية والإقليمية، وبرهن على أن العرب أمة واحدة يشتركون في اللغة والتاريخ كمقومين أساسيين للأمة... [2]، ويضيف:"كما تقترن العربية بالعرب دون الإسلام فتصبح العربية لسانا جامعا لأمة متميزة على اختلاف عقائدها وبذلك فاللغة هي رأس مقومات الأمة و الفكر القومي. والإسلام مقوم الفكر الإسلامي...[3]

يتجلى من ذلك أن الأمة قائمة على القطر الواحد، أو الإقليم الواحد؛ الذي يعتبر مقوما أساسيا يحيل إلى توحيد الأفكار، ونمط العيش والعواطف، والمصالح، والأهداف، وتربط بين أفرادها اللغة التي هي وسيلة الاتصال؛ إذ نجدها أكثر انتشارا في القطر الجزائري خاصة أثناء ثورة التحرير، بدء من الحركات السياسية والإصلاحية التي حافظت على اللغة العربية، وجعلتها مطلبا وطنيا يعبر عن الكينونة الجزائرية ووجودها، وبتحدثنا عن اللغة نربط ذلك بالإسلام الذي قرأ كتابه بهذه اللغة وليس غيرها، والدين قوام الأمة لما يحمله من بذور الخير والآمال، الواعدة لحياة دنيوية وأخروية، ونبذ الشر والتسلط والجهل فكان هدفا للاستعمار؛ إذ حاول إلصاق به الخرافات، والأوهام لإبعاد الفرد والمجتمع عنه، وتجريده من إيمانه وتضليل عقول المؤمنين ويركن إلى مزاعمه الكاذبة. وكذا حاول القضاء على اللغة العربية بمنع التعليم وترسيخ الاندماج، والعلم المفرنس.

---

[1]: أحمد عاشوري، التنشئة الأسرية والهوية الدينية، مرجع سابق،ص 59.

[2]:ينظر رابح لونيسي، الفكر القومي عند ساطع الحصري وأثره على الحركات القومية العربية الحديثة، ،ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، جامعة الجزائر1997/1996،ص147

[3]: نهاد الموسى، اللغة العربية ، ص61

نستخلص أن الإقليم واللغة والدين هي المقومات الأساسة؛ تبنى عليها الأمة وهويتها وطريقة تفكيرها بترشيد من الدين الإسلامي، الذي هو منهج المسلم في العمل والمعاملة" الدين المعاملة"، ومنها تتجسد مقومات ثانوية كالثقافة المشتركة من عادات وتقاليد وإرث تاريخي.

تتقاطع بذلك علاقة العربية والإسلام، وعلاقة العروبة والإسلام وتفترقان، لكن اللغة تنحاز إلى الهوية في الدفاع عن هوية الأمة وتحارب المسخ الثقافي الذي يؤدي إلى الاستلاب بكل أنواعه.

والهوية نتيجة التنشئة الحياتية ؛فالأسرة هي النواة الأولى ابتداء من كون الإنسان طفلا وخلال مراحل نموه يكتسب قيما أخلاقية وروحية، ودينية، ومنهجية في العيش، فيتكون لديه زخم ثقافي مرجعيته المجتمع ."فللأسرة دور كبير في تحصيل الابن الدراسي، والتربية الحسنة التي ترتبط بالوضعية الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية "....[1].

يظهر ذلك جليا من حيث إنّ الابن مرتبط بوالديه في حياته الاجتماعية والعلمية والثقافية؛ يتعلم وينمو وفق عادات وتقاليد معينة؛ فمثلا المستوى الثقافي للوالدين يوثر على الأبناء، إذا كان الوالد يطالع كثيرا فالابن يدرك قيمة المطالعة ويشب عليها، إذ يؤثر ذلك على نشاط الابن الثقافي ومنه التفكير، ويحقق إماطة ستار الجهل، وتقرير مصير الأفراد ومنها تكون الهوية الفردية.

يشير بن نبي إلى ارتباط الثقافة بالهوية، فيقول:"الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة.."[2].ويقول أيضا" السلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعمّ من المعرفة وأوثق صلة بالشخصية...[3]. ويعرف الثقافة:" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أوّلي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.."[4]

[1]: نبيل بحري، التفكير النقدي عند تلميذ المدرسة الأساسية، ماجستير في علوم التربية، جامعة الجزائر، معهد علم النفس، وعلوم التربية، 1996ص 78.
[2]: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1976، ص82
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4]: المرجع نفسه، ص83

"والثقافة ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك... فالأدب العربي والموسيقى العربية وتراثها في جملته واحد"... [1]، "والثقافة أسلوب حياة الفرد ومحيطه الفكري ونظرته إلى الحياة، ولابد أن يكون خاصية به نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي و الحضاري"... [2]

كما نجد الثقافة مرتبطة بالأفكار، والأشياء، والمجتمع حسب "لنتون"، و"أجبرون"، والمذهب الماركسي على الترتيب. إذ أنّ" الثقافة علاقة تبادلية بين سلوك الفرد، وأسلوب الحياة في مجتمع معين"[3]... فالفرد ينمي كيانه المادي في مجال حيوي، فتلك تمثل علاقة الفرد بمحيطه، والثقافة هي علاقة الفرد الحسي بمحيطه...[4]

عندما نتحدث عن الهوية، فهي هوية الفرد، أو المجتمع، وكذا الثقافة هي مرتبطة بالفرد والمجتمع ومتجذرة فيهما أكثر من العلم، فهذه الثقافة نشأت مع الفرد من ولاته، فقد اكتسبها من نمط عيشه واحتكاكه بالمجتمع، فكونت لديه مخزون من التراث والتقاليد والعادات، والأعراف والمعارف، مما يطبع على شخصيته، وينميها. يدعم المكونات تفكير الفرد ونظرته إلى الحياة، مما يسطر أسلوب ومنهجية عيشه بفضل مقوماته التي مصدرها الدين واللغة؛ إذ يساهم الفرد في بناء حياته ومجتمعه يشهد بذلك التاريخ، وواقع بناء الحضارة.ولعل ما يساهم في شرح ذلك ما اتخذه بن نبي" في قول البدوي لعمر بن الخطاب . رضي الله عنه . عندما سأل الرعية التقويم بقوله:" من رأى منكم فيَّ اعوجاجا فقوموني "، فرد عليه البدويُّ البسيط" والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا"...[5]

[1]: الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط1 الكويت،1978، ص318.
[2]: المرجع نفسه،ص322.
[3]: مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 2000، ص49.
[4]: المرجع نفسه، ص50.
[5]: المرجع نفسه،ص51.

هذا الردّ يظهر حركات الفكر والعاطفة، ودوافع العمل في كلمة واحدة، جمع بين سلوك البدويّ والخليفة، ونمط عيشهما معا،إذ يبرز معالم ثقافة محددة، وهوية واحدة؛ لأنها أوضحت ارتباط الثقافة بالهوية.

وباعتبار اللغة مركب اجتماعي فلها دور كبير في تطوير تفكير الإنسان من خلال العملية الثقافية والتواصلية مع غيره الآخر ؛ لأنّ اللغة ترافق المرء وتحركه حتى أعمق أغوار تفكيره وإرادته، والتنشئة الاجتماعية تساهم في ذلك؛ فالذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة، ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط متينة ، فالفرد عند قدرته على حلّ مشاكله ، قد أسس لنفسه شخصية معينة، لذلك نجد سعي السياسة الكولونيالية للقضاء على اللغة باعتبارها أساس تكوين الذات والهوية كما قال دي سوسير اللغة نظام أو حدود طبيعية بين الشعوب هذا من جهة والدفاع عن المكون . اللغة . إذا تعرض للخطر ، وكان مهددا فهنا نجد الفرد يدافع عنه وبذلك تكمن هويته اللغوية من جهة أخرى.

كان لتعاليم الإسلام ومبادئه المهمة الكبيرة في قيام الهوية ، وباعتبار الإسلام يحترم فكر الأديان الأخرى و فلسفاتهم؛ لأن الإسلام يأخذ الحكمة أينما كانت. فيصبح أمر الهوية حيويا في نشوء الصراعات و التصادم والاندماج.تظهر الهوية الثقافية لمجموعة من الميزات والبنى الموضوعية كما هو الحال في التفكير العفوي من الإطار الجمعي، والإطار الاجتماعي و التاريخي....[1]

يتبين من ذلك أن الإسلام مقوم الهوية، وذلك من حيث رسوخ مبادئه ، وقوة قوانينه، التي تسيّر حياتنا وتنظّم علاقاتنا، وتطور سلوكنا سواء تجاه الخالق أو العبد، لاشك أنه يجعل للهوية قاعدة متينة نقف عليها، وهي تحدد ما يمكن وما لا يمكن ارتباطا بما يحيط بنا من ماض و حاضر ومستقبل.فهل الدين هو المقوم الوحيد للهوية؟

[1]: الهوية الدينية و النخبة والساسية في الجزائر حزب جبهة التحرير الوطني أنموذجا، ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية تلمسان والعلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع أبي بكر بلقايد،2008/2007 ص 97.مذكرة لم تطبع

تشير الدراسات حول الهوية إلى وجود مقومات كثيرة تبرز قوتها وفاعليتها "....لا تتشكل من مقوم واحد فحسب هو المقوم الديني وحده أوالعرقي وحده، أو اللغوي وحده، أو الخبرة و الممارسة التراثية وحدها أو الثقافي وحده أو المصلحي وحده.... إنّ حقيقة الهوية وقوتها وفاعليتها إنّما تكون في تضافر وتفاعل مختلف مقوماتها وفضلا عن تجددها وتفتحها بما تقتضيه ملابسات ومستجدات الحياة.. ...[1].

بالنسبة لنا نحن العرب المسلمون نجعل أول مقوم لنا أو للهويتنا الدين وهو الإسلام؛ لأن ذلك يجعل منّا أمة حقيقية لها قيمها السمحة وشعائرها، وأهدافها تحمل للإنسان الراحة النفسية والسعادة في الدارين، وبرهن على ذلك ما قام به المسلمون من فتوحات إسلامية في المعمورة دون إقصاء لفكر ما، فكللّ بحضارة إسلامية راقية، شهد لها التاريخ، وإلى جانب الإسلام اللغة العربية التي كانت اللغة العالمية في بداية الدولة الإسلامية التي شيّدها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهي لغة القرآن الكريم الذي كان قانونا وشريعة الأمم، منه ولدت الحياة التنظيمية والتشريعية، وباعتبارها اللغة الأم هي مقوم مكمل للثقافة تجعل من الفرد محرك للعملية الاجتماعية، من خلال إسهاماته البنائية فكان منهاج الفرد ثنائية الإسلام واللغة. ثم ينبثق عنهما مقومات ثانوية من الأصل والمتمثلة في التقاليد والعادات وما يميز كل جنس من الأجناس أضف إلى ذلك الخبرة و الممارسة التراثية، والتي تنمو مع الفرد منذ صغره؛ نتيجة لما يتعرض له من تجارب، وصراعات وصدامات تحرك فكره من تحليل وتركيب فتكسبه مهارات وقدرات تجعل منه فردا مختلفا عن غيره، وباعتباره اجتماعي بطبعه يأخذ منه ما يحقق هويته في إطار الهوية الفردية ،ويدافع عن الهوية الاجتماعية بكونه جزء منها؛ فهو من خلال بُنَى هويته يساهم في توجيه إرادة التغيير نحو آفاق المستقبل لصالح مجتمعه. كما يعمل على ترشيد أجهزة السلطة، من خلال الجهود التطوعية لاختيار القيادات السياسية، والسبل الأساسية؛ التي تقضي على المشاكل وتضمن التضامن والتكافل لأفراد المجتمع، سواء في البلد الواحد، أو لبلدان تجمعهم ثنائية الدين واللغة.

[1]:ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية العلاقات، ماجستير في الأنتروبولوجيا، جامعة تلمسان 2006/2005 ص153 مذكرة لم تطبع..

يتفق العلماء في مناقشاتهم ودراساتهم إلى اقتران الهوية بالأزمة فيقال . أزمة هوية . حيث يشير محمود أمين" ذلك أنه لا حديث عن الهوية خارج الأزمة، أي في حالة تعرض الوعي الجماعي أو الوعي المنظم للفشل في تنظيم المواقف الاجتماعية"....[1]

من مقومات الهوية الدين، فالإسلام قدوة موجودة بالفعل في نفس المسلم، موجودة بالقوة في ضمير المجتمع، هو كفاية لتشكيل الهوية، وتتعرض للأزمة عندما يتم التغيير الاجتماعي والسياسي عند تعرض البلاد الإسلامية مثلا للاستعمار، ويتم مقاومة نفوذه، وما يتأتى عنه من استغلال للشعوب الإسلامية، وتحقيق استقلالها. وردّ التشويه الذي يلحقه المستعمر بالإسلام وثقافة المسلم؛ وقد وفق الغرب إلى حدّ ما في إرغام المسلمين من هجرة ثقافتهم، إلى الخجل من الانتساب إلى مقومات هويتهم الحضارية، لكنهم أصبحوا مشوهين فكريا متأرجحين بين قيم محلية و أخرى غربية، وهذا ما نلاحظه من خلال ما يحدث للجيل المعاصر في مواكبته العصر" ... الأوضاع في الجزائر وأنّ الاستعمار الاستيطاني قد بدأ يعطي ثماره بوصول جيل جديد ذي هوية مبهمة للغاية، فقد كان هذا الجيل يعتبر نفسه جزائريا دون شبه بالأصليين الذين كانوا يعرّفون بالمسلمين...وكان يعتبر نفسه فرنسيا دون أن يكون له روابط مع فرنسي"[2] أهو تطور أم تقليد؟

وهنا تظهر قيمة بناء الإنسان المسلم، والمحافظة على هويته، ولعل هذا ما عناه الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما قال "شعب الجزائر مسلم ".

ومنه تقع الهوية في البحث عن الأنا وسط هذا الانحلال في الآخر ، وذلك بالعودة ، ليس إلى الماضي وإنّما إلى روح الثورة في كيان الوضع الراهن.بأسلوب فكري يعتمد على العوامل اللغة والثقافة والدين للحصول على المنظومة الحضارية.

[1] :دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية العلاقات، ص153.

[2]:الأدب الاستعماري بين المستشرقين والمتجرئين، مجلة سنة الجزائر في فرنسا، العدد6، دار الرايس حميدو،الجزائر 2003،ص16.

وقد جُسدت أزمة الهوية كذلك في الأعمال الأدبية، كالروايات العربية، من خلال ما يعيشه الأنا مع الآخر من تعاملات تبقى بينها علاقة جدلية لا يمكن إلغاؤها أو تجاهلها، انطلاقا من الشعور بضياع الهوية والبحث عن ذات مفقودة أمام الآخر؛ الذي يسيطر على العالم من حولها :"فعمدت الرواية البحث عن ذاتها مقابل الرواية العالمية ، ومحاولة لتأصيل جذورها ورسم ملامح خاصة بها".....[1]حاولت الرواية العربية تكوين هويتها بجعل لها ذات في المضمون و البناء الفني.

الهوية والفكر شيئان متلازمان في حياة الإنسان ، فالهوية مرتبطة بالفكر؛ فواحدة مرسَخة والثانية مرسِخة، لأنّ متى حدث الخلل بينهما إذا وقعت هوة كما هو الحال الآن بين الدول العربية المسلمة التي تتعرض كل يوم لأزمة هوية في مجابهة الآخر الغربي؛ الذي بث في فكرنا سمًّا ناقعا. شغلت هذه القضية كل المفكرين فحاولوا ترسيخ من جديد تلك الخصوصيات التي موجودة في نفس العربي يكفي فقط العودة إليها كثوابت ومقومات.

3 ـ الهوية والعولمة

يثير بعض الباحثين قضايا لا تزال في طور النقاش لأنها تمثل قضية العصر وهي إشكالية العولمة والهوية. وبالحديث عن العولمة وارتباطها بالإنسان وجذور نموها وشمولها للعالم، سواء كان مقصودا بها أو خادما لها، يتطرق إلى مفهوم الهوية، الذي يراه مخالفا للعولمة خصوصا والهوية مرتبطة بالتاريخ والتراث بقوله:

"التطابق أو تماثل الشيء مع ذاته بالمعنى الأرسطي أو بوصفها ماهية سابقة على الوجود أو جوهرا قائما بذاته خارج معطيات التاريخ الموضوعي."...ويضيف الباحث بأن" هذا الطرح لم يعد ملائما مع ما يسعى للتقدم والحداثة؛ بل هو الآن وفي هذه المرحلة تحديدا جزء من منظومة عالمية بكل تنوعها واختلافها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وما ينتج عنها من تفرعات.إن سؤال الهوية ذا المعنى لا يمكن أن ينفصل عن حركة الراهن العربي والعالمي ومواكبة ثقافته .كما أن طرح سؤال الهوية

[1]: ملياني محمدأزمة الإنسان العربي في الخطاب السردي، محمد ملياني، دكتوراه في الأدب العربي جامعة تلمسان كلية الآداب واللغات 2013/2012 ص25.

في إطار ثقافتنا الراهنة غالبا ما يثير كثيرا من التساؤلات بخاصة باقترانها أو تأثرها بظاهرة العولمة، من هنا جاء الموقف من العولمة ليس لسبب اقتصادي، بل لسبب تاريخي بمعنى آخر في علاقتها بالممارسة التاريخية والتراثية ومقوما أو أبعادها الدينية واللغوية والحضارية"..[1].

يمكن أن نلخص مما جاء سابقا أنّ الهوية في مواجهة الفترة الجديدة التي عرف فيها العالم قفزة نوعية ليس فقط اقتصاديا؛ وإنّما على مستوى التعاملات التي ترتكز على الأبعاد التاريخية والدينية، واللغوية، وحتى الحضارية وكيف يمكن أن تتواجد الهوية العربية الإسلامية في نطاق العولمة وتحافظ على كيانها وتميّزها.

كونية الأفكار في جانبها السلبي خطر على الهوية، ويشير الباحث بخطر العولمة بما تحمله من مغريات على الهوية خاصة في فترة خاصة " فالعولمة كما يراها البعض تحمل مخاطر على الهوية الثقافية تحت شعارات براقة مثل النظام العالمي الجديد والعالم قرية واحدة والوعي الكوني والكوكبة وتحت هذه الشعارات يسيطر الغرب وتصبح ثقافته هي النموذج الذي ينبغي أن تحتذي به جميع الثقافات، ويتم تخطيط كل شيء بحيث يختفي الخاص لصالح العام الذي هو أساسا خاصا لكنه أريد له أن يكون عاما ليس لأنه يحمل مضامين عامة إنسانية ،بل بسبب القوة يتم محاصرة الهويات الثقافية (acculturation) والهيمنة. وكما أنه، وباسم المثاقفة الخاصة فتصبح بذلك تعني القضاء على ثقافة لصالح ثقافة أخرى فيتم ابتلاع ثقافة الأطراف داخل ثقافة المركز. وقد تستعمل بعض المصطلحات للتخفيف من قوة هذه الهيمنة فتبرز مصطلحات ومفاهيم مثل التفاعل الثقافي التداخل الحضاري حوار الحضارات"... [2].

ويعرض الباحث بتحليل منطقي إلى ما سوف تؤول إليه المضي وراء عطش العولمة التي يروج لها أصحابها بقوله" هي مفاهيم تنتهي إلى أن ثقافة المركز هي الثقافة النمطية ممثلة في الثقافة العالمية والتي يستلزم على كل ثقافة احتذاؤها و تنتهي بذلك أسطورة التعددية بل قد يرى البعض الآخر أن ثقافة المركز التي تدعي العالمية والكونية تحمل معها مضامين وروح الثقافة القادمة بخاصة منها المضامين الدينية التي تختلف كثيرا عن مقوما الدينية والروحية .بل قد تنكر للأديان جميعها ولا تؤمن إلا

[1]:حباب نور الدين، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، دكتوراه جامعة الجزائر سنة 2006/2005ص180

[2]: المرجع نفسه، ص181

بالعلمانية التي يراها هؤلاء مرادفا للكفر فيصبح الغزو هنا في الأساس ليس غزوا اقتصاديا بل غزو ينطوي على فلسفة للحياة معادية للدين والهوية الثقافية"..."[1] .

تحمل العولمة مخاطر كبيرة على الهوية تحت عناوين مختلفة وملفتة، وشعارات تجذب قوة النظر إليها؛ كأنّ هذه العولمة تخليص من عذاب الدنيا والآخرة، ولكن هي نوع من أنواع الهيمنة وجديد لبلوغ الأهداف الخفيّة، ولعل الشيء المهدد هنا هو دين الأمة وعقيدة وحماية الهوية معناه في الأساس الدفاع عن الدين ،وهناك من يرى أن العولمة ليست غزوا اقتصاديا أو غزوا علمانيا، بل غزو قومي بمعنى هوية الأمة من قبل الآخر في قيمها ورموزها ومرجعيا الخاصة لصالح نمط الحياة والفكر القادمة إليها من مراكز الهيمنة التي تولد هذا الاتجاه نحو العولمة .

في نظر هؤلاء تعد حماية الهوية الثقافية من الهدف الأصلي في كتاب "ما العولمة ". حسن حنفي وصادق جلال العظم. وليست مجرد وسيلة للتصدي للاستغلال الاقتصادي، فهو هدف أشمل من هدف حماية الدين من العلمانية.

ويشير الباحث من جانب آخر الرؤية الصائبة للعولمة بقوله:" كما يوجد من لا يرى في العولمة إلا اتجاها متزايدا نحو انتشار التكنولوجيا من مراكزها في العالم المتقدم علميا واقتصاديا، ومن ثمة زيادة الإنتاج ومضاعفته، بل قد يذهب هذا الاتجاه الفكري إلى حد القول بأن الهوية الثقافية سوف تفيد من العولمة .بل هناك أيضا المنبهرون بالثقافة الغربية وفكرها وحضارته بوجه عام، بخاصة في نقل المعلومات وتوفيرها لمن يريد الاستفادة منها، وبما حققه الغرب في مضمار التنظيم السياسي والاجتماعي والإنتاج الثقافي والديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني، ويجدون في العولمة السبيل إلى ذلك، وفي سبيل هذه المنجزات الحضارية الغربية من علم ومؤسسات، فإن حديث الهوية الثقافية يعد حديث التخلف والجمود والتقوقع؛ بل لا تعني الهوية عند أصحاب هذا التوجه إلا الاستسلام العبودي للماضي وخزعبلاته، التي لم يعد لها مكان في العالم الحديث. إن جميع هذه المواقف المختلفة والمتقابلة يحمل في تقديرنا جزءا من الحقيقة وهو جزء لا يمكن الاستهانة به"..."[2].

بدون شك إن العولمة تؤدي إلى زيادة الإنتاج،كما تمثل تقدما لا يمكن إنكاره في جميع حقول الحياة؛ في المعرفة الإنسانية وفي السيطرة على الطبيعة وبناء مؤسسات عصرية سياسية واجتماعية، كما تنطوي على الاستغلال الاقتصادي من قبل الشركات العابرة للقارات من جهة، وتتضمن قهرا لبعض

[1]: المرجع نفسه، ص 182

[2]: حباب نور الدين، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق ، ص182.

معتقدات وقيم بعض الأمم لصالح نظرة تتخذ موقف لا مبال من الموروث من جهة أخرى وهذا ما يمثل الخطر المهدد للهوية، عندما نقايض العولمة وما تقدمه قد يكون آني مع ما اكتسبنا وورثنا من جيل إلى جيل وهو قاعدة قوتنا .

ولكن مع ما يقبله بعضهم هل هذه المواقف المرحبة بالعولمة، أو المضادة لها مستوعبة كل المواقف الممكنة من قضية حماية الهوية الثقافية.؟ فنحن والباحث نقف أمام إشكاليات تاريخية وحضارية ماضية وحاضرة، فالبعض يسعى لتعميق الحديث عن الخصوصية الحضارية من أجل اختلاق مفاهيم ،واستغلال اختلاف الهويات من أجل الوقوف في وجه جدل الحضارات وتعميق الخلافات الحضارية بين الأمم، في حين يرى البعض أن الحديث عن الخصوصية هو بمثابة البقاء في التخلف وضمن هذا السياق تطرح عدة تساؤلات، هل نقف في وجه التاريخ العالمي باسم الخصوصية والهوية وعزلها وقطيعتها عن عصرها باسم الأصالة وتقليصها في رؤية أحادية أو خضوع أعمى لخبرات سياسية أو اجتماعية وثقافية لا تصلح لملابسات وأوضاعنا واحتياجاتنا الخاصة؟ أم نستدعي تاريخ الآخر المتقدم؛ ليحل محل تاريخنا الخاص ونتجاهل تراثنا القديم؟ ألا يعني هذا إلغاء الإبداع والتجديد. كما أن الوقوف في وجه الآخر باسم الخصوصية والهوية لا يعني إلا الانزواء والتقهقر والجمود فيؤدي إلى استنساخ رؤية جامدة منحطة وفرضها على حاضرنا يؤدي إلى اقتراح وصفات لحاضرنا من الماضي البعيد.مسألة على غاية من الحساسية فإما نكون وحدنا أو مع الآخر.

ويؤكد الباحث بالعودة إلى ما يجب التقيد به لأجل الخروج من الإشكال المطروح بقوله :" لابد من الإشارة أننا نركز بشكل أساسي على المكون الثقافي لمفهوم الهوية الذي يعد مركزيا في تحديدها كون الهوية الثقافية يندرج تحتها النظام القيمي والأخلاقي والإبداع الفكري لكل أمة، بما يسمح بالتحقق من مدى صدق الحديث عن خصوصية وتمايز هذه الهوية من جهة ومدى التواصل مع غيرها من الهويات الثقافية الأخرى بشكل إيجابي"..[1].

يشيد الباحث بمركز الهوية، الذي يمثل منظومة القيم والأخلاق والإبداع والفكر لكل أمة وهذا ما يميز الهوية العربية الإسلامية وقدرتها على التواصل والمضي قدما. وما مرت به الدولة العربية الإسلامية لدليل على انتصارها.

[1]: حباب نور الدين، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق،ص184

لعل ما يميز الهوية العربية الإسلامية وخصوصيتها كما يعتقد الباحث هو السبب في بروز الإشكال بقوله: "وما يزيد في صعوبة تناول مسألة الهوية الثقافية في علاقتها بالراهن أن الكثير ينظر إلى الهوية العربية الإسلامية باعتبارها هوية تكونت منذ أربعة عشرة قرنا وأخذت خصائصها النهائية وهذه النظرية تفتقد إلى الحس التاريخي.لقد اتسمت عبر تاريخها بالانفتاح والتفاعل الإيجابي ليس فقط مع هويات ثقافية سابقة عليها، بل التحدي الأكبر الذي واجهها كان مع صدق الحداثة التي واجهت العرب والفكر العربي في منتصف القرن التاسع عشر ولازال مستمرا، هو المواجهة مع الثقافة الغربية التي نجحت بدرجة كبيرة و بخاصة في التطور الحالي للعولمة في فرض نفسها على بقية العالم باعتبارها الثقافة العالمة، مدعومة بالطفرة العلمية والتكنولوجية السريعة بثورة الاتصالات والمعلومات التي يكاد الغرب يكون في محتكرها .لقد تنوعت الاستجابة الفكرية إزاء تأثير العولمة على الهوية الثقافية العربية."...[1]

ويخلص الباحث من هذه الآراء أن الحديث عن الهوية والعولمة ليست معطيات مكتملة أو جاهزة، فهي لم تأخذ صيغتها المتبلورة حتى يسهل الحكم عليها .ولذا فإن الإمكانات التي تتيحها العولمة وما ينتج عنها من تأثيرات تفتح حقا أفاقا جديدة وتحديا حقيقيا للثقافات والخصوصيات فالعولمة الآن تفرض نفسها بحيث هي حاضرة في جميع الأوساط الفكرية، مما يعني أن تناول هذا الموضوع تناولا منهجيا وموضوعيا يصعب دون تفكيك العناصر المكونة له، والتي تتحكم فيه وهذا يحيلنا إلى الاصطلاح وإلى المفهوم، وبخاصة مفهوم العولمة .ومن الصعوبات النظرية التي تنشأ عند تناول هذا الموضوع، إنه لم يتأسس ولم تتبين ملامحه ومكوناته الكبرى كما يرى الكثير من الباحثين ولهذا فإن هذا المفهوم لازال إلى اليوم يثير جدلا وخلافاوتعددا في الاستخدام من قبل الباحثين، فهو يستعمل في كثير من الأحيان، إما لتبرير واقع أو تمرير اختيار، كما قد يستخدم هذا المصطلح ليؤكد صاحبه أنه يستعمل مصطلحات العصر.

حاول الباحث استظهار معنى العولمة لدى باحثين فيشير إلى كتاب "ما العولمة" ليقدم لنا مجموعة من آرائهما في خلق عولمة خاصة " كتاب" ما العولمة " المشترك بين. حسن حنفي وصادق جلال العظم. فنحاول تلخيص وجهه نظرهم كمثال لهذا التقابل الفكري والأيديولوجي يقدم حسن حنفي مفهومه في جواب لسؤال لماذا لا تكون هناك عولمة من وجهة إسلامية، مادامت أن هناك

[1]: حباب نور الدين، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص185

تعدد في وجهات النظر المختلفة بين يمين و بين يسار، وقد تتعدد أيضا وجهات النظر داخل كل تيار.

إن جميع وجهات النظر في العولمة بين اليسار واليمين بين الاشتراكية والرأسمالية ،بين النظم الوطنية والنظم التابعة، بين الخصوصية والعولمة، ليست بين وجهة نظر غير إسلامية ماركسية أو قومية أو لبرالية ووجهة نظر إسلامية.لكن افتراض وجود وجهة نظر إسلامية في العولمة بدون شك يطرح تساؤل هل هناك وجهة نظر مسيحية وأخرى يهودية لكن حسن حنفي يجد مخرجا حيث يؤكد أن الإسلام ليس دين فقط، بل أيضا حضارة لكنه لا يتوقف عند هذه المسألة فهو يعدها مسلمة وينتقل إلى التأكيد أنه يجب أن تكون للقوى الإسلامية المعاصرة تفسير لكل شيء؛ نظرة شمولية للعالم مثل باقي الأيديولوجيات الماركسية و القومية واللبرالية ،كما يجب أن يكون لها رأيا ليس في العولمة فحسب؛ بل وفي باقي الأساطير مثل نهاية التاريخ وصراع الحضارات، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان، لكنه يتدارك فيؤكد أنه من الصعب معرفة وجهة النظر الإسلامية، فهناك تعدد المدارس الفكرية الإسلامية، هذا التعدد يمنع وجود وجهة نظر واحدة، بل هناك وجهات نظر متعددة بل ومتعارضة طبقا لموقف العالم السياسي والاقتصادي ووضعه الاجتماعي. يؤكد أن وجهة النظر الإسلامية هي الموقف من الواقع والمجتمع والتاريخ لصالح من وضد من ومع من ؟ الخلاف بين الإسلام الوطني والإسلام التابع بين اليسار الوطني واليسار التابع. بعد هذا التحليل الدنيوي للإسلام أي بعد ما أصبح الإسلام موقفا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. ينتهي حسن حنفي إلى موقف آخر حيث ينتقل من وجهة النظر الإسلامية إلى وجهة النظر العربية، فالعرب ثقافة وحضارة ومصالح عامة مشتركة، وأوطان وتاريخ لأن الثقافة العربية هي جوهر الثقافة الإسلامية مركزها ولغتها وجود الوطن العربي الذي يحتمل أن يأتي منه التحدي للعولمة وللقطب، وللعالم ذي القطب الواحد وينتهي حسن حنفي:" إلى تأكيد خطر العولمة على هذه الهوية العربية الإسلامية بل يرى العولمة استمرارا لتقليد قديم لسيطرة الشمال على الجنوب؛ التي تعبر عن المركزية الغربية في العصر الحديث والتي بدأت منذ الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر؛ حيث بدأ النهب الاستعماري لثروات أسيا و إفريقيا .وبعد عصر التحرر من الاستعمار في هذا القرن بدأت أشكال الاستعمار الجديد في الظهور باسم مناطق النفوذ، والأحلاف العسكرية في عصر الاستقطاب، والشركات المتعددة الجنسيات. وبعدما

ضعفت حركات التحرر في أمريكا اللاتينية و إفريقيا لم يبق إلا الإسلام والصحوة الإسلامية تقلوم هذه الهيمنة الغربية من هنا تأتي معاداة الغرب للإسلام."...[1]

عالج الباحث آراء كل من الباحثين بإحداث تقابل فكريٍّ، فالأول يقترض عولمة ذات نظرة إسلامية لكن بكون الإسلام كحضارة، وذو نظرة شمولية تهتم بالعالم كله وبإيديولوجياته، وقومياته وينظر في كل حقوله، لكن الباحث عند تعداد المواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكثر المدارس الفكرية وصعوبة معرفة النظرة الإسلامية، وقد تنشأ نظرة مسيحية وأخرى يهودية بالمقابل فيحدث التعارض، ثم ينتقل الباحث إلى القول بالنظرة العربية باعتبارها المركزية في الثقافة الإسلامية؛ إذ للعرب ثقافة وحضارة ومصالح مشتركة، وأوطان لها تاريخ واحد ويحتمل التحدي منها تجاه القطب وفي الأخير، يختم الباحث بوجود خطر العولمة على الهوية العربية الإسلامية لأنها شكل من أشكال الاستعمار، وهي امتداد لاستيلاء الشمال على الجنوب، بحجة الأحلاف العسكرية والمؤسسات الاقتصادية، والتعاون الاقتصادي، والبحث عن الأسواق، هي نوع تكنولوجية السيطرة المتخفية بعباءة العولمة.

لم تعد تلك المصطلحات، والمفاهيم التي كانت متداولة في القرن الماضي ضرورية لفهم الهوية نظرا لسيطرة المفاهيم السياسية، الاقتصادية على كل مناحي الحياة، لهذا لابد من الوقوف على بناء الإنسان أولا والمسلم ثانيا من جديد كما يفهم من كلام مالك بن نبي.

[1]: حباب نور الدين، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص186

الفصـــــــل الأول

1 – هوية الجزائر.

2 – مفهوم القيمة.

3 – مفهوم الفكر الحضاري.

الفصل الأول: هوية الجزائر وماهية القيم والفكر والحضارة

المبحث الأول: هوية الجزائر

1 – قبل الإسلام

يتم بناء الحاضر والمستقبل بالاطلاع على أمجاد الأجداد، وبمعرفة الإرث الذي تركوه لنا . والجزائر دولة قائمة ، تشكل فضاء مليئا بتشكيلة متنوعة ؛ إذ ورد على الرقعة الإفريقية الشمالية جماعات بشرية، وقبائل مختلفة من عهد قديم، وطاب لها المقام بها لاعتدال مناخها، وخصب أراضيها. فكانت منها الأمة الأولى لهذه الأرض، ثم وفدت عن طريق مصر قبائل كثيرة ،موطنها الأصلي شبه الجزيرة العربية، ومابين الخليج والبحر الأحمر، ومن قبائل فلسطينية، ومنها عرب اليمن جاؤوا إليها فأعجبتهم البلاد ،فقرروا البقاء فيه ا،كما جاءها الفرس والأرمن مع اليونان.كل هذه العناصر امتزجت بالسكان القدامى ، وتكوّن عنصر ممتاز عرف باسم الأ مازيغ ـ الرجال الأحرار . . .[1] اختلافهم عن اليونانيين في اللغة، وباعتبارهم غير خاضعين لسلطانهم.ونتيجة لذلك تفرع الأمازيغ إلى ثلاثة شعوب عظيمة وهي صنهاجة وكتامة وزناتة.

نستنتج أن العناصر الواردة إلى المغرب الأوسط هي من المشرق العربي مما يدل على أنها ذات جذور السامية، الحامية.

والذي يمكن إضافته هو أنّ هذا الوطن ـ كغيره من البلدان الكثيرة ـ لم يكتسب اسمه ـ الجزائر ـ إلا في عصر متأخر، فأغلب الروايات التاريخية ترجح التسمية: "بأنها لحقت البلاد في العهد الإسلامي، فهناك من يراها مرتبطة بالقبيلة "الصنهاجية" فنتج عن ذلك الاسم "دزاير"،فتحور وأصبح

[1]: عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، ، د.ط.م ، الجزائر،2002، ص 170.

اتخذت منطقة المغرب الأوسط عدة أسماء لها .إذ عرفت باسم نوميديا في العهد الروماني، وموريطانيا وأسماء أخرى إلا أن الاسم الذي استقرت عليه هو الاسم" الجزائر"..[1].

أي أن اسم هذه المنطقة "الجزائر " اتخذت عدة أسماء؛ وذلك حسب المراحل التي مرت بها، إضافة إلى استقطابها للعصبيات المختلفة، والسلالة المسترسلة في الزمن، ثم استقرت على اسم واحد.

تميز الأمازيغ بصفات متعددة؛ اعتزازه بحريته، وتعصبه للغته وقومه، يأبى الضيم، ويسهر على الحفاظ على عرضه وشرفه. فقد صوره لنا التاريخ شجاعا ومقداما، ومحبا للعمل،ساد مجتمعه النظام الديمقراطي؛ حيث كان الحاكم من المجتمع يشرط أن يكون شجاعا وكريم الخلق وسديد الرأي أما المرأة فكانت لها مكانة كبيرة باعتبارها هي التي تسهر على تربية، ونشأة الولد الذي يصبح درع البلاد والمدافع عنها ومن الأمثلة على ذلك:"أبرز شخصية علم مرها التاريخ السياسي البربري هو "ماسينيسا"؛ إذ يعتبر من أوائل من أسس حكما استوفى القوامة الجغرافية، بحيث انتهى إلى طرابلس وشمل مساحة الشمال الإفريقي في أكبر أجزائها واستوفى الأهلية السياسية من حيث كونه حكم البلاد ضمن إطار قانوني واقتصادي واجتماعي. جعل منه ملكا بربريا معترفا به على مستوى الشعب وهو ما رفع مكانته إلى درجة القداسة بعد مماته" ..[2]. يبين ذلك علوّ شأن الأمازيغ، وحسن إدارته لسياسة بلاده، وبروز الفكر المدبر، وبلوغه لأفاق أذهلت المعمرين الذين تكالبوا على هذه الرقعة. زاد أكثر من ذلك تعرفه على الإسلام؛ إذ كانوا مبادرين للدخول فيه، وشكل لهم معلما مركزيا "لقد شكل حادث الفتح الإسلامي معلما تاريخيا في تاريخ البربر"..[3].

نستنتج أنّ المغرب الأوسط كانت فضاء مفتوحا أولا للحملات ، والهجرات ثانيا؛ من بين الشعوب التي عاشت في لجزائر قبل الإسلام؛ الشعب الفينيقي الذي وفد إلى المغرب الأوسط للتجارة، وعمر لعدة سنين دون أن يكون له غرض آخر. والدول المستعمرة التي اتبعت الحيلة والخسة لأجل

[1]:عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، مرجع سابق ص170.
[2]:المرجع نفسه، ص28.
[3]:المرجع، نفسه، ص172.

أغراض شخصية كالرومان ، والروم والوندال ...ثم حل الإسلام فتحا ربانيا وكونيا، مسّ كل أرجاء الجزائر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية وأرسى بمشروعه الديني، والثقافي والحضاري، وما حمله الفاتحون من سمات اختزلت المراحل، وتداركت الاختلال.

إنّ الإنسان البربري تميز بشخصية قوية، ونشطة بالرغم من تعرضه لعدة تغيرات، فلغته تأثرت بلغات كثيرة؛ بسبب مجاورة البربر لعدة أمم، والقبائل التي استوطنت بلادهم فظهرت عدة لهجات ولكنها عبارة عن رسوم مختلفة الأشكال ومحدودة العدد إذ يستحيل تدوين الكتب بها فحاولت عدة شخصيات تطوير الخط البربري؛ ليكون صالحا للتدوين، وتنمية الثقافة البربرية؛ إذ "يرى بعض المؤرخين أن الخط البربري حديث العهد، يرجع اختراعه إلى مسينيسا في القرن الثالث قبل الميلاد وضعه على نمط الحروف الهجائية الفنيقية" [1].لأن أغلب كتب التاريخ تشير إلى أن شخصية مسينيسا واعية، ومثقفة، ومفكرة، كان يسعى إلى تنمية بلاده وتدعيم استقلالها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

من المعلوم أنّ كل شعب يحمل بين جوانحه ثقافته الشعبية من تقاليد وعادات، والبربر شعب مثل هذه الشعوب، حيث عرف بإلمامه بالفن والذوق الرفيع؛ حتى وإن لم يجد الخط الذي يوثق به هذه الفنون فقد ابتدع وسيلة للتعبير عن فكره :"فإنه ترك لنا تلك المصنوعات التي تتجمل بها رفوف المتاحف في كل أنحاء العالم، والزخارف المرسومة ، والمنسوجات ،وحتى الوشم على ظاهر اليد، وفي الوجه، والساق لدليل على الفن البربري القديم "..[2].

نستنتج من ذلك أن شعب الأمازيغ تميز بحضارة مرموقة، فقد سطع نجمهوظهر للعيان ومما زاد في تطور هذه الأمة قدوم الشعب الفينيقي للتجارة " قدموا من المشرق إلى الجزائر للتجارة ،فأسسوا مراكز كثيرة للتجارة...جعلوا مدينة قرطاجة عاصمة لهم، و شيدوا مدارسا لتعليم اللغة

[1]: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، د،م،ط،الجزائر، 2006،ص53.
[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفينيقية..."..[1]وفد إلى الجزائر الفينيقيون، للتبادل التجاري ،فأسسوا بذلك مراكزها للتجارة،و شيدوا مدينة قرطاجة الواقعة قرب تونس،التي أصبحت عاصمة القوة الفينيقية، مارسوا نشاطهم التجاري دون التدخل في الشؤون السياسية للبلاد، كما أنشأت ا المدارس، فتعلم أبناء الجزائر اللغة الفينيقية ومنهم "مسينيسا" وتزود بعلومها لتصبح اللغة الفينيقية اللغة الرسمية في الدواوين الحكومية وأكثرية الأمازيغ لأنه أدرك جيدا أهمية الانفتاح، ومد الجسور مع اللغات العالمية المتوافرة. هذه اللغة امتزجت باللهجة الأمازيغية فكان لها الفضل في التمدن وابتكرت طريقة رسم الحروف، كما ألف المثقفون في شتى العلوم، وخلفوا بذلك مكتبات كثيرة. وبما فعله القرطاجيون ساهم في تطوير الجزائر لأنهم شكلوا معها أمة واحدة بمصاهرتهم لها، واستفادوا من أعمالهم العمرانية، ونشاطهم التجاري، والحرفي والصناعي "وقد وجدت كتابات بقالمة وقسنطينة وميلة على الأضرحة بهذه اللغة. انتشرت في الوسط الجزائري ولم يذهب أثرها حتى جاءت العربية.." [2]. شهدت هذه المنطقة في هذه الفترة حضارة ورقيا عبر عن حب الجزائري للعلم ومحاولة بلوغه و للعمل بالجهود المستميتة، كما بينت لنا شخصيته المتميزة.

غزى الرومان الجزائر، وظلوا فيها حتى القرن الثالث الميلادي، لكن قدومهم لم يكن سلمي؛ بل للاستيلاء عليها ونهب خيراتها، فهي كانت بمثابة الكنز الذي تداعبه الأمواج، بدؤوا بالضغط على حرية أفكار الأهالي، إلا أن الأمازيغ لم يرضوا بذلك، فنهضوا بزعامة يوغرطة، وقاوموا المستعمر، لكنها كسرت بمكر الاحتلال وخداعه، وبسط نفوذه على الأهالي فسلبهم حقوقهم الطبيعية، وانتزع منهم معظم أراضيهم الزراعية الخصبة وألزمهم بالعمل في ملكهم تحت قوانين ثقيلة:" وقد بنى الشعب الجزائري وشيد ولكن لأجل حضارة لم يستفيدوا منها، بل من أجل إبادة الشخصية الجزائرية، فسعوا إلى نشر لغتهم وآدابهم حتى يمحي جذورها ويثبت سلطان روما..." [3] .أراد الرومان ترسيخ ثقافتهم بالقوة، إذ عملوا على القضاء على كل ما يوحي بوجود أمة غيرهم في جميع الميادين، إلا أن حياة

[1]:محمد الطمار، الأدب الجزائري، مرجع سابق ،ص54.
[2]: المرجع نفسه ،ص56.
[3]: المرجع نفسه ص57.

الظلم مهما طالت قصيرة ؛" فقد هاجم الوندال روما. بعد احتلال الوندال لروما سنة 455 ميلادي ورثوا مستوطناتها، وأخذوا كل ممتلكاتها، واتبعوا سياسة دينية متطرفة.. ثم تدخل الروم بحرب طاحنة وانتصروا على الوندال، وكغيرهم أظهروا قوانين منافية لحرية الأهالي وعاملوهم كالعبيد وأرغموهم على الطاعة"...[1].

نستنتج من ذلك أن كل من الرومان والوندال والروم لم يأتوا إلى المغرب الأوسط ليمدنوا الأمازيغ وإنما لتوسيع نفوذهم، والانتفاع بخيرات الجزائر، وثرواتها على حساب جهود الأهالي، فأدرك البربر هذا المعنى، ورفضوا الامتزاج بهم، وحافظوا على جنسيتهم، وابتلعوا الأمم التي احتلتهم، وهي مزية لا تكاد تجدها في غيرهم من الأقوام، إذ أنهم لم يتأثروا بلغتهم وآدابهم بالرغم من أنه أرقى من أدب الفينيقيين؛ بل أعلنوا كراهية لهم، وحاربوهم بقوة وشراسة، لأجل صيانة الروح والهوية الأمازيغية، والحفاظ على الميراث القيمي للشخصية القومية، والوصول إلى التحرير من التخريب الاستعماري ، ورثت الأجيال العصامية تلك السبل التي أكسبتهم قوة الجهاد والعبقرية في الدفاع عن الدولة، وتطوير العدة، وفنيات القتال، وأن تقيم لنفسها نظاما للمواجهة.

2- انتشار الإسلام في ربوع الجزائر

جاءت نظرية البناء بمفهومها الواسع إثر امتداد نور الدين بالمنهاج الصحيح، وتكلل ذلك بعدما فتحت البلاد الإفريقية بالإسلام، وانتشاره في ربوعها، فوضع بذلك مبادئ قداسة الدين وكرامة التراب والإنسان، إذ تفطن السكان الأصليين إلى ثقافة أخرى قصدها تنوير العقول، وتبييض الصحائف، و نشر الاستقامة. كل ذلك تمثل في وديعة القرآن الكريم، فلم نلاحظ أي استثقال أو رفض للدين الإسلامي؛ لأن الاعتبار المادي والمعنوي اللذين نالهما الأمازيغ، كانا يترجمان أهلية الدين

[1]: محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص57..

بأن يكون عقيدتهم." تبين لهم الفارق الكبير الذي آلوا إليه في ظل الإسلام، الأمر الذي حبب إليهم الإسلام وقربه من نفوسهم"...[1].

يتضح من ذلك أن البربر قد رحبوا بالدين الإسلامي، لأنهم لاحظوا الفرق بين هذا الدين وما عاشوه من ضلا ل تحت وطأة الديانات الوثنية، وغيرها كالتي فرضتها عليهم الدول المستعمرة من مذاهب دينية مسيحية ؛تلحق بهم المهانة و الإقصاء، فأدركوا حين اعتنقوا الإسلام حقائق لامست نوازع الحرية والعتق التي ورثوها عن بداوتهم، وفطرتهم فأخلصوا إلى هذا الدين.

كانت الدعوة الإسلامية تفعل فعلها في هذه الشعوب من نشر القيم السمحة، وتدشين المرافق التعليمية، وتكثيف النشطات الثقافية ، كالمساجد، والكتاتيب، والزوايا لحفظ القرآن والحديث النبوي، وتفسيرهما بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية والفقه، والشريعة الإسلامية ، الشيء الذي جعل الكيان الإسلامي مفتوح، ومستمر لظهور المذاهب والتيارات الفكرية والاجتهاد الفقهي . فخلق مواقف كثيرة و مختلفة، و بفعل عوامل أخرى أعطى للفكر حرية.ومارس الأ مازيغ حقهم في السيادة حول المبدأ،والمطمح، وهذا عكس ما يروج له المستشرقون.

إذا عدنا إلى الوراء قليلا، فإننا نجد أن الشعب الأ مازيغ رفض الاستعمار، الذي دخل البلاد لاستنزاف خيراتها، وقاوم الاستعباد،الذي طغى على حرية السكان.ونتيجة كون منطقة المغرب الأوسط نقطة ربط بين جهات العا لم ، وبين الشرق والغرب منذ فترة زمنية طويلة؛ رست على شواطئها أمم كثيرة، فربطت بين القارتين بطرقها السلبية والإيجابية، وولدت من ذلك مجتمعات ترحب بالضيف، وتناوئ وتحارب بقوة، وبشراسة للحفاظ على عراقتها وقيمها الأصلية.كما جاء:"استبيحت شمال إفريقيا من قبل العسكرية الرومانية، لتلحقها روما بإمبراطوريتها قهرا وتبدل مؤسساتها الدينية والفكرية ثم الاقتصادية..."[2]. إذن فالأمازيغ حارب الاستعمار، وقام بثورات منطلقا من السند القوي وهي القاعدة القبلية، وأدت إلى ظهور الكيانات السياسية المستقلة. فمسينيسا اعتبر

[1]: عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، ص 74.
[2]: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والثراتية لتاريخ الجزائر القديم، ج4 ، دار الهدى ،الجزائر،2011،ص536.

بطلا مغاريبيا ويوغرطة مقاوما و كلاهما وقفا في وجه الاستعمار، في حين امتدت حملات الفتح الإسلامي على يد العديد من الفاتحين المسلمين فتقبلها البربر بصدر رحب، وعن طواعية واقتناع، وليس بقوة السيف، وخاصة عندما شهدوا ما فعله الفاتحون من بناء، وإصلاح في مختلف الميادين "أخذ حسان بن النعمان يبذل الجهود لإصلاح ما أفسدته الكاهنة من أرض وزرع وعمران فحقق الكثير من الإصلاحات في مختلف الميادين حتى أعاد للبلاد شبابها وازدهارها.."[1]

عندما انتشر الإسلام في المغرب الإسلامي تطور علاقته الثقافية والاقتصادية بالمشرق وطور ت أشكاله الثقافية الخاصة؛ وقد ساهم الأمازيغ في ازدهار الحضارة الإسلامية.

ـ الدولة الرستمية

وقد توال على حكم إفريقيا الوسطى شخصيات كثيرة من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد بني العباس، حيث بدأت تظهر إمارات ، فكانت أولها الرستمية نسبة إلى عبد الرحمان بن رستم، الذي عينه أبو جعفر المنصور واليا على القيروان، ونتيجة عدة اضطرابات اتخذ من تيهرت مركزا له" عندما اشتد أمر بن رستم بايعه أنصاره عام 160هـ الموافق 776م...ودامت قرنا وثلاثا وثلاثين عاما...وانتشر المذهب الإباضي...وغدت ملتقى القوافل التجارية ووفود طلاب العلم".[2]

نستنتج من ذلك أن في هذه الفترة تشكلت حواضر استقلت عن المشرق سياسيا لكنها اتخذت من الإسلام مبدأ ،فنظمت حياة الأهالي بحكم شوري يطبق أحكام القرآن والسنة ونشر الثقافة العربية، فغدت مدينة تيهرت محطة من محطات الحضارة الإسلامية إذ شهدت تطورات كبيرة في ميادين العمران ببناء المراكز الأساسية للحاضرة كالمنازل والمساجد والأسواق والحمامات والفنادق وتوسيع مجال الثقافة بانتشار دور العلم و حلقات الدرس، والاقتصاد؛فقد راجت سوق المعارف

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1،د،م،ط، الجزائر ،2007،ص90.
[2]: المرجع نفسه، ص98 .

والتجارة الواسعة في الداخل والخارج مثل السودان، والأندلس، وبلدان المشرق بالإضافة إلى الأسواق الغربية عبر سواحل البحر الأبيض المتوسط ، واكتساب العلوم من الفقهاء القادمين من المشرق.

وقد وصف المؤرخون العرب تيهرت بأنها مدينة ذاع صيتها في الآفاق فقال اليعقوبي بن واضح العباسي[1]:"مدينة تيهرت جليلة القدر عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب.."[2].

وقال الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق : "..مدينة تيهرت بقعة حسنة.. [3]".ويضيف العالم البشاري . أبي عبد الله البنا، من العلماء المائة الرابعة للهجرة في تاريخ تيهرت ."قد أحدقت بها الأنهار والتقت الأشجار بها ، وغابت في البساتين ونيعت حولها الأعين..وانتعش فيها الغريب..يفضلونها على دمشق وقرطبة..."[4]

يتضح من هذه الآراء أن تيهرت كانت تفيض بخيراتها؛ فقد كثرت فيها أنواع الزرع من زراعة الحبوب، وأشجار الفاكهة وتربية المواشي والغنم وبما يحيط بهذه المزارع من عيون، وأنهار من خلال انتشارها على كل مساحتها وكل ما يجاورها من مدن فشكلت بذلك جنة خضراء وازدهرت التبادلات التجارية من ناحية وتميزت بكونها عاصمة بلدان المغرب الإسلامي في فكرها وثقافتها والعلوم من ناحية أخرى، كما أورد المؤرخون منهم من قال: "إن إشعاع تيهرت الحضاري يمتد على رقعة جغرافية واسعة في شمال إفريقيا وغربها، وشرقها، وفي جنوب شبه الجزيرة العربية"...[5].

إذن تيهرت برزت كمركز ثقافي مشهور لكونها عاصمة دولة مستقلة، والواقع أن دور الحكام الرستميين في الحياة الفكرية كبير، ويثبت هذا ما قاموا به من جهود في نشر العلم وبناء المساجد وجلب الكتب من المشرق.وقد كان الإباضيون من المهتمين باللغة العربية . ـ التي كانت اللغة الرسمية ـ

[1]: مؤرخ عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وكان معاصرا لبني رستم ومعلوماته جيدة ومهمة.
[2]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص 101.
[3]: المرجع نفسه، ص 102.
[4]: المرجع نفسه، ص 106.
[5]: المرجع نفسه، ص 116.

وإتقانها بحفظ رسمها ونطقها جيدا. كما سعوا إلى تعريب الأ مازيغ، فأصبح علماء الدولة الرستمية يناظرون فقهاء العرب في قواعد الأصول...وعلم الكلام.

ومن أهم الشخصيات التي نشطت الحياة الفكرية، في المذهب الإباضي:" بعض الفقهاء المجتهدين خدمة للفكر الإسلامي وللحضارة الإسلامية والإنسانية الشيخ مهدي النفوسي (ق 3هـ) حجة في علم الاستدلال والبرهان، وأبو زكرياء يحي بن يوسف (ق 3هـ) أحد المجتهدين في المذهب وغيرهما كثيرون"[1].هناك الكثير من العلماء الأجلاء الذين بذلوا الجهود تلو الجهود لمد بساط الرقي الفكري والعلمي، حتى في غير الإباضية. وشكلت إحدى الروافد الكبرى للحضارة العربية الإسلامية في الإمارات الموالية.

شجع الحكماء الأدباء والشعراء ورع وهم مما دفع الحياة الأدبية أشواطا، برزت شخصيات نظمت قصائدها في أغراض مختلفة كالوصف والمديح والهجاء والرثاء... منها الإمام أفلح بن عبد الوهاب، والشاعر بكر بن حماد وسمك بن إسماعيل الزناتي التيهرتي، ولعل ما يلفت انتباهنا الشاعر بكر بن حماد الذي خصصت دراسة لشعره الذي عثر عليه حتى وإن كان نادرا وقال عنه عبدالمالك بن مرتاض " فإن شعره يتميز بالفحولة والجزالة وانصياع النسج"...[2]

يتجلى من قيمة شعر بكر بن حماد مكانة الشعر في الدولة الرستمية، وبروز شعراء أقحاح عمدوا إلى الاهتمام بهذا الفن، فجادت قريحتهم . وشهدت هذه الدولة ولادة الشعر الجزائري على يد بكر بن حماد؛ فقد عرف بالذكاء الخارق وشغفه بحب العلم،وتعلم الفقه وحفظ الحديث وروايته،وآثر الرحلة إلى المشرق للعلم بالخصوص بغداد والبصرة والكوفة والقيروان . فغدا من أكبر الشعراء ليعود إلى وطنه ولكنه تعرض إلى محاولة اغتيال فجرح ومات ولده الذي كان بصحبته ـ عبد الرحمن ـ فنظم قصيدته المشهورة في رثاء ابنه، كما نظم في أغراض أخرى وبذلك أحرز مكانة كبيرة لقيمة شعره اللغوية والفنية؛ حيث يضيف عبدالمالك مرتاض:" فإن بكر بن حماد كان أول شاعر جزائري يوقع

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 119.
[2]: عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، (دراسة في الجذور)، دار هومة ، الجزائر، 2009 ، ص 72.

عقد ميلاد الأدب العربي على النحو المكتمل" .. [1]. و إلى جانب هذا الشاعر برز شعراء آخرون. وشهدت الحركة الأدبية الفن النثري مثل الخطب والوصايا و الرسائل الديوانية منها رسالة الإمام عبد الوهاب التي أرسلها إلى نفوسة في مسألة خلف بن السمح الذي تولى ولاية نفوسة بعد وفاته أبيه بالإضافة إلى الأقاصيص والحكايات فقد ورد عن الإباضيين أنهم بعثوا في الفكر الإسلامي حيوية منقطعة النظير ساعدت العلماء والمفكرين على الإبداع الفكري والتنظير المذهبي: " كما ألف الإباضيون كتبا كثيرة ومتنوعة في مختلف القضايا"[2].

يتضح مما سبق أن تيهرت أول عاصمة حضارية مستقلة عن المشرق الإسلامي استقطبت علماء من جهات متعددة من البلاد الإسلامي، فضلا إلى ما أنجبته البلاد من علماء وأدباء، فاهتموا بالعلم وقضايا الفكر والثقافة والمجال الديني والمذهبي، والفلسفة فتركوا بصماتهم واضحة ساهمت كروافد للمستقبل، وهو ما يفخر به الشعب الجزائري ويعتز به شباب اليوم ويتخذه قدوة وهو يخطوا الخطوات العملاقة في مجال البناء والتشييد، وليس ذلك بعزيز على الشعب الجزائري .

ـ دويلات متتالية

شهدت الساحة العربية ميلاد الإمارة الفاطمية، فبسط الأغالبة نفوذهم حتى إنهم فتحوا ثلث جزيرة صقيليا تقريبا.فنشروا الحضارة العربية، ونظام الدول العربية الإداري، واقتبسوا العناصر الأساسية للثقافة الإسلامية في حياتهم الفكرية، ونشطوا الجانب التجاري، والبحري؛" إن الأغالبة قد تمتعوا بغنى مادي وقوة عسكرية هامة بسبب خصوبة الأرض وكثرة الثغور البحرية المسيطرة على تجارة البحر المتوسط.." [3]. يتضح من ذلك أن هذه الإمارة ازدهرت بالقدر نفسه لسابقتها، وهكذا عم الرخاء بفضل التجارة التي ربطت بين بلاد السودان بالبحر المتوسط وبلاد المشرق الإسلامي بالغرب الإسلامي و الأندلس.

[1]: عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم مرجع سابق، ص 139.
[2]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، ص 130.
[3]: المرجع نفسه، ص 138.

شهدت فترة الفاطميين نزاعات واضطرابات بينهم وبين الصنهاجيين، فلم يستطع الفاطميون تثبيت مذهبهم، ومعالجة الموقف، كما عزف الصنهاجيون عن اتخاذ موقف موحد فانقسموا إلى قسمين أحدهما اتخذ مدينة بجاية مقر له وعاصمته قلعة بنى حماد حيث يقول المؤرخون:" لم يستطع أنصار الفاطميين أن يعالجوا الموقف كما لم يستطع أمراء صنهاجة أن يأخذوا موقفا موحدا فانقسموا إلى فريقين وكون كل فريق منهما دولة خاصة ...الأولى شرقية وعاصمتها المنصورة،التي اندثرت بعد ذلك، والثانية غربية وعاصمتها قلعة بنى حماد،التي لاقت تطورا ملحوظا..."[1]

شكلت القلعة حصنا منيعا في وجه الهجمات المتوالية من جهات مختلفة، كما اعتبرت مركزا تجاري و صناعيا وعلميا؛ "تطورت القلعة بسرعة جاذبة التجار والمحترفين والطلبة، وكانت سوقا عظيمة للقوافل ومركزا صناعيا شهيرا بأقمشته "[2] يظهر من ذلك الازدهار الذي عرفته القلعة بسبب ما قدمه الإسلام لهذا الإقليم والشعب من وحدة اللغة والعقيدة، إلى جانب دور البربر وجهودهم الكبيرة في بناء الدولة الحمادية، فقد قامت مراكز ثقافية حضارية هامة لا تقل عن المراكز في المشرق الإسلامي ويتجلى في إخصاب الفكر واتساع التجارة وتطور العمران والفلاحة والصناعة.وتميز البربر بالإبداع في كل المجالات .

وكغيرها تنبني الدولة على أكتاف علمائها، فقد أنجبت هذه الدولة فطاحل الأدباء والشعراء والفقهاء والكتاب والمفكرين أمثال ابن رشيق المسيلي، سحنون القيرواني، والقاضي عياض السبتي وإبراهيم الأبلي، أحمد المقري التلمساني، وغيرهم كثيرون شاركوا كلهم في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية.لكن الشيء المهم في هذا كله الدور الفعال الذي لعبته الدولة الحمادية في إثراء نهضة أوروبا." إن حضارة هذا الإقليم ...انتقلت إلى معظم بلدان أوربا الجنوبية والوسطى والغربية، التي كانت تعيش أزمة تخلف حادة في كل المجالات "[3].

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص146

[2]: أندري بريان، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د،م،ط ، باريس 1960،ص 104.

[3]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، ،ص 155.

نفسر ذلك بالظروف التجارية التي أدت إلى انتقال الثقل الاقتصادي من القلعة إلى إفريقيا والمشرق الإسلامي إلى بجاية القابلة من غيرها للعلاقات بأوربا؛ حيث تطورت في تلك الفترة، إذ وصلت إليها فرق وشخصيات شهيرة متخصصة بالحقوق و الطب والشعر والعلوم مع قوافل التجار البرية والبحرية، فقد اعتبرت بجاية مقصد العلماء والتجار والأدباء.

إنّ إحدى مكونات قيام الحضارة حسب نظرية مالك بن نبي التراب ؛ الذي يتمثل في المكان لأن بجاية شكلت مركز إشعاع سطع في كل الآفاق. خلال العهد الحمادي تنفس الثقافة والعلوم السعداء داخل الدولة وامتدت خارجها فعبرت المكان والزمان؛ حيث يروي المؤرخون:" شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية هائلة خلال العصر الحمادي إلى العصور التي تلته وقامت به مدارس ومعاهد علمية ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة ونبغ بها علماء أجلاء وفقهاء ذوو الرأي في الشريعة الإسلامية، وشعراء فحول وحكماء تضلعوا في الفلسفة ... ورياضيين مبتكرون وطلاب علم ومعرفة من كل أنحاء العلم الإسلامي...إلى الأندلس وأوربا خاصة إيطاليا وجنوب فرنسا وبلاد اليونان..."[1] .

يتضح لنا أن بجاية هي إحدى المدن الجزائرية التي أظهرت للجميع حضارتها من خلال الحشد من العلماء الذين نشطوا الحياة الفكرية في مختلف الميادين من هؤلاء فتحوا مجالات جديدة كالرياضيات، والطب والصيدلة وعلم الفلك، وشكلت هذه العلوم روافد للنهضة الأوروبية.فقد ألفوا العديد من الكتب.

يقول الباحث روسكين جب :" ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطى" [2].في هذه الفترة كانت أوروبا تعيش في ظلمة خانقة تحت قيود الكنيسة التي كانت تسن القوانين حسب معتقداتها و أطماعها فتحذر كل عمل ينشر الوعي في صفوف الشعب، وتعاقب كل عالم إما بالقتل أو السجن،كما حددت حريتهم، فأخذوا بهذه العلوم، وبفضلها تمكن الأوروبيون من خلق نزعة جديدة في آدابهم .وشكل

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص 160.
[2]: المرجع نفسه، ص 162 عن روسكين جب، تراث الإسلام، بيروت 1972،ص 189.190.

الأدب الإسلامي رافدا للدراسات الأوروبية خاصة في الفلسفة، التي حفزت الأوروبيين ودفعتهم إلى عصيان تعاليم الكنيسة، والأخذ بمبدأ الفكر الحر، وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة.

إذا أرادنا أن نتحدث عن الفلسفة الإسلامية فإنها عرفت تطورا، ومن أهم الفلاسفة ابن رشد وابن طفيل وابن ماجة، وقد شكلت فلسفة ابن رشد مجالا واسعا، حيث حررت فلسفته أوروبا من الجمود و الروحانية و الخيالية، كما أنه اتخذ من العقل الفلسفي اتجاها .

كما اعتبرت بجاية محطة برزت فيها الرياضيات نقلوا أصول هذه بتحليلها ثم إعادة تركيبها من جديد. فنظام الترقيم أبدعه المسلمون بعد أن درسوا العلوم عن الإغريق والهنود؛ فهم تأثروا بها ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد؛ بل أضافوا عليها؛ إذ عكفوا على دراستها وخطا المسلمون خطوات عملاقة في تطوير علم الحساب والهندسة والجبر، فقد تمدوا على النظام العددي فحولوا نظام الجمل إلى نظام الترقيم، وتمكنوا من إيجاد نظام الخانات "ومن أعلام هذا الميدان مسلمة المجريطي (ت 1007 م) وتلاميذه ابن السمح، ابن الصفار، والكرماني، وأمية بن الصلت" [1]. كان الأوروبيون من الذين استفادوا من الرياضيات الإسلامية بالجزائر ثم نقلوها إلى أوروبا. ولعل الحجة الدامغة على مساهمة الحضارة الإسلامية في تنمية علوم أوروبا ما أفادت به المستشرقة "زغريد هونكه عند زيارتها للجزائر وشاركت في الملتقى السادس للفكر الإسلامي في " كتابها الموسوم ب " شمس العرب تسطع على الغرب" حيث تقول:" أردت من ورائه أن أعيد للدين الإسلامي مكانته الحقيقية وأن أضع في نفس الوقت خطوطا بارزة تحت الحضارة الإسلامية والشخصية النشطة الحية التي أنتجتها تلك الحضارة"... [2]. فهنا المستشرقة أشادت ببروز الحضارة الإسلامية ثم دور الشخصية الإسلامية التي أنتجت الحضارة وهذا الاعتراف لهو دليل على فعالية المسلمين سواء داخل بلادهم أو خارجها.

فقد شهدت مدينة بجاية مجالات أخرى لا تقل أهمية عن علم الفلك والطب والصيدلة ،ونتيجة لامتداد البلاد الإسلامية حتى إيطاليا و بلاد البلقان، فقد وصفت مدينة بجاية بأنها جسر

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق ص164.
[2]: علاء الدين مكي رقيق، أحاديث في الفكر والأدب والفن ، دار موفم للنشر ، د.ط،الجزائر، 2009،ص 78.

العلم بين المسلمين والأوروبيين الذين استنسخوا الكتب بعد أن نقلها المسلمون من التراث اليوناني ثم طوروه ونقحوه.وكذا تعديل بعض الحقائق فأصبحت علوما مقننة بقواعد وأصول، فضلا إلى عدة أبواب جديدة ؛ فبين ذلك الفرق الشاسع بين مستوى المسلمين وأوروبا.

وزيادة عن العلوم الكثيرة التي بينت حقيقة المسلمين في بجاية والمغرب الإسلامي، التي لو تطرقنا إليها لأفردنا لها الصفحات الكثيرة ،برزت ميادين أخرى كالجغرافيا التي اهتم بها المسلمون باعتبارها علما قائما، وامتدادا لعلوم أخرى مثل علم الرحلة؛ الذي عبر من خلال رواده عن بجاية ومدى الازدهار الذي عرفته في تلك الفترة حيث يقول الحسن محمد الوزان في الكتاب الذي كتبه في وصف إفريقيا:" وقد زودت بجاية برقعتها الواسعة، أوربا بصناعة الشمع، الورق والزجاج، والخزف ونسيج القطن والصوف والحرير. وهكذا يمكن القول إن الغرب الإسلامي بأقاليمه الواسعة والجزائر بالذات وبجاية والمهدية والقيروان وصقلية هي التي بعثت الحياة في أوربا الجنوبية و الغربية "[1] .

يمكن القول بأنّ المراكز الثقافية الحضارية ببجاية شاركت بمجهود ها الكبيرة في بناء معالم الحضارة العربية الإسلامية وإرسائها. برز الكثير من الأعمال والإبداعات في مجالات مختلفة ومتنوعة أنارت لأوروبا الطريق، وتقتفي سبلا للتخلص من كابوس الكنيسة الديني وجبروت الباباوات، وقد أشرنا إلى عينة تشكل جزء صغيرا من الكثير ؛ لنبين عراقة الحضارة الإسلامية بالجزائر في مرحلة من مراحلها.

والمرحلة الموالية هي الدولة المرابطية؛ والكلمة مأخوذة من الفعل ربط يربط رباطا ومرابطا والرباط في الإسلام هو المكان الذي يتمركز فيه المجاهدون للدفاع عنه من الأعداء.حيث يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران الآية 200 : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[2]، وظهرت الرباطات في الغرب الإسلامي: " كرباط

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ص 172.عن هونكة ص32.
[2]:القرآن الكريم برواية حفص، سورة آل عمران الآية 200.

الإسكندرية بمصر ورباط القيروان بتونس ورباط شاكر بالمغرب الأقصى على ضفة واد نفيس جنوب مدينة مراكش، أين دفن نفسه أحد جنود عقبة بن نافع الفهري " [1] .وأصل المرابطين قبيلة صنهاجة الأمازيغية الكبيرة، إذ يروي المؤرخون أنها كانت:" متمثلة في فرعيها لمتونة وجدالة في جنوب المغرب الأقصى، علا شأنهما بالإسلام في أواسط القرن الثاني الهجري فصار أحد أفرادها ملكا على هذه الرقعة و ما جاورها وبسط نفوذه وسلطانه على جهات كثيرة من الصحراء وحارب الوثنية، ونشر الإسلام. وتوالت السلطة بين أفراد العائلة وأبناء العمومة من القبيلتين السابقتين مع العلم أنهم كانوا يتلقون العلوم الدينية من المشرق فضلا عن العلماء في المغرب الإسلامي من أجل نشر تعاليم الإسلام بين أفراد المجتمع، إلا أن هذه الكتلة الشعبية لم تكثر للدعوة ، فقرر هؤلاء وعددهم عشرة (عبد الله بن ياسين الجزولي والأمير يحي بن إبراهيم وانضم إليهما سبعة من الجداليين و واحد من اللمتونيين) وذهبوا إلى جزيرة في منحنى نهر النيجر قرب مدينة تمبوكتو وبنا رباطا للإقامة و التعبد. وبعد ما اشتهروا بالعلم والعبادة وفد عليهم عدد من زعما قبيلة صنهاجة، فعكف هؤلاء الفقهاء على تعليمهم وتثقيفهم وتهذيبهم وسماهم بالمرابطين؛ لأنهم لازموا الرباط، فحبب عبد الله بن ياسين إليهم فكرة الجهاد في سبيل الله"[2].

تمسكت هذه الإمارة بالإسلام؛ لأنها قضت على الوثنية التي أفرزت فوضى الظلم والاستعباد. ونشر المبادئ السامية بين أفراد المجتمع القبلي ولعل ما فعله زعماء قبيلة صنهاجة عندما لحقوا بالعلماء طلبا للعلم خير دليل على الوعي الذي اخترق قلوب وعقل هؤلاء الأشخاص ويقينهم بقيمة الإسلام وصدق الفقهاء.أما الشيء الثاني الذي نستخلص هو محبة هؤلاء الأفراد للعلم، وبذل الجهد للحصول عليه؛ حيث التجئوا إلى المشرق للتزود به ثم العودة لتعليم أهل الديار، والبحث عن العلماء للتفقه ومساعدتهم في نشر الإسلام، والإرشاد والنصح والتهذيب، فضلا عن اعتباره منهجا في الحياة.

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق ،ص 173.
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص 176.

" توال الجهاد في سبيل الله من قبل المرابطين بقيادة الجازولي ، ونشر الإسلام في المغرب الإسلامي ،و الأندلس، وبعد مقتل ابن ياسين تولى الإمارة أبو بكر بن عمر اللمتوني، ثم استخلفه ابن عمه يوسف بن تاشفين، الذي أنشأ مدينة مراكش كعاصمة للإمارة ، ثم واصل الحرب ضد المتخلفين عن الدين الإسلامي، واقتحم تلمسان، وجعل محمد بن تنعمر المرابطي حاكما لها.وامتد حكم ا لم رابطين دول أوربا من مدينة الجزائر شرقا إلى أحواز طليطلة شمال الأندلس غربا، إلى أعماق الصحراء جنوبا"[1].

يظهر مما سبق أن الإمارة المرابطية خاضت مسيرة همها الوحيد هو نشر تعاليم الإسلام وإعلاء كلمة الله في المغرب الإسلامي، و دول أوروبا.

ساهمت المظاهر في عهد المرابطين في إبراز قوتهم في الحروب، وشدة حماسهم في الجهاد الديني، كما عُرفت بالرخاء ونفوذ واسع في التشريع، والشؤون السياسية، وكذلك المجلات الفكرية.إلا أنها لم تعمر طويلا نتيجة سقوطها بسبب الموحدين التي نشأت بفضل محمد بن تومرت، الذي اعتمد على أسس دينية شعارها الأمر بالمعروف النهي عن المنكر "استندت حركة ابن تومرت على أسس دينية واضحة قبل أن تتحول إلى حركة سياسية وقامت على شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2].

إذ أن ابن تومرت كغيره من القادة اكتملت شخصيته بتعلمه في الأندلس، ورحلته إلى المشرق ثم الإسكندرية للغرض نفسه.كما أدى فريضة الحج، وبعدها انتقل إلى دراسة الفقه والأصول والحديث على أجلة علماء بغداد، وقد تأثر بنظريات الغزالي في علم الكلام، والأصول والحديث.

حقق المهدي بن تومرت انتصارات عديدة في المغرب العربي،وبعد وفاته بايع الموحدون رفيقه عبد المؤمن بن علي الذي زحف إلى المغرب الأوسط، ففتح بجاية الحمادية ثم الجزائر وتلمسان. كما توسع

[1]: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص(182_184_184).
[2]: المرجع نفسه، ص187.

شرق وغرب وشمالا:"حرر عبد المؤمن بن علي تونس من حصار النورمان، كما عبر إلى الأندلس بعد أن اكتسح بلاد المغرب العربي..."[1]

اهتم عبد المؤمن بن علي منذ صغره بدراسة علوم اللغة والآداب العربية ، والفقه والتوحيد والتاريخ، حتى أصبح عالما كبيرا . ولولا مشاغله السياسية والعسكرية التي تقلدها لخلّف لنا تراثا فكريا هائلا. فضلا على أنه رجل إدارة قوي أحكم إدارة دولته الواسعة وفرض عليها الطاعة والنظام ..." فهو رجل علم وثقافة واسعة وفقه ،وتبحر في العلوم والمعارف العربية الإسلامية حتى أصبح في مستوى أستاذه ابن تومرت كما نقل إلينا كتاب أستاذه في الفلسفة والتوحيد والنظريات السياسية والدينية....وهو رجل عسكري عظيم وصل إلى مستوى صلاح الدين... وهو رجل اقتصادي على مستوى رفيع ..."[2].

احتلت المنطقة متميزة في ظل الموحدين، إذ شمل ال تطور كل نواحيها العلمية والأدبية والاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى الاهتمام بالإسلام والحفاظ على مبادئه.وإن الجزائر لتفخر بهذا الرجل، وتنحني إجلالا له ولأعماله وجهوده في سبيل الإسلام والدولة الإسلامية ومجد المسلمين جميعا، والمساهمة في بناء الحضارة الإسلامية خارج حدودها.

ومن الإمارات التي ساهمت في ازدهار الجزائر ورقيها الإمارة الحفصية التي أسسها أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني أحد رجال ابن تومرت ،و مركزها في تونس إلا أنها نشرت نفوذها في الجزائر وخارجها شمالا، وتحققت لها البيعة "زحف هذا القائد إلى ولاتي قسنطينة وبجاية والجزائر ثم تلمسان فعلا شأن الحفصيين في معظم المغربيين الأوسط والأدنى وجاءتهم البيعة من كل جهة داخل إفريقيا والأندلس ومكة واشبيلية"[3].

[1]: يحي بوعزيز، ينظر الموجز في تاريخ الجزائر ، ص195.
[2]: ينظر المرجع نفسه ص199.
[3]: ينظر المرجع نفسه ،ص201.

وبهذا تميز الحفصيون بالدفاع عن الأرض مما ذكرته كتب التاريخ عن هذه المعارك معركة الجزائر مع لويس الثاني الفرنسي "وقد عرفت أرض الجزائر معركة عنيفة بين الحملة العسكرية الصليبية بقيادة لويس الثاني (ملك فرنسا) والقوات الحفصية،كما واجهت هجمات القراصنة على الموانئ الجزائرية فلعبت بجاية دورا هما في بعث حركة المقاومة بما أنشأوه من أساطيل ضخمة سخروها لرد العدوان الأوروبي"[1] .

يتبن مما سبق بأن الدولة الحفصية عرفت حركة نشيطة في الصناعة خاصة صناعة السفن والعتاد الحربي و كذا تميز الجزائريون بالخبرة في ميدان البحرية العسكرية، واكتسابهم فنيات التخطيط والتنفيذ في مجابهة الأعداء و الغزاة.

ولم يخل عهد هذه الإمارة من النشاطات في الميدان الحضاري، فازدهرت التجارة الداخلية والخارجية مع أوروبا ومصر والسودان، وعرف العمران تقنيات البناء الإسلامي الأنيق، ورقت الحركة الفكرية والثقافية، وأكثر ما شرف هذه الإمارة وجود المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون " لعل الحدث الكبير الذي أشاع هذه الإمارة هو وجود المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون الذي ألف مقدمته التاريخية الكبيرة وأتمها في قلعة سلامة قرب مدينة فرندة بجنوب ولاية وهران وذلك عام(776 هـ - 1374 م)"...[2]

بسبب استبداد بعض أمراء الإمارة أدى إلى تفكك الدولة الحفصية وزوالها.

- فترة الزيانيين

إلى جانب الحفصيين سكن الجزائر المرينيون، وأصلهم من قبيلة زناتة، وشهدت هذه الإمارة صراعات عنيفة بينها وبين بني عبد الواد، فأحيان تسيطر على المغرب الأوسط، وأحيان أخرى يسيطر بنو عبد الواد."شهدت هذه الإمارة صراعات عنيففة بينها وبين عبد الواد بقيادة ياغمراسن إلا أن

[1]: ينظر يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص202.
[2]: ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها

المرينيين استطاعوا السيطرة ....لكن لم يستقر حالهم تماما بسبب كثرة الانتفاضات من قبل بني عبد الواد.."[1].

يتضح من الحالة التي ميزت الجزائر أثناء إمارة المرينيين، إنها لم تشهد تطورا حضاريا مثل غيرها من الدويلات السابقة إلا في تلك النشاطات التي يحتاجها أفراد المجتمع مثل الصناعات اليدوية والزراعة، والحياكة، والتبادلات التجارية الداخلية.

ومن الإمارات التي رسخت مكانة الجزائر في أذهان العرب والغرب دولة بني عبد الواد الزيانية التي نشأت على أرض تلمسان، فاعتبرت عاصمة الجزائر لأكثر من ثلاثة قرون فكانت بذلك مقصد العلماء ونالت إعجاب التجار، وذوي الصناعات، وأثارت فضول الرحالة لزيارتها."ازدهرت خلالها الفكر، وأخصبت الحضارة وتطور العمران واستهوت العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة مما جعلها مدينة الفن والثقافة والتاريخ..."[2]

شهدت تلمسان حركة تجارية كبيرة، واهتم بنو زيان ببناء القصور المؤنقة و لمنازل الجميلة واغترسوا الرياض والبساتين، وكان ذلك على الطراز الإسلامي، كما كانت مقصد العلماء نتيجة حرص الأمراء على تحقيق الاستقرار وحماية المدينة من العدو الداخلي والخارجي . فقد قال عنها البكري: "هي مدينة المغرب الأوسط ودار ملك زناتة ومتوسط قبائل البربر ومقصد تجار الآفاق بها أسواق، ومساجد وجامع وأشجار وأنهار ...."، وقال عنها شاعرها الفحل محمد بن خميس:

تلمسانُ لو أنَّ الزَّمَانَ بهَا يَسْخُو مُنىَ النَّفْسِ لا دَارَ السَّلاَمِ ولا الكَرْخَ...[3].

برزت شخصية بني عبد الواد، وهو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد؛ والذي تميز بشدة بأسه وعظمة المكانة وجلال المنزلة؛ فقد كان يتمتع بعزة النفس، واشتهر برصانة الرأي، وسداد

[1]: ينظر يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص208.
[2]: المرجع نفسه، ص 210.
[3]: ينظر المرجع نفسه، ص216.

التدابير "تميز يغمراسن بقوة العزيمة وحسن السيرة في الناس وتدبيرا وسياسة، اعتنى بتنظيم قواته العسكرية ...."[1].

هذه الشخصية الفذة حققت الاستقرار أحد عناصر الحضارة حسب رأي مالك بن نبي ،مما جعل تلمسان ترقى إلى مكانة مرموقة ، فوفد إليها رجالات الأندلس أمثال الكاتب والشاعر البليغ أبو بكر بن خطاب الذي تحول إلى كاتب الإمارة، يتولى تحرير رسائل يغمراسن إلى كل الجهات . وبذلك شق طريق دولته وسط الأشواك ، ثم تواصل هذا العمل من قبل شخصية أخرى لا تقل أهمية عما سبقتها، وهو أبو حمو موسى بن عثمان الذي قال عنه ابن خلدون: "وكان صارما، يقظا حازما داهية، قوي الشكيمة .. مفرط الدهاء والحدة،شريف الأخلاق، وهو أول ملوك زناتة الذي رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، قلب لهم محن بأسه حتى ذلوا لعز ملكه وتأدبوا بآداب السلطان "[2] .

إنّ من مميزات الدولة المستقرة، قوة السلطان في قيادته للرعية، وحسن تدبيره خارجيا ومما جعل لدولة بني زيان مكانة تحسد عليها، هو ما قام به أبو حمو موسى الذي سعى إلى تحقيق السلم فعم أمراء بني مرين، وقلم أظافر الحركات المنتفضة في نواحي الونشريس ، وشلف ...كما غير الولاة في المناطق التابعة للإمارة، وسيطر على عدة مناطق تابعة للحفصيين، ونشر نفوذه في كامل الجزائر. بالإضافة إلى براعة "أبو حمو موسى " في رد الصراعات والصدمات التي كانت تتوالى من قبل المرنيين و الحفصيين. و بناء الدولة المتطورة تشكلت بذلك أنم وذجا فريدا أبهر العا لم كله "فقد كان أمراءها يسعون إلى تكوين إدارة صامدة لخلق مجتمع متطور وحضارة راقية ، وثقافية، وزراعية صناعية"...[3]، " ظهر نظام المدارس في الدولة العبد الوادية....وإنشاء المدارس وشكل تطورا في الجانب الثقافي

[1]:ينظر يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص222.
[2]: المرجع نفسه، ص225.
[3]: المرجع نفسه ، ص 238.

والتعليمي"..[1]، " ربطت دول المغرب العربي الإسلامي علاقات متنوعة وقوية مع دولة المماليك بمصر- توفر الظروف المناسبة لطلبة العلم والحجيج، ويقصدون المناطق الثقافية من حيث الازدهار الثقافي.."[2]

عملت تلك الشخصيات المرموقة في دولة بني زيان على تحقيق الاستقرار والأمن، ونشر العلم والمعرفة في ربوع الجزائر، إلا أن الحضارة وبفعل تدخلات الحفصيين في شؤون تلمسان عرفت أفولا في ميادينها بدء من فتح باب الحروب، بالإضافة إلى تخاذل وتناحر أمرائها، ففسح الطريق أمام الغزاة في كل مكان صنعته الأيادي الإسلامية. فالاستعمار قضى على حكم الدولة الإسلامية بالأندلس ووجه نظره نحو المغرب العربي فكان له الفرصة في إضعاف الدولة الزيانية، والإسلام.

- فترة العثمانيين

تميزت الجزائر بزخم تألفي تمثل في شخصيتها الجغرافية و السياسية والدينية والثقافية بعد توالي عدة إمارات، ودويلات؛ كان همها الوحيد نشر الإسلام، والحفاظ على مبادئه وضمان سلامة سكان هذه الرقعة، ورصد لنا التاريخ جهود العلماء، وقادة ساهموا في الدفاع عنها دفاعا مستميتا إلا أن دوام الحال من المحال، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن ؛ إذ تعرضت الجزائر للعدوان الاسباني وكان الحل الوحيد لذلك الاستنجاد بالدولة العثمانية " إلا أن العدوان الاسباني احتل حصون جزائرية شكل خطرا كبيرا فاستنجد الجزائريون بالدولة العثمانية، إذ ظهر الأخوان خير الدين وعروج الذين شرعا في عملهما فقضا على أطماع الأسبان..."[3].

كان استنجاد الجزائر بالعثمانيين نعمة من جهة، حيث تشكل بينهما تحالفا سياسيا وعسكريا، وخاضوا حروبا في البحر والبر خارجيا من أجل القضاء على القرصنة ابتداء من إسبانيا ومنتهين بدول أوربا خصوصا فرنسا وبريطانيا، " فقد كان الجهاد البحري (وهو الذي يطلق عليه

[1]: محمد مكيوي، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية، ، دكتوراه في الفنون جامعة تلمسان، 2008/2007،ص 128- 129.

[2]: عبد الرحمن بالأعرج ، العلاقات الثقافية بين دولة بن زيان والمماليك، ، ماجستير، جامعة تلمسان 2007/ 2008، ص106.

[3]: عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830 – 1962)، ،د،ط،م، الجزائر،1990، ص14.

الأوروبيون اسم القرصنة والذي كان الأول ضد إسبانيا فقط لموقفها العدائي من مسلمي الأندلس والمغرب العربي، ثم أصبح عاما ضد جميع الدول الأوروبية التي لا تدخل في اتفاق سلمي مع دولة الجزائر) هو الباعث على وجودهم على شواطئ شمال إفريقية"[1].

شكل هذا التحالف نقمة على الجزائريين بظهور ظاهرة العنف في الحكم في كل علاقاته مع السكان، بما في ذلك كان المنصب يشترى بالمال" فسواء نظرنا إلى شكل الحكم نفسه أو علاقته بالسكان أو إلى الأحكام الصادرة عنه فإن ظاهرة العنف كانت البارزة في كل ذلك"[2].

هذا في ما يخص الجانب السياسي، الذي ساد الجزائر أثناء الوجود العثماني، لكن بوفودهم إلى الجزائر حل معهم عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين فروا من اضطهاد الأسبان، فحملوا معهم أنماط حضارتهم فارتقت بوجودهم العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتاب. " أصبح الأندلسيون يشكلون عنصرا بارزا مؤثرا من السكان بحركتهم التجارية وذكائهم وصنائعهم ومهارتهم في البحر وقد طبعوا المدن الجزائرية"...[3].

يتضح من ذلك أن الوجود العثماني الذي لعب دوره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأوّل ذلك ربط الجزائر بالمجتمع الشرقي، وما حملته الحضارة العربية الإسلامية من جانب الصناعة والعمارة ونشر العلم بإقامة "حبوس" على ذلك. بالإضافة إلى حركة التجارة البحرية والبرية فذاقت الجزائر من كل الحضارات وهذا لا يعني أن المجتمع الجزائري لبس ثوب الوافدين؛ بل ظل محتفظا بقيّمه العربية الإسلامية؛ إذ تمسك بالروابط الموحدة دينيا ، وسياسيا، وخلقيا، ولغويا بالرغم من أنه لا يرقى إلى المجتمع الوطني الذي وصل إليه الآن ؛ لكنه اكتسب صفات المجتمع الواعي المتماسك ، والمتجاوب بفضل ما عرفه خلال الحقب التاريخية الماضية.

[1]: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، دار البصائر ، الجزائر،ط 9 2009، ص141.
[2]: المرجع نفسه ص143.
[3]: المرجع نفسه، ص 149

ارتقت الدولة الجزائرية في عهد العثمانيين ؛ إذ عرفت تنظيما إداريا وسياسيا، فقد كانت تمثل اسطنبول الصغرى، تختلف عنها إلا في تفاصيل صغيرة :" فتشكلت وزارات في جميع الميادين وهي .. وزارة الخزناجي وهي تتعلق بكيفية جمع الأموال في خزينة.

ـ آغا العرب وهي تتعلق بقيادة القوات البرية.

ـ خوجة الخيل وهي مرتبطة بجمع الضرائب.

ـ بين المالجي مختصة في صيانة الأوقاف وإدارة أملاك الأموات..."[1].

نستنتج من ذلك أن الدولة العثمانية بـقدومها إلى أرض الجزائر بدأت في تنظيم المجتمع لأنها اشتركت مع الجزائر في فهمهما العميقين ونظرتهما إلى الجهاد، وإحساسهما المشترك لمحاربة العدو سواء داخل الحدود أو خارجها. بالرغم من انتشار الكثير من السلبيات إلا أنها شهدت رقيا في بعض الميادين كالتجارة والصناعة، والعمران وانتشار التعليم.

لم تهتم الدولة العثمانية بتوجيه التعليم. إلا أنها شجعته بالسماح للعلماء من خارج الجزائر للتوظف وتعليم الشعب، كما سمحت بإرسال الطلبة إلى البلاد الإسلامية للتعلم والتفقه في الدين فكانت الجمعيات الخيرية والأولياء مشرفة على هذه العملية . ارتبط التعليم بالنص القرآني. فقد كشفت الكثير من المصادر عن حالة التعليم في الجزائر أثناء العهد العثماني . إلا أنهم لم يتوسعوا في عرض حدوده. ومما وصلنا شي قليل بالمقارنة مما كان عليه فقد أكّد بعض المؤرخين عن استعداد الجزائريين للتعلم فقال: " وعن استعداد الشعب الجزائري للتعلم واحترامه للمعلمين "فشو" نفسه قد نوه باستعداد الجزائريين للتعلم ومهارتهم فيما تعلموه من علوم وصنائع..." وقال "الحسين الورث يلاني وبالجملة فإن وطننا طيب فيه العلم بعد أن عدّد أماكن شاهد فيها العلم حيا..." [2]. وأورد بعض الرحالة الذين وفدوا إلى الجزائر في العهد العثماني أنهم شهدوا انتشار التعليم، وكذا تقارير الفرنسيين

[1]: ينظر عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر ، ص16.
[2]: أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص317.

غداة الاحتلال بأن عدد المتعلمين يفوق عددهم في فرنسا آنذاك.بالإضافة إلى ما خلفته الدولة الزيانية من مدارس، فكان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن وقرية من القرى.وقد تميز التعليم بانتشار المعلمين وكثر المترددون عليه ، فسيطرت على التعليم العلوم اللغوية تم يليها بعض العلوم الأخرى كالحساب، والفلك والطب والصيدلة، والفرائض والوثائق.... كانت مصادر هذه العلوم في بادئ الأمر من الكُتَّاب، والزاوية لتعليم اللغة العربية بقواعدها ، وتحفيظ القرآن الكريم، والسنة النبوية إضافة إلى بعض التفاسير، فظهر بذلك عدة علماء أناروا للجزائر طريق التحضر والرقي. ولعل من الأسباب التي شجعت العلم والتعلم ظهور الطرق الصوفية وانتشار مبادئ كل طريقة، مثلما انتشرت مبادئ الشيخ بن عربي مع الوافدين من الأندلس يتبين ذلك من خلال اطلاعنا لعدة كتب. ومن المدن التي شهدت حركة كبيرة في انتشار المراكز التعليمية هي قسنطينة والجزائر وتلمسان وميزاب في الجنوب، ومن أشهر المعلمين الداوودي، والقشطولي وابن الحفاف بالعاصمة ، كثرت المدارس في الجزائر سنة1830 ألفي مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية.

وكتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبرا) عندما زار الجزائر سنة 1831 فيقول:"حاولت البحث عن عربي واحد في الجزائر لا يعرف القراءة فلم أجد، بينما كان منتشرا في جنوب أوروبا من بين أفراد الشعب"... [1]. انتشر التعليم في الجزائر باعتراف المستعمر الفرنسي ، عندما ولج إلى القضاء على المدارس بحرقها أو تحويلها إلى مدارس فرنسية، وتوجيه التعليم وفقا لسياسته.

إنّ الفكرة واضحة الآن عن قيمة هذا البلد الذي عاش يناضل شعبه من أجل إثبات وجوده في العالم، فقد تملكني الإعجاب والانبهار وأنا أقرأ سطور الكتب التي يروي كُتّابها عن التاريخ المجيد لهذه الرقعة الذهبية، ولعل ما قيل وما يقال عنها لقليل، ولا يوفيها حقها، فالموضوع واسع ، ويتطلب عدة سنوات من أجل البحث ، والتحليل، والتنقيب عن الحقائق المجهولة عن الجزائر عبر قرون مضت لأجل ترسيخ حياة شعب وأجيال خلدت أسماءها ؛ والتي صمدت خلال هذه القرون ، وبقيت حية رمزا وأسطورة، فقد كان عمل أبنائها دائما بطوليا ، و ظاهر للعيان جليّ بثمرته الطيبة خلال العصر

[1]: ينظر الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر قبل الاحتلال، عن المكتبة الإسلامية http://library.islamweb.net .

الحديث، الذي سوف يكون لنا عنه دراسة مستفيضة لكل الجوانب الفكرية والحضارية بالتطرق إلى أهم القيم التي أفرزت ذلك.

المبحث الثاني: مفهوم القيمة

كيف تكتسب مكانتك في المجتمع، إذا لم تكن لك فعالية فيه ؟ فالشخص هو الذي يحمل بوادر التغيير في نفسه أولا ثم في مجتمعه ثانيا سواء بالسلب أو الإيجاب ولنركز على الجانب الإيجابي؛ إذ أنه يحتفظ في باطنه على المكونات الشخصية نتيجة تربيته وعقيدته الإسلاميتين ويمكن أن نعتبر أحد هذه الأشياء هي القيم إذن ما المعنى الذي تشغله القيمة؟

"القيمة ":هي كثيرة الانتشار في عصرنا؛ إذ تدل على اسم النوع من الفعل "قام" أي قام الشيء و استقام بمعنى اعتدل واستوى...[1]

فلفظ القيمة أصله من الفعل "قام" ويدل على الجانب الايجابي في مدلوله.فنتوسم منه الارتكاز على صفات الاعتدال و الاستواء.

إذ نجد في التنزيل العزيز قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2]

وفي الحديث النبوي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:< قُل آمنتُ باللهِ ثُمَّ اسْتَقِم> والاستقامة هي اعتدال الشيء واستواؤه.

قيّم: مستقيم، قال تعالى ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [3] أي مستقيمة.

---

[1]: فضيلة صديق، القيم التربوية في شعر الطفولة بالجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان 2000-2001، ص45. من معجم ابن منظور ج12 ص496.

[2]: القرآن الكريم، برواية حفص ،سورة فصلت ، الآية 30.

[3]:القرآن الكريم، برواية حفص، سورة البينة ، الآية 03.

وقال جلّ جلاله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] أي المستقيم[2].

- من الجانب المادي: فالقيمة خاصية تجعل الأشياء مرغوبا فيها، وهذا على ضروب ثلاثة:
  - قيمة استعمالية: valeur d'usage عندما نقابل سلعة بسلعة أخرى أو بالنقد.
  - قيمة معنوية :من وضع اللآهوت ريتشل وغايته أن يقي الدين من هجمات العلم بأن يُعيِّن لكل منهما مجالا خاصا لعلم الظواهر والقوانين وللدين القيَّمْ.
  - القيمة الرياضية : نقول إنّ " 3 "هي قيمة "س"إذا كان الرمز "س" يرمز إلى العدد3 كذلك نطلق كلمة قيمة على الاسم الذي نضعه مكان الرمز في دالة القضية لتتحول إلى قضية فاسم " العقاد" هو قيمة "س" إذا ما وضعناه مكانها في الدالة "س" إنسان لتصبح العقاد إنسان.
  - قيمة الصدق: truth value تعني أنّ أي قضية هي إما صادقة أو كاذبة و معنى ذلك أن هناك قيمتين:
    - الصدق والكذب، ولكن بعد تطور المنطق أصبح لدينا أكثر من قيمتين.[3]

نستخلص أنّ القيمة مرتبطة بمتغير كيفما كان، فهي تكسبه مميزات تجعله مطلوبا ومستعملا إذن فالقيمة لها علاقة بالأشياء، فمثلا في مجال الأدب؛ الشعر له قيم كثيرة، وهي مرتبطة بالشاعر الذي يتفاعل مع الظروف المحيطة به، فينتج لنا فنّا لأنّه هو الحامل الوحيد للقيم في هذه الظروف سواء بالإيجاب أو السلب، فنجد هذه القيم مبثوثة في رسالته (الشعر)، فنسمع بالقيم الروحية في الشعر تفرزها غريزة العلو في الشاعر، وقد نلحظ ذلك إذا تطرقنا إلى الشعر الجاهلي ؛ عندما كان الشاعر متأثرا بالطبيعة القاسية، فهو يحاول الانتصار عليها وتحقيق ذاته. بالمقابل نجد هذه القيم الروحية في شعر صدر الإسلام أين تظهر اللمسة الإسلامية في النص الشعري ويتضمن تلك

[1]: القرآن الكريم، برواية حفص، سورة الروم، الآية 30.
[2]: جلال الدين محمد بن أحمد، جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010،ص 307.
[3]: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، باب القاف، دار قباء الحديثة، القاهرة، د.ط، 2007، ص506.

التوجيهات و المبادئ التي جاء بها القرآن على لسان نبيّ الأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقيم الأخلاقية من جهة أخرى في شعر العصر الأموي مثل الغزل العفيف بين العشاق؛ نلاحظ ذلك من خلال تلك العلاقة الطاهرة والنقية بين جميل بثينة وغيرهما من الشخصيات المعروفة، إضافة إلى القيمة السياسية كذلك عند بروز الأحزاب السياسية، وظهور الصراع حول الخلافة بين آل البيت والأمويين والعباسيين .

- ونجد القيمة ترادف الثمن ، وقيمة الإنسان هي ما يحسنه، و يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير...[1]

مفاد القيمة :مقابل الموجود، و قيمة الإنسان بالعمل الذي ينجزه، كما هي ما يتصف به الشيء من مميزات ، وخصائص تجعله ينال التقدير .

جاء في المنجد اللغة العربية المعاصرة بأنّ القيمة :هي الثمن أو السعر فمثلا "قيمة بضاعة" "قيمة أسهم شركة ثمن معادل"، "هذا الشيء يساوي قيمته": صفة جديرة بالتقدير "قيمة مؤَلف"،"قيمة عمل" قوة وأهمية وقدر، قيمة حُجَّةٍ"،" لهذا المسعى ذو قيمة" :فائدة جدوى،"لا قيمة له"، "ذو قيمة": دلالة قدْر أدبّي أو أخلاقي،"قيم أخلاقية": قدر، عديم القيمة يُقال لما لا خير فيه لا أهمية له.علم القيم : القيم الأخلاقية، قَيْميّ: متعلق بعلم القيم...[2].

ونجد في معجم الرائد قَيِّمٌ: على الأمر الذي يتولاه، ويُشرف عليه.ذي قيمة: مستقيم،قيمةٌ جمعها قيَّمٌ : ثمن يعادل المتاع، درجة الأهمية...[3]

نستنتج مما سبق إنّ القيمة هي ما يجعل الشيء مميزا، وله أهمية؛ تتمثل في المنفعة التي يحققها والنتيجة التي نصل إليها فالوقت كالمال في حسن استغلاله، أو العكس، والوقت كالصديق الوفيّ، كما يمكن أن يكون عدوّه اللدود؛ لأنّ قيمته الحقيقية تكمن في حسن استغلاله وتحقيق الأهداف. غالبا

[1]: محمد بوزواوي، معجم المصطلحات الفلسفية ، الدار الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر 2009، ص 165.
[2]: مجموعة من اللغويين المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق ش.م.م، بيروت لبنان،ط2،2001،ص1198.
[3]: جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3،2005، ص722.

نحكم على القيمة بالإيجاب عندما نقول ذو قيمة أي له قدر، وفائدة، وأهمية.وهو المتداول في الحياة اليومية.

1 ـ لسانيـــــا:

القيمة في الإطار اللساني (Valeur)أحد المفاهيم الأساسية المستثمرة في عدد مهم من الحقول العلمية، والنظريات الاجتماعية، والاقتصادية، والتصورات الجمالية، وفي الدراسات اللغوية.

ويكتسي هذا المفهوم بالنسبة للسيميوطيقا السردية أهمية كبيرة، حيث يتخذ موقعا مهما داخل المسار التوليدي برمته بصفته اقتصادا عاما منظما للنظرية، وداخل مستويات المسار التوليدي.

نتطرق إلى تحديده النظري ثم الإجرائي ، الذي يسهم في إبراز الفعالية النظرية والمنهجية لمستويات النظرية.

"يرجع مفهوم القيمة في مجال الدراسات اللغوية والسيميائية إلى فردناند دوسوسير الذي أدرج في سياق حديثه عن موضوع اللسانيات، مفهوم القيمة اللسانية، واعتبر أن اللسان يعد نسقا من القيم الخالصة، وأن كل عناصر النسق تعد عناصر متلازمة ومتضامنة، وأن قيمة كل عنصر تنتج عن الحضور الموازي للعناصر الأخرى، لذلك فإن قيمة كل عنصر لا تتحدد إلا في علاقتها الاختلافية مع العناصر الأخرى وهي تطرح بهذا مسألة المعنى الذي لا يتحقق سوى من خلال العلاقات الاختلافية"...[1].

[1]: عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية /www.minculture.gov.ma/ ص1

يتعرض "دي سوسير" إلى القيمة اللسانية، لأنّ اللغة قيمة خالصة من القيم، وكل عنصر منها متلازم ومتضامن مع بعضها البعض، ويكتسب كل عنصر قيمته من خلال مقارنتها بعناصر أخرى المختلفة أين تظهر وتتحدد هذه القيم.

ومن تجليات مفهوم القيمة على مستوى المسار التوليدي:

.أ . على مستوى البنية الأولية للدلالة

شكل مفهوم القيمة اللسانية عند دوسوسير أحد المفاهيم والمرجعيات التي مثلت جزءا من الإبدال النظري الشمولي للسيميوطيقا الگريماصية مثل الأصول اللسانية التوليدية أو الأصول الشكلية المتمثلة في الدراسات الروسية حول الحكاية الشعبية أو غيرها من الأصول الأخرى، وقد استثمر گريماص مفهوم القيمة عند دوسوسير منذ دراساته الأولى لبلورة المفاهيم الأساسية في البناء النظري وخاصة مفهوم البنية الأولية للدلالة .وقد حدد البنية بصفتها مكونة من عنصرين وبينهما علاقة : (س1 / س2)

يعني أن عنصرا واحدا لا يمكن أن يحمل معنى في ذاته، كما أن العلاقة تعد شرطا أساسيا لحضور المعنى .ويكون تنميط هذه العلاقة حسب الباحث على مستويين:

-لإمكانية استيعاب العنصرين في كليتهما، يجب أن يكون بينهما قاسم مشترك هو علاقة الاتصال.

-للتمييز بينهما، يجب أن يكونا مختلفين، وهو ما تمثله علاقة الاختلاف وعلى مستوى أعم، علاقة الانفصال.

ويشرح الباحث بقوله :" تبرز هذه المستويات طبيعة العلاقة المزدوجة، الانفصالية والاتصالية، وتقوم على تصور أن أي عنصر لا يمكن أن يحمل دلالة إلا في علاقته ا لاختلافية مع العنصر الآخر، وذلك بالوقوف عند الاختلافات .فالعناصر المكونة لبنية ما : س1 / س2، يمكن أن تستثمر على مستوى

البنية الأولية للدلالة، ليس اعتمادا على العناصر الصورية (س 1، س2) ، ولكن من خلال المقومات التي تعد وحدات دلالية، مثل:

إنساني / حيواني

طبيعي / ثقافي

مؤنث / مذكر

لا يمكن، بخصوص هذه الأمثلة، إدراك دلالة أي مقوم من المقومات (إنساني، طبيعي، مؤنث) إلا من خلال علاقته الاختلافية مع المقومات الأخرى داخل بنية (ثقافي، حيواني، مذكر) وهو ما يدل على أن الدلالة تلتمس على مستوى البنية من منظور اختلافي أكثر مما يجب البحث عنها على مستوى الوحدة المفردة..[1].

هذه البنية الأولية للدلالة التي تستثمر فيها السيميوطيقا مفهوم القيمة اللسانية كما اقترحتها اللسان منطقيا؛ اعتمادا على العلاقات المنطقية التي تسم المربع السيميائي (التضاد التناقض).. دلاليا الفضاءات التركيبية للمربع السيميائي تستثمر دلاليا اعمادا على مقومات سياقية.

يمكن أن نلاحظ أن مفهوم القيمة يجد تطبيقا ضمنيا له في البنية الأولية للدلالة من خلال دلالاته الإجرائية المرتبطة بالعلاقة الاختلافية.

يتضح من ذلك أنّ الباحث ربط بين الدال والمدلول، فالعناصر الذي وظفها للوصول إلى القيمة تكون بين العناصر من حيث اختلافها باعتماد الدلالة لها وقد ركز على الجانب السيميائي من خلال ثنائية التناقض والتضاد بين العناصر السابقة الذكر وفق الاقتراح المنطقي، ومن ذلك نستنتج أن قيمة العناصر تكمن في اختلافها، الذي ينتج المعنى.

[1]: : عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية /www.minculture.gov.ma/، مرجع سابق،ص2

ب . القيمة على مستوى التركيب السردي السطحي

أما المستوى الآخر الذي يحتل فيه مفهوم القيمة موقعا هاما على المستوى الإجرائي، فهو مستوى التركيب السردي الذي يتميز على مستوى عام بالفعل التركيبي الذي ينجزه فاعل تركيبي هو العامل –الذات وقد تمت صياغة أهمية مفهوم القيمة في علاقته بهذا المستوى منذ التأويل الذي قام به گريماس للعوامل في اللسانيات وفي الحكاية الشعبية الروسية وفي المسرح، حيث وقف عند المقولات العاملية المؤسسة للنموذج العاملي ومن بينها المقولة : ذات /موضوع، التي تتحدث من خلال استثمار دلالي هو استثمار : الرغبة ، ذلك أن الذات الفاعلة تتحدد في علاقتها بالموضوع من خلال محور الرغبة الذي يدل على توفر جهة الإرادة عند العامل بالذات، وعلى رغبة الذات في الاتصال....[1]

وقدمت السيميوطيقا، في البداية، بالنسبة لهذه المقولة والمقولات الأخرى :مرسل/مرسل إليه مساعد/معاكس، من خلال الاتجاه الفلسفي الكلاسيكي الذي يتحدد فيه الفيلسوف بصفته ذاتا تحدد لنفسها موضوعا هو العالم من خلال مقوم الرغبة في المعرفة .أو من خلال الإيديولوجية الماركسية التي يرتبط فيها الإنسان بصفته ذاتا في علاقته بموضوع يرغب فيه هوتحقيق "مجتمع بدون طبقات."

من الموضوع إلى الموضوع –القيمة غير أن السيميوطيقا السردية ستعيد صياغة المفهوم بدقة من خلال مفهوم :موضوع –القيمة .لقد لاحظت السيميوطيقا أن العودة إلى فضاء الحكايات الشعبية الذي يمكن أن يقدم صورة من الأشكال الكونية للسرد، يبرز أن هناك مجموعة من المواضيع السحرية ؛ التي تسعف الذوات الفاعلة في رحلتها نحو البحث عن موضوع معين، غير أن هذه المواضيع ليست مهمة في ذاتها بقدر ما تكتسي أهميتها من ما يمكن أن تقدمه من خيرات، إن الجراب مثلا، بصفته موضوعا بالنسبة لبطل معين، لا يكون مهما في ذاته إلا حين يكون ممتلئا ذهبا أو معدنا ثمينا. بناء على هذه الملاحظة، ميزت السيميوطيقا بين مفهومي : الموضوع والقيمة. يمكن أن نلاحظ في كثير من إعلانات

[1]: : عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا السردية */www.minculture.gov.ma/*، مرجع سابق،ص3

إشهار التي تقدم دعوة إشهارية خاصة بعطور النساء، أن موضوع–القيمة يتمظهر من خلال المستويات التالية:

–المستوي التركيبي : عامل –موضوع (العطر)

–المستوى الخطابي التمظهر : ممثل (موضوع تصويري : قارورة العطور (شكلها، لونها)

–المستوى الدلالي : القيمة : مقوم (المجال)

إن العلاقة بين الذات والموضوع وأهمية القيم التي يختزنها الموضوع، تجعل هذه العلاقة العنصر الدينامي الذي يبرز نمو المسار السردي ببرامجه السردية المختلفة وأفعاله التركيبية، إن عملية القول التي تنجز القول السردي المشتمل على فعل وعامل، تحدد أقوال الحالة التي يمكن أن تشتمل على ذات موضوع

إن العامل في أي نص سردي لا يمكن أن يحصل على الوجود السيميوطيقي بصفته ذاتا فاعلة إلا من خلال علاقة مع موضوع–قيمة يتجذر داخل فضاء أكسيولوجي للقيم، كما أن القيمة، من منظور اقتضائي، لا تأخذ سمة القيمة إلا إذا كانت هدفا لذات فاعلة .

إن عودة السيميوطيقا لنتائج الأبحاث في مجال الحكاية الشعبية والدراسات الفولكلورية، مكنت من تسجيل ملاحظة تتمثل في إمكانية تصنيف الموضوعات حسب ما تقدمه للبطل من قيم إيجابية ويمكن أن تكون إما خيرات أو خدمات هو في حاجة إليها هذه الثوابت أسهمت في صياغة نمذجة عامة للقيم تتكون من قسمين كبيرين.

–القيم الوصفية : وتتكون من الموضوعات القابلة للاستهلاك (المواد الخاصة بالتغذية، الحالات النفسية، الملذات (...والموضوعات القابلة للإبداع والتكديس)، (الثروات..)

–القيم الجهية : هي القيم التي يسعى لبلوغها الفاعل الإجرائي الذي ينجز وظيفة التحول من حالة إلى حالة (وخاصة من حالة الاتصال إلى حالة الانفصال)، وذلك في إطار البرامج السردية التي تعد وحدة أساسية في التركيب السردي السطحي. فالبرنامج السردي الأساسي أو البرنامج السردي

القاعدي كما تصطلح عليه السيميوطيقا السردية، يحدد من خلال قول الحالة موضوعا .إذا قلنا يريد الطالب التفوق.

يتضح بناء على ارتباط المستويات بعلاقة الاقتضاء المتبادل أن جهة التحقيق الموافقة للإنجاز (الإرادة) بصفته فعلا يؤدي إلى اتصال الذات (الطالب) بالموضوع(التفوق)، يقتضي جهة الإمكان بالقوة التي تتكون من قيم الاستطاعة والمعرفة، كما أن هذه الجهة تقتضي بدورها جهة الإمكان التي تتضمن قيم الإرادة والواجب.

وقد تميزت صياغة هذا التنظيم المركبي للجهات في تعالق مع الوضعية التركيبية للذات الفاعلة، حيث توافق مستويات التنظيم المركبي لجهات المستويات التي تحدد الوجود السيميوطيقي للذات الفاعلة(الطالب) في علاقتها بالفعل (الإرادة)، ذلك أن الوضعية التركيبية الأولى في البرنامج السردي وهي تأسيس الذات الفاعلة، تتسم بظهور الجهة : إرادة الفعل، واجب الفعل ، كما أن تأهيل الذات يقترن بجهة الاستطاعة والمعرفة ـ الفعل .أما تحقيق الذات فيوافق جهة التحقيق (فعل–الكينونة).

يتضح من ذلك أن مفهوم القيمة ارتبط في بادئ الأمر بالعالم اللساني فرديناردو سوسير الذي أدرج القيمة اللسانية، وقال بكون اللسان نسق يتكون من مجموعة عناصر متلازمة ومترابطة ومتضامنة من توازيها تشكل قيمة بشرط اختلاف عناصره.

ويتجلى مفهوم القيمة في مرجعياتها اللسانية التوليدية أو الشكلية من القصة الشعبية بالدراسة الروسية إذ حدد العالم كريماص البنية الأولية من حيث الدلالة للقيمة بوصف البنية مكونة بين عنصرية س1/س2 على شرط حدوث الاختلاف بينهما بالاتصال و الانفصال.

واتخذ الباحث مثالا إجرائيا بين ثلاثة عناصر (إنساني،حيواني)، (طبيعي، ثقافي)، (مؤنث، مذكر) ومقوم هذه الثنائيات العلاقة الاختلافية بين عنصرين لا الفرد. فالقيمة موجودة تطبيقا ضمنيا لها في البنية والعلاقة الاختلافتين .

أما على مستوى التركيبي السردي السطحي مرتبط بالفعل التركيبي، الذي ينجزه فاعل تركيبي هو الذات حيث سلط كريماص الضوء على الذات الفاعلة في علاقتها بالموضوع بعامل الرغبة ووجود الإرادة بوجود مرسل ومرسل إليه، ومساعد ومعاكس مستعينا بالفلسفة الكلاسيكية، والإيديولوجي ة الماركسية بوجود الذات بمقوم الرغبة لتحقيق موضوع(المجتمع بدون طبقات).

ثم أعيدت صياغة مفهوم القيمة من الحكايات الشعبية بوجود موضوع سحري يسعف الذات الفاعلة في رحلتها للبحث عن موضوع مهم، ويضيف الباحث أن الوجود السيميوطيقي بصفته ذات فاعلة يحدث قيمة بعلاقته بموضوع القيمة الذي يوجد بالفضاء الأكسيولوجي. ثم يسجل الباحث ملاحظة هامة أن الموضوعات تصنع حسب ما تنتجه من قيم إيجابية إما أن تكون وصفية بما تحدثه من منفعة لصاحبها أو جهية وهي ما يبلغه الفاعل الذي ينجز التحول؛ إذ نجد ارتباط جهة التحقيق بالإرادة والفعل متصلا بالذات، والموضوع بإحداث التحول. وتكمن القيم في الاستطاعة والمعرفة، والإرادة والواجب. ونخلص إلى وجود القيم في تأسيس الذات الفاعلة بالإرادة والواجب، وبتحقيق الموضوع بالاستطاعة والمعرفة حققت قيمة، أما في المجال التركيبي السردي تتحدد القيمة بالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه في مقولته بحكم الاتصال والانفصال.

2- فلسفيـــــــا:

القيمة : (valeur)تستعمل هذه الكلمة في كل مفاهيمها سواء بالمعنى المجرّد (ذو قيمة، له شيء من القيمة أو المعنى العيني ؛أي يكون قيمة) هذا الاستعمال الأكثر حداثة....

يتضح من ذلك أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات من عدة نواح:

- **ذاتيا:** طابع الأشياء الكامن في كونها مُقَدّرةً أوابعة لما يتضمنه من مرغوبة نسبيا لدى شخص أو عموما لدى جماعة أشخاص معينين " النبل في نظر أرستقراطي مقتنع، هو قيمة رفيعة جدا"...[1] أي تحديد وجه اختيار الشيء المعتمد ، والقيمة هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء

[1]: أحمد عويدات، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول منشورات عويدات،ط2 ، بيروت، لبنان، 2001 ص1521.

مرغوبا ومطلوبا عند شخص واحد أو عدة أشخاص مثل " إنّ للنسَبِ عند الأشراف قيمة عالية".....[1]

- **موضوعيا**: سمات الأشياء القائمة على ما يستحق من تقدير نسبي، والكامنة في أنها تشبع غرضا معينا " القيمة التوثيقية للأعمال الفنية"لا يؤدي النقد... لغير تفكيك الوثائق إلى تقارير يتسم كل منها بِسمة تدّل على قيمته المحتملة.

(في سبيل معرفة الحقيقة التاريخية) .... [2] أي اكتشاف ما تختزنه المادة من أدوار تساهم بها في تحقيق مهمة معينة.

- **أخلاقيا**: القيمة تدل على لفظ الخير بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية فكلما كانت المطابقة بين الفعل و الصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر وتسمى الصورة الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية.....[3]

يظهر أنّ القيمة تطابق فعل الخير، الذي يرتسم على صفحة الذهن فتكون بذلك القيمة مثالية.

- **من الزاوية الاقتصادية**: سمة الأشياء الكامنة في كونها قابلة للتبادل في جماعة معينة وفي لحظة محددة مقابل كمية محدودة من سلعة، تعتمد وحدة للتبادل؛ بهذا المعنى يقال غالبا قيمة تبادلية [4].

وإلى جانب ذلك قيمة اعتبارية، والتي تبنى على الثقة والائتمان كقيمة الأوراق النقدية، الحولات المالية... [5] .

مما سبق أن الشيء إذا كان قابلا للتبادل فقد اكتسب قيمة من أجلها استحق سمة التبادلية. أو اكتسب الثقة فهو ذو قيمة اعتبارية.

- **منطقيا**: في الكلام على كلمة أو تعبير دلالته الحرفية والفعلية أو الضمنية على حدّ السواء فكلمة قيمة هي التي تعبر في جملة عن الفكرة أو الشعور الأساسي.....[6]

---

[1]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص212.
[2]:أحمد عويدات، موسوعة لالاند ص1522.
[3]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص213.
[4]: أحمد عويدات، موسوعة لالاند، ص 1522.
[5]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ص 213.
[6]: أحمد عويدات، موسوعة لالاند ص1522.

إنّ الشعور بوجود الشيء وموضوعه والإحساس به والتعامل به ومعه؛ إذ يتضح أن القيمة تأخذ كل ما يصدر من الشخص باعتباره مفكر، وذو إحساس له أساس.

- **من حيث الجانب الجمالي** : بالنسبة للموسيقى هو ديمومة الأنغام النسبية، وبالنسبة للفنون التشكيلية، من حيث الغموض، والوضوح النسبي؛ فيقصد من ذلك الأصل في كمّ الوضوح والغموض في لون ما... [1] تظهر القيمة في الجانب الجمالي بالنسبة للموسيقى والفنون التشكيلية من خلال تلك الحيز الذي يشغله الغموض و الوضوح.
- **في الرياضيات**: تعبير رقمي جبري على الأقل يحدد مجهولا، أو يمثل حالة متغير." في كل مسألة ترمي إلى إيجاد قيمة شيء أو عدة أشياء مجهولة، هناك تفريق مهم ينبغي إجراؤه فمن جهة يستوجب علينا النظر في قيم المعطيات الخاصة ، ومن جهة النظر في مختلف العلاقات التي ينبغي أن نقيم المجاهل فيما بينها ومع المعطيات [2]

نستخلص من تلك المعطيات أن القيمة تعبر قيم المجاهل عند الوصول إلى التحديدات الصحيحة.من خلال عملية رياضية بحتة.

3 ـ في علم الاجتماع:

اختلف مفهوم القيمة بين العلماء حسب منطلقاتهم الفكرية ،وحقولهم الدراسية حيث يعرفها:

← **ابن خلدون:** من دراسة نشرها أحد طلاب جامعة بسكرة وقف بعض نصوص ابن خلدون ليبين مفهوم القيمة عنده بقوله:

" أعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي والاقتناء والقصد إلى التحصيل"...[3]

" إن المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية"...[4]

[1]: أحمد عويدات، موسوعة لالاند، مصدر سابق، ص 1523.
[2]: المصدر نفسه، ص 1523.
[3]: نظرية القيمة عند ابن خلدون، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد الأول، 2005، ص2
[4]: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

" إن المكاسب إنما هي قيم الأعمال فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم"...[1]

"لابد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومتمول"...[2]

وقف ابن خلدون على أن الكسب مرتبط بالسعي، الذي يمثل العمل وهو بدوره مرتبط بالإنسان حسب القول الثاني. وكل ما أنتجه الإنسان يعتبر قيم، وبكثرة الأعمال تكثر القيم، التي تعود على الإنسان بالفائدة وهو مكسب له، وبذلك فكل مكسب هو قيمة ارتبطت بالإنسان وهو المسؤول عنها تساهم في رقيه وتطوره.

←**تالكوت بارسونز** : بأنّها عنصر من نسق رمزي مشترك يعتبرها معيارا، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، أو المعايير التي نحكم بها على كون الشيء المرغوب فيه، أو غير مرغوب فيه.

←**أميل دور كهايم**:القيم هي إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد الخارجة عن تجسيد اتهم الفردية. تحدد الظواهر الاجتماعية رفضا وقبولا.

←**كلاكهون**:هو مفهوم واضح وضمني خاص بالفرد، أو بالجماعة بالمرغوب فيه يؤثر في الاختيار من بين نماذج من الأفعال أو الوسائل أو الغايات، على أساسها تحدد مجموعة من أبعاد.

←**هوفستاد**: القيم اعتقادات عامة تحدد الصواب من الخطأ ، والأشياء المفضلة من غير المفضلة.

←**شورات**: عبارة عن مفاهيم ، أو تصورات للمرغوب تتعلق بضرب من ضروب السلوك أو غاية من الغايات ،وتسمو أو تعلو على المواقف النوعية، ويمكن ترتيبها حسب أهميتها النسبية.

[1]: نظرية القيمة عند ابن خلدون، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد الأول، 2005، مرجع سابق، ص3.
[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

←**حليم بركات**: القيم معتقدات حول الأمور و الغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم ، وتفكيرهم ، ومواقفهم، وتصرفاتهم، واختياراتهم، وتنظم علاقاتهم بالواقع و المؤسسات والآخرين وأنفسهم و المكان والزمان، وتسوغ مواقفهم وتحدد هويتهم و معنى وجودهم، أي تتصل بنوعية السلوك المفضل بمعنى الوجود وغاياته.

←**السمالوطي**: القيم مجموعة الأفكار المشتركة وجدانيا، تدور حول ما هو مرغوب فيه والتي يرتبط فيها أعضاء الجماعة وجدانيا بحكم تمثيلهم إياها بفعل عمليات التنشئة الاجتماعية والتي تسهم في تنظيم السلوك.[1]

يظهر من خلال التعريفات السابقة أنّ هناك اختلافا حول مفهوم القيم، كما يلاحظ أيضا ثمة عناصر مشتركة بين هذه التعريفات حيث إنّ القيم معايير مرتبطة بالسلوك الاجتماعي، فهي إحدى خصائص الإنسان في تحديد الصواب و الخطأ،أو المرغوب وغير المرغوب فيه؛إذ يقف الفرد على مبادئ ، و أسس في عملية التنشئة الاجتماعية.وتوجيه الفرد، وتنظيم علاقاته في المجتمع، والقيم هي كذلك المعايير و الأحكام التي تتكون عند الفرد من خلال تفاعله مع غيره من الأفراد ومواقفهم والخبرات التي تمكنه من الاختيار والتوجيه، فتتكلل في إطار السلوك العملي.

إذن القيم من منظور اجتماعي هي تلك المعايير، والمبادئ التي يتعلمها الفرد لتساعده على الاختيار ، واتخاذ القرارات في المواقف، و مواجهة الصراعات، أي تبين السلوك الذي ينتهجه الإنسان في العملية الفكرية، إذ تساهم هذه الأفكار في عمله وكسبه وتؤدي به إلى التطور.

فلسفة القيم:هي البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب فيه لذاته، وهي تنظر في قيم الأشياء وتحللها وتبيّن أنواعها وأصولها فإن فسرت القيم بنسبتها إلى الصورة الغائية المرتسمة على

[1]: ماجد الزيود، الشباب و القيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والاشهار، ط1 ، عمان، الأردن،2006 ، ص(22،23).

صفحات الذهن كان تفسيرها مثاليا،وإذا فسرت بأسباب طبيعية أو نفسية أو اجتماعية كان تفسيرها وجوديا، وخير تفسير للقيم إرجاعها إلى أصلين أحدهما مثالي ، والآخر وجودي.....[1]

إن القيمة مرتبطة بشيئين هامين المثالية، والتي تكمن في المقابل الذي تكوّن في الذهن، الذي يعبر عن كنه الشيء ثم الوجودية وتتمثل في طبيعة الشيء ووجوده بحيث يشكل كماله وخيرته فعبر بذلك عن قيمة الشيء.

أستنتج أنّ **للقيمة** عدة معان في المجال الذي تنسب إليه. في اللغة هي ما يحسنه المرء بعد ثبات ودوام على أمر. وهي الصفة التي تجعل الشيء مطلوبا ومرغوبا، وتكون القيمة مرادفة لثمن الشيء يجب إنفاقه للحصول عليه فنجد بعض الفلاسفة يجعل القيمة مرادفة لمعنى المنفعة أو حسب طلب الشيء لما للناس من مآرب فيه، كما للقيمة تفسير آخر وذلك لما للشيء من صفات تستحق التقدير فتكتسب القيمة إطلاقا.وقد تكون القيمة حقيقية من جهة وذلك إذا كانت مبنية على المنفعة ومن جهة أخرى اعتبارية إذا كانت مبنية على الثقة، وارتبطت القيمة بالوجود إذ قيمة الشيء مبدأ وجوده ومعيار كماله.

لكن كيف تنظر إليها الفلسفات المختلفة؟؟؟

الفلسفة المثالية: يرى الفلاسفة المثاليون أنّ القيمة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان، وجدت منذ القدم، ودونت في كتب مقدسة، كما اعتبروها مكتسبة؛ يتم تعلمها من خلال البحث والاكتشاف **و**الوحي فالقيمة بين الثبات والتطور، ومن يحركها، ويضيفون بأنها أتت إلينا عبر العصور، وتوصل إليها المفكرون العظماء عن طريق الإيحاء. وإنّ القيم سبيل الحياة السعيدة وقد ثبت نجاحها عبر القرون، كما أجمع المثاليون على أنّ القيم ثلاثية(الحق و الخير و الجمال) فقيمة الحق تتعلق بالمعرفة، وقيمة الخير تتعلق بالسلوك، وقيمة الجمال تتعلق بالوجدان، وهي كلها تشكل أهداف التربية المثالية...[2]

[1]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص214

[2]: ماجد الزيود، ينظر الشباب و القيم في عالم متغير، ص29.

نستنتج من المثاليين أنّ القيمة مرتبطة بالإنسان؛ اكتسبها أو استوحاها من حياته التي عاشها خلال عصور مضت، ثابتة، مصدر سعادة الفرد. تشتمل على الحق والجمال، فهذه الصفات ترجمت معرفة وسلوك ووجدان الإنسان الذي يتمتع بالتربية المثالية.

- **الفلسفة الواقعية**: يرى الواقعيون أنّ القيمة نتاج الإنسان وخبراته، فالإنسان هو الذي يحددها ويضفي عليها معانيها حسب ظروفه واحتياجاته، وتنبع من الواقع المحسوس ويستدل عليها عن طريق التجربة والحسّ وليس عن طريق الحدس والإلهام؛ بل من الحياة الواقعية التي يعيشها هذا المجتمع....[1]

←يظهر لنا من خلال رأي الواقعيين أنّ القيمة مستنبطة من حياة المجتمع الواقعية،بعيدا عن الإيحاء الذي يتحدث عنه المثاليون، كما إنّها تخضع للتجربة، وللإنسان دور في تحديدها وسقلها.

- **الفلسفة البرجماتية**: يقر البرجماتيون بأنّه لا يوجد قيم مطلقة، وهي تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان هو المسئول عن خلق قيمة خاصة، والمعيار الوحيد هو النفعية؛ حيث يتم التركيز على فائدتها دون التساؤل عن أصل وجودها. ويسمح البرجماتيون بتناول المشكلات الإنسانية وتخيير القيم، والاتفاق عليها لتكون قادرة على حلّ هذه المشكلات.[2]

←نلاحظ أنّ هذه الفلسفة تربط القيمة بالمشكلة، دون البحث في مصدر هذه القيمة والهدف المرغوب هو حلّ المشكل، لكن يجب تحديد القيمة والاتفاق عليها حسب ضرورة الإنسان، تحقيق له النفعية، كما أنّ القيمة ليست ثابتة بل متغيرة حسب ما يواجهه الفرد من مشاكل.

- **الفلسفة الوجودية** : يرى الوجوديون بأنّ القيمة من ابتكار الإنسان من خلال أفعاله واختياراته فالإنسان هو الوجود الأول، والقيمة عندهم نسبية، وعاطفية وشخصية.

[1]: ينظر ماجد الزيود، ينظر الشباب و القيم في عالم متغير، مرجع سابق، ص29.
[2]: المرجع نفسه، ص 30.

يقول سارتر: " يتعرف الإنسان على قيمة من القيم من خلال تعرفه عليها أثناء ممارسته لحريته" ويضيف "حريتي هي أساس القيم، لا شيء آخر على الإطلاق يدفعني إلى اعتناقي لأية قيمة"..[1]

← يجعل الوجوديون القيمة مرتبطة بالإنسان في السلوك الذي ينتهجه في ممارساته لحريته التي هي منتج القيمة التي يأخذ بها الإنسان في وجوده في المجتمع، وتتأثر به، لأنّها به وجدت وفقا لعاطفته و شخصيته.

- **من منظور إسلامي** : القيم هي مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الأفراد والجماعات مصدرها الله عزّ وجل، مصدرها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتحدد هذه القيم علاقة الإنسان وتوجهه مع الله تعالى ومع الآخرين من البشر، ومع الكون، كما تضمن غايات، ووسائل. يؤكد الإسلام أهمية القيم والأخلاق في بناء الشخصية المسلمة مما تمتلك من مقومات وإمكانات...[2]

← جاء الإسلام بمجموعة من التشريعات وقواعد في النصوص القرآنية ودعا الإنسان إلى الأخذ بها مما تكون لدى الإنسان مبادئ وقيما تحرك حياته السوية وتوجهه التوجيه الذي يرضاه الله و رسوله الكريم ـ صلى الله عليه و سلم ـ وعلاقاته مع الأفراد، فيصبح له مقومات و مبادئ صحيحة وصالحة لكل زمان و مكان.

4- في علم النفس:

يوجد لفظ "القيمة" في قاموس علم النفس."وهو الاهتمام الذي يوليه الفرد لموضوع ما، أو أنّه التقدير الذي لدينا لشخص معين...[3]

[1]: ماجد الزيود، ينظر الشباب و القيم في عالم متغير، مرجع سابق، الصفحة السابقة.
[2]:المرجع نفسه، ص31.
[3]: القيم التربوية في شعر الطفولة ، ، ص45 عن أحمد أوزي ، الطفل و المجتمع، ص161.

ويعرف "روكيش" ROKEACH: القيمة بأنّها اعتقاد دائم له تأثير في تحديد نمط معين من السلوك الخاص أو في تحديد غاية من الوجود الشخصي ، أو الاجتماعي المرغوب فيه مقابل ما يناقضه...[1]

نستنتج مما سبق أنّ القيمة هي الشعور بأهمية الشيء، واحتوائه على قدر كبير من الصفات المستحبة، كما يعتبرها روكيش مؤشرا له أهمية في تحديد طبيعة السلوك، أو مهمته في كينونة الشخص سواء ذاتيا أو اجتماعيا في مقابل ما يعترضه من تناقضات.

المبحث الثالث : مفهوم الفكر الحضاري:

أ - الفكـــــــــر.

أشار أغلب المفكرين أن للفكر عدة مفاهيم وهي مرتبطة بالإنسان والطبيعة التي يعيش بها ويرتكز على عدة منطلقات فنجد عند ابن خلدون:

- ✓ الفكر مجهود عقلي، يتصرف في الثروات المعنوية، ويستخرج منها ما يعنيه على الانتظار في صراعه مع الحياة كما يستخرج من الطبيعة ما يعنيه في هذه المعركة نفسها...[2]
- ✓ الفكر مرتبط بالدين، باعتبار الحياة مطية الإنسان للوصول، ومنطلقا يحصد فيها المجهود العلمي، فيكون بذلك الفكر وسيلة لتحقيق المعاش، ويساهم في تنظيم الحياة الاجتماعية ويدعم حياة الفرد الروحية والنفسية....[3]

يمكن القول إنّ ابن خلدون يربط بين عمل فكر الإنسان وحياته وقيمه الدينية فيجعل منه النفس الناطقة بتوجيه من الدين لتحقيق عدة أهداف كتحصيل المعاش المادي في الحياة الإنسانية وتنظيم حياة الأفراد بالتعاون، ويزودها بالحماس و التفاؤل بواسطة الدين و الإيمان.فيكون الإنسان سيد ملكه وقدرته.

---

[1]: القيم التربوية في شعر الطفولة ، عن أحمد أوزي، مرجع سابق، ص162.
[2]: عبد الله شريط ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، دار موفم للنشر ، الجزائر د.ط، 2008،ص 449.
[3]: المرجع نفسه ص 450.

✓ وأضاف ابن خلدون أنّ الفكر مرتبط بالحضارة الإسلامية بقوله: " لها تأثير هام جدا في توجيه الفكر العلمي عامة... تتمثل في تسامحهم الخارق لكل الأجناس واحتضانهم لمعتقداتهم وألوان تفكيرهم.. بأن العلم هو ضالة المؤمن..".[1]

الحضارة الإسلامية قائمة من الدين الإسلامي الذي من مبادئه التسامح الذي يقرّ الاختلاف ويقبل التنوّع، ويقر بالتغاير ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية،ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية امتزج فيها قديم ماضيه بجديد حاضره ورؤية مستقبله، فذلك أرضية أساسية لبناء المجتمع وإرساء قواعده؛ هذا الفكر الإسلامي سمح للمسلمين بالانفتاح على معارف وعلوم وثقافات وحرصوا على فهمها واستيعابها، فعزز ذلك الأدوار الفكرية الفاعلة عبر بيوت المناظرة ، فحققت الحضارة مسعاها.

فالحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه وتُمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسير الحياة للإنسان.

وبدء الحضارة هي الجهد الذي يقدم لخدمة الإنسان في كل نواحي حياته، أو هي التقدم في المدنية والثقافة معا، فالثقافة هي التقدم في الأفكار النظرية، مثل القانون والسياسة والاجتماع والأخلاق وغيرها، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يفكر تفكيرا سليما، أما المدنية فهي التقدم والرقى في العلوم التي تقوم على التجربة والملاحظة مثل الطب والهندسة والزراعة، وغيرها ..والمدنية لأنها ارتبطت بحياة المدينة وتحقق استقرار الناس فيها عن طريق امتلاك الوسائل اللازمة لذلك، فالمدنية زرعت بذور السيطرة في الإنسان على الكون من حوله، وإخضاع ظروف البيئة للإنسان.

للإنسان من الثقافة والمدنية معا؛ لكي يستقيم فكر الأفراد وسلوكياتهم. فتتحسن حياتهم وترقى لذلك فإن الدولة التي تمت بالتقدم المادي على حساب الازدهار في مجال القيم والأخلاق دولة مدنية، وليست متحضرة؛ ومن هنا فإن تقدم الدول الغربية في العصر الحديث يعد مدنية وليس حضارة؛ لأن الغرب اهتم بالتقدم المادي على حساب القيم والمبادئ والأخلاق، أما الإسلام الذي

[1]: عبد الله شريط ، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، مرجع سابق، ص 451.

كرم الإنسان وأعلى من شأنه، فقد جاء بحضارة سامية، تسهم في تيسير حياة الإنسان وفق فكر حرّ ومستقل يكون سلطة موازية لسلطة العمل يديرها المثقفون.كما يقول " صاحب الربيعي": " إنّ النخبة المثقفة هي المنتجة للأفكار"[1].

1ـ في الفلسفة:

مبدئيا الفكر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، ويطلق بالمعنى العام على كل ظواهر الحياة العقلية وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل ومقابل للحدس.

الفكر عند الفلاسفة ثلاثة معاني:

1 ـ الفكر حركة النفس في المعقولات بالاختيار من المبادئ إلى المطالب .

2 ـ هو حركة النفس في المعقولات ابتداء من المطلوب المتصور إلى مبادئه.

3 ـ هو الحركة الأولى من المطالب إلى المبادئ فيكون الفكر يقابل الحدس...[2]

ونجد ابن سينا: الفكر عند إجماع الإنسان أن ينتقل عن أمور ذهنه متصورة أو مصدق بها تصديقا علميا أو ظنيا أو وصفا وتسليما إلى أمور غير حاضرة....[3]

أما ديكارت: الفكر هو جميع ظواهر النفس،الفكر هو الشيء الذي يشك، ويفهم، ويدرك، ويثبت ويريد ،أو لا يريد ،ويتخل ، ويحسّ....[4]

عند كانت: الفكر هو القوة الانتقادية، والفكر المتعالي هو الذي يربط بين الظواهر بقوتي الفهم والحدس.....[5]

[1]: صاحب الربيعي ، دور الفكر في السياسة و الجتمع، صفحات للدراسات و النشر ،دمشق، ط1 سنة 2007 ،ص33.
[2]: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 155.
[3]: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[4]: المصدر نفسه، ص156.
[5]: المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

نستنتج أن الفكر هو حركة النفس في الأمور المقبولة سواء من المبادئ إلى المطالب أو من المطالب إلى المبادئ ويشترط في ذلك القصد من جهة، وهو التنقل في الأمور الحاضرة في عقل الإنسان بالترتيب وتكون الأمور مقبولة من جهة أخرى، والفكر هو العمل الذي تقوم به النفس في معالجتها للأمور من نظر و تأمل لذا نجد الفكر الديني، والفكر السياسي، والفكر الفلسفي.

يتضح بأنّ الفكرة تصور أو نموذج في ذهن الإنسان، نستعين في ذلك بالتخيل للبحث عن الحقيقة بعد معالجة الصورة الذهنية وتطابقها مع الصورة الخارجية للوصول إلى الحقيقة المطلوبة.

يرى ابن خلدون أنّ الفكر الفلسفي هو العلاقة المتكاملة بين المعرفة و الأخلاق أو النظر والعمل أو بين التصور و السلوك.....[1]

تطرق ابن خلدون إلى مصادر المعرفة، والتي يراها متعددة بين الحياة الروحية والعقلية ثم يربطها بالواقع المادي والاجتماعي من جهة وبين الروحي والحسي والأخلاقي من جهة أخرى، ثم يوضح أكثر بأنها المحيط الطبيعي والاجتماعي؛ من أوضاع اقتصادية وسياسية وثقافية.

الإنسان محور هذه الأوضاع، حيث يتلون بها ويطبع السلوك الأخلاقي في المجتمع والتصور الذهني للحياة عند أفراده. وابن خلدون ميّز بين المعرفة العلمية والدينية الأخلاقية؛ فيجعل المعرفة الأولى أحكاما، والمعرفة الثانية مرتبطة بالتجربة، ليصل في الأخير إلى المعرفة العلمية لإدراك ابن خلدون إبعاد الدين عن الفلسفة لأنّها مليئة بالأخطاء والافتراضات؛ إذن المعرفة التي تخضع للتجربة والبرهان اليقيني هي المعرفة التي تحقق فكرا عمليا الذي نستعمله في الأمور الغريزية، واجتماعيا الذي يشمل العادات والتقاليد، والقوانين الأخلاقية، وأخيرا الفكر النظري الذي نستعمله في المدارك والعلوم. وصل الفكر إلى درجة يسمي بها عقلا، أو نفسا مدركة، وهو الذي يشكل الحقيقة الإنسانية في أرقى صورها.

[1]: عبد الله شريط الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ، ص49.

إنّ للتأثيرات المتبادلة بين المظاهر الفكرية، والمادية في حياة الأمة نكهة خاصة للفكر عندما يصل كل ما أنتجه إلى مستوى الحضارة فه ما المقصود بالحضارة و ما هي مظاهرها؟

2 ـ في علم الاجتماع:

إنّ الفكر واحد من حيث كونه مجهودا عقليا يتصرف في الثروات المعنوية ويستخرج منها ما يعنيه على الانتصار في صراعه مع الحياة كما يستخرج من الطبيعة ما يعينه في هذه المعركة نفسها...[1]

يشرح ابن خلدون هذا التعريف بكون الفكر وسيلتنا نهتدي به في تحصيل المعاش والحياة المادية وهو منطلقنا في تنظيم التعاون مع أبناء الجنس؛ وذلك بتنظيم الحياة الاجتماعية، ويكون الفكر وسيلتنا للنظر إلى خالقنا وما جاءت به الرسل من عنده؛ أي تنظيم حياتنا الروحية والنفسية، وبذلك يتزود الفرد بالتفاؤل والحماس بواسطة الدين و الإيمان و العلم؛ وبذلك يمكن أن نجعل من الإنسان سيدا في ملكه و قدرته...[2]

نستشف من هذه الأفكار أن الفكر هو المحرك الأساسي لحياة الإنسان نحو تحقيق الحياة الكريمة والسوية وتنظيمها، كما يساعد الفرد على القيام برسالته، ويبعث في الإنسان القوة والحماس في تأدية واجباته و تلقي حقوقه فهو العنصر المؤثر والمتأثر؛ يتأثر بالبيئة والظروف ويؤثر فيها، مما يجعل من الإنسان مفكرا وفق احتياجاته، وهذا الفكر يتكلل دوره في حياة الفرد بالعلم؛ الذي هو ضالة المؤمن يلقطها حيث وجدها.وهو العنصر الفكري الذي يضم إلى العنصر المادي، فيحققان التطور للفكر.

قال ابن خلدون: "تبقى للفكر سيادته في العمل والصناعة كما كانت له السيادة في قوانين الاجتماع والسياسة.. بشرط أن لا يكون الفكر نظريا بل عمليا يعتمد على التجربة المحسوسة..."[3]

---

[1]: عبد الله شريط الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، مرجع سابق، ص450.
[2]: ينظر المرجع نفسه ص420.
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ارتبط الفكر بالعلم عند ابن خلدون، بالتقنية من خلال اعتماده على التجربة والملاحظة لتحقيق الأنسب لحياة حضارية للإنسان عبر مراحل نموه وتطوره.

ب – الحضارة

1. عند عبد الرحمن بن خلدون

استخدم ابن خلدون مصطلح " **العمران**" للدلالة على حضارة العرب ومستوى عيشهم وتمكنهم من التفنن والترف وإحكام الصنائع وما تحتاجه من مهارة وهي مظاهر اجتماعية فالحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان الزيادة من إنتاجه الثقافي.[1]

تعبر الحضارة عنده عن المكان، وما يميز الإنسان من نشاط يحقق المنفعة العامة، وقد انقسم الباحثون إلى قسمين:

فالأول يرى أن الحضارة تعني مجموعة من المظاهر الفكرية و المادية، أما الثاني فيقول بأن الحضارة تعني المظاهر الفكرية فحسب ويفسر هذا الأخير رأيه بكون حضارة أية أمة هي مجموعة من المفاهيم والعقيدة والأنظمة والأفكار التي تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد الناس وما يتصل به من مصالح تعود عليهم .[2]

تعبر الحضارة عن المظاهر الفكرية والمادية لكن ما هي عوامل نشوء الحضارة؟

يرجح الفلاسفة نشوء الحضارة إلى عدة عوامل منها:

[1]: ينظر عبد الله شريط الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، مرجع سابق، ص 14
[2]: ينظر المرجع نفسه ص 15.

❖ **البيئة:** يرى أصحاب هذه النظرية أنها لها تأثير على نشوء الحضارة من خلال بصمتها على الفرد، فالبيئة ومناخها مصدرا الثقافة والحافز في تغيراته في الشكل و اللون و الطول والقوة والضعف والذكاء والغباء فسمى ذلك ارتباط العلة بالمعلول.[1]

للبيئة تأثير كبير في حياة الفرد صحيح؛ لكن أليس الفرد هو الذي كيف البيئة حسب منفعته ؟ وقد تكون البيئة الموجودة ولكنها تعمل على عقم الحياة، وهذا ما يجعل نظرية البيئة ضعيفة في نشوء الحضارة.

❖ **الجانب الاجتماعي:** يرى ابن خلدون أن اجتماع البشر ضرورة، تحتمها متطلبات الحياة، التي يعجز الفرد الواحد الإحاطة بها، فلابدّ لبني البشر من التعاون ، والذي هو أساس الاجتماع.لكنّ ذلك لا يسلم من وقوع الخلاف و القتال لاختلاف المصالح بينهم.مما يحدث الوصل إلى وضع أساس من جماعة العقلاء تتولى رعاية مصالح الناس وهذا يسمى بالخلافة وحمل الناس على مقتضى الشرع...[2]

يتضح من ذلك أنّ ابن خلدون يركز على اجتماع الفرد في تحقيق حضارته وذلك وفق تحقيق التعاون ومصالحه بالفكر وجعله المرجع في تصريف شؤونه، مما يجعل الفرد يعيش حياة حسب القواعد الشرعية فيحقق حضارة لكن هل كل اجتماع يساهم في نشوء الحضارة؟.

❖ **التحدي والاستجابة:** صاحب هذه النظرية المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي" الذي يرى أنّ العامل في نشوء الحضارة ليس مفردا وإنما متعدد، وهو العلاقة المشتركة عند تعرض الإنسان للتحدي واستجابة له، واستدل على ذلك نشوء الحضارة عند العرب في بلاد الرافدين و الحضارة السومرية و المصرية..[3].

[1]: ينظر عبد الله شريط الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، مرجع سابق ص16.
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص17.
[3]: ينظر المرجع نفسه، ص20.

يوضح المؤرخ أنّ الحضارة مرتبطة بتحدي الفرد للطبيعة والاستجابة، فينشئ الفكر تغييرا، لكن ذلك قد يكون سببه الفرد ليس التحدي، فقد يحدث ذلك ولا يساهم في نشوء الحضارة، إذ لا نستطيع تفسير ذلك علميا.

اكتسبت الجماعة الحضارة بسبب عوامل مادية، تتمثل في خصائص البيئة حسب مناخها وموقعها الجغرافي، حيث تكون البيئة حاضنة حضارية من جهة، وتحقيق الأمن من جهة ثانية، والتربية من جهة أخرى. فكل هذه العوامل ساعدت في تحقيق حضارة الجماعة بربط ماضيه بمستقبله وحاضره".[1]

ركز العلماء على العوامل التي ساهمت في بناء الحضارة والفكر . أي لفترة من الفترات ثم تنهار هذه الحضارة لتحل محلها حضارة أخرى.

2 . **الحضارة عند مالك بن نبي** :ماذا تعني الحضارة إذن عند مالك بن نبي في ضوء المعطيات المعرفية التمهيدية السابقة ؟ إنّ أحسن تعريف للحضارة يقدمه مالك بن نبي هو تشبيه لها «بالشمس «التي تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ثم متحولة إلى أفق شعب آخر . ولتبيان مالك بن نبي للحضارة، نفضل أن نقدم له تعريفا وفق منهج الإثبات بالخلف كما يقول المنطقيون. فالحضارة عنده لا توضع في مقابل البداوة كما يذهب معظم المفكرين ففي ذلك طمس لمعالم البداوة التي تمثل إحدى روافد حضارة مجتمعنا العربي الإسلامي، والتي نتغنى بمحاسنها في أدبنا كقولنا «وفي البداوة حسن غير مجلوب» وهي ليست مرادفة لكلمة مدنية كما يذهب إلى ذلك مؤلف كتاب الحضارة **ويل ديورانت**، فالحضارة عند مالك بن نبي سياج حصانة للإنسان تحميه من الهمجية .كما أن الحضارة عنده توضع في مقابل البدائية لا البداوة .

وتقوم الحضارة عنده على هذه الثنائية التي وصفناها بالتعادلية في مقدم ة الحديث، فتصبح الحضارة حسب تعريفه «مجموع الشروط الأخلاقية والمادية تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة، إلى الشيخوخة.

[1]: ينظر عبد الله شريط الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، مرجع سابق، ص23.

ويلخص مالك بن نبي من هذه الإشكالية إلى تحديد العلاقة في تفاعل الطبيعة والتاريخ داخل الحضارة الإنسانية فيقول : " «بأن الطبيعة توجد النوع، ولكن التاريخ يصنع المجتمع، وهدف الطبيعة هو المحافظة على البقاء، بينما غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما يطلق عليه اسم الحضارة».

إنّ تحقيقه هذه الحضارة مرهون بحسن تكييف الإنسان للطاقات، أي إيجاد أهداف محدد ة واضحة؛ أي إيجاد الانسجام بين النمط الفكري الذي يحكم هذه الحضارة عبر التاريخ وبين الطاقات المتوفرة أو التي يمكن توفيرها لتنفيذ الجانب العملي بما يخدم إنجاز المقاصد المحدد ة وهو الهدف الأسمى للحضارة الإنسانية ، إذ أنها خاضعة لسنن الله الثابتة، والحضارة الإسلامية بدورها خضعت لهذا القانون الدور في الطبيعة"...[1]

يرى مالك بن نبي أنّ البداوة ممهدة للحضارة، ومن أسسها الطبيعة والتاريخ وتمثل الأرضية للوصول إلى هدف محدد بالانسجام بين الفكر والطاقة، بحيث يكون الفكر للتوجيه والطاقة للتنفيذ وفق القانون الثابت الذي تسنه الحياة، وعلى إثره يتم حركية الإنسان ثابتة وهادفة..

[1]: مالك بن نبي رائد النهضة الفكرية والإسلامية، http://www.ikhwanwiki.com

الفصـــــل الثانـــي

1 – الموجة النهضوية

2 – العمل الصحفي

3 – الأدب العربي الجزائري

الفصل الثاني: الفكر الحضاري في الجزائر الحديثة

المبحث الأول:الموجة النهضوية .

كثيرون الذين أجمعوا أنّ الجزائر عاشت في فترة من السُبات، خاصة في الفترة الاستعمارية، لكن هذه الفترة المظلمة لم تدم طويلا أو بالأحرى سقطت الجزائر في يد الاستعمار الحديث، وهي تلك المدة التي وقعت ضحية سياساته المدمرة، فهو قد استحكم قبضته عليها؛ فشلّ كل قوتها في مختلف المجالات، وتحت تأثير هذه الظروف وما تسبب فيه الاستعمار من دمار وقتل، وانتهاك الحرمات واستنزاف للثروات، ومن أجل إبادة شعبها نوّع في أساليبه إلى جانب السلاح والعمليات الإرهابية ضد الجزائر دولة وشخصية وحضارة، **فما موقف الجزائر من ذلك؟** الرضوخ أم المواجهة ؟خاصة وقد تبيّن هدف المستعمر وانكشفت نواياه العدوانية؛ إذ لجأ إلى الطعن في مقومات حضارة الشعب الجزائري، وشنّ حملات تحطيم النفس الإنسانية، وسلب الحقوق وتجريده من انتمائه إلى وطنه وعروبته وإسلامه، ومجابهة كل تنظيم أو توجيه لحركة الجهاد التي قام الجزائريون بها.

رصد المؤرخون في المراحل التاريخية للجزائر شهادات الأبطال ودافعوا عنهم، وحافظوا على مقوماتهم وجودهم، وهويتها تجاه كل تهديد حاول المسّ بكرامتها، ورابطوا على الحفاظ عليها من كل خطر يهددها.

وبعد سقوطها فريسة لفرنسا نتيجة عدّة ظروف؛ منها فقدانها قوتها وهيبتها في حوض المتوسط؛ الذي كانت تسيطر عليه، ومن أجل إعادة مجدها ووجودها شرعت الجزائر على يد أبنائها في مواجهة المستعمر بشتى السبل؛ وذلك نتيجة الحركات التحررية التي انتشرت في العالم الإسلامي والأفكار الإصلاحية بعد زيارة الشيخ" محمد عبده" للجزائر. فأدى إلى ظهور موجة فكرية على يد مجموعة من المفكرين والأدباء، والمصلحين وسيلتهم الكلمة ؛ مثّل ذلك نوعا من الرفض أو مرحلة من مراحل المقاومة ضد سياسة الطمس والتجهيل والظلم، والتبعية.

- **. الإصلاح والتنوير:**

ظهرت مبادرات إصلاحية من الغيورين على هوية وطنهم هنا وهناك، لكن لم تكن لهم هيئة تضبط نشاطهم أو خطة توضح أهدافهم، مما سهلّ على فرنسا القضاء عليها ونفي محركيها، فشكلت هذه فترة مرحلة التمهيد أو الإرهاص لحركة الإصلاح ؛التي تكللت بولادة رجال عاهدوا الله على حماية دينه ولغته، فكان صوت الإصلاح والنهضة يدويان؛ إذ أشرف على ذلك جملة من المصلحين رنّت أسماؤهم في الآفاق وطنيا ودوليا على رأسهم:

1) الشيخ الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس.

تولي الجزائر اهتماما كبيرا بشخصية عظيمة، وقدوة لشبابنا الصاعد؛ إذ تحتفل كل سنة بيوم العلم ـ مبدؤه الأول والأخير تعلَّم ـ وأطلق عليه اسم يوم العلم تخليدا لذكرى وفاة العلامة **عبد الحميد بن باديس** . هذا الرجل الذي حباه الله وجمع حوله كل الظروف مؤهلة إياه لخدمة وطنه وقيمه، ومن هذه المؤهلات:

أ.العلم والقوة

نشأ في محيط يزدان بالعلم والمعرفة، ومن أسرة تميزت بالعراقة في الدين والعلم والسلطان، فجذور العائلة تبيّن أنه من أشراف الجزائر إضافة إلى العمل الجليل لها، والمناصب العليا؛ التي شغلتها من قيادة ورئاسة وقضاء وبذلك شكلت الأسطورة الباديسية.

حصن نفسه بالعلوم والآداب بالجامع؛ التي نهلها من علماء أجلاء؛ فالعلامة حفظ القرآن في سنّ مبكرة، وأخذ مبادئ العربية والإسلام من علماء لهم وزنهم العلمي كالشيخ حمدان لونيسي. لم يهتم بالتعلم في المدرسة الفرنسية على غرار أبناء الأثرياء، وفضل التعليم والتربية الإسلامية.

سافر إلى جامع الزيتونة بتونس، وتابع دراسته الثانوية، والدراسات العليا حتى حصل على الشهادة العالمية، مما فُسح له المجال ليُعلم، فكان حقا مثالا للجدّ والمثابرة، ثم شرع في التدريس بالجامع الكبير

في قسنطينة تاركا الوظيفة الحكومية بعد عودته إلى الجزائر؛ أراد أن يكون معلم لأبناء وطنه، وترضية لقناعاته تجاه وطنه.

زار الديار المقدسة، والمشرق العربي فكان متعلما ومعلّما، واستزاد من العلوم والأفكار الإصلاحية والنهضوية المشرقية على يد جملة من العلماء والمفكرين من كافة أنحاء العالم الإسلامي. كما التقى بعلماء جزائريين كمعلمه لونيسي، والبشير الإبراهيمي الذي عقد معه صداقة متينة، ليعود إلى مدرسة الحياة في مواجهة قوية لعدوّ الإنسانية.

عاد إلى لجزائر في وقت صعب، تاركا حياة الترف والبحبوحة، والمكانة المرموقة، والتمتع بالأسرة الدافئة، وعاش لأجل الجزائر كأنها هي الولد والعزّة يسعى وراء مسؤوليته التعليمية، والإصلاحية والدينية، والاجتماعية، والسياسية " فأعطى نفسه للجزائر من دون سواها من أسرة وأطفال".....[1]

" ...لكنّها ستقبل الحياة يوم أن استقبلته الحياة وهو يصرخ في وجهها: خلقت للجزائر وسأعيش للجزائر"...[2]

واجه ابن باديس الحالة السيئة للجزائر بجوانبها العديدة من مظاهر الانحطاط الفكري التي عانت منها؛ خاصة الحالة السيئة للمجتمع، وانتهك واستنزف الاستعمار قوى الأمة من جهة وكذا مواقفه تجاه فرنسا لمّا عرف حقيقتها من جهة أخرى، عمل واجتهد في توعية الشعب الجزائري من النواحي التي ركز عليها الاستعمار وهي تجريد الشعب الجزائري من أقوى ما يملك من أسباب القوة والمَنَعةِ والحيلولة بينه وبين ما يشدّه بقيّمه وحضارته؛ بهدف تحطيم أسس بنيانه المعنوي والمادي:

- القضاء على المؤسسات التعليمية، والدينية والاجتماعية؛ التي كانت مصدر توعية المجتمع وتحويلها إلى مستودعات وكنائس.

[1]: عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، د،م،ط، الجزائر 1993، ص153.
[2]: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا الجزائر 2003،ص83.

. تضييق الخناق على الثقافة العربية والإسلامية وتزييف مقوماتها الدينية والعربية، وتراثها ومطاردة العلماء.

. تقييد حرية الفرد وفرض حياة الذل عليه وحرمانه من التعليم، وفرض المناهج الفرنسية في مؤسسات فرنسية لكتم صوته وتضليله عن حقوقه.

شكلت العوامل محرك الفرد والمجتمع نحو تقرير مصيره من جهة، وتهديدا للمستعمر وكيانه من جهة أخرى. فسعى على شلّها والقضاء عليها لقول الكواكبي: " أخوف ما يخافه المستبدون... أن يعرف الناس حقيقة أنّ الحرية أفضل من الحياة"...[1].

لقد كانت مواقف ابن باديس واضحة الخطى بعد إدراك أنّ الأمل في فرنسا أمر مستحيل خاصة عند ادعائها سياسة الإدماج؛ إذ ردّ عل ذلك بعنف في كتاباته وخطبه "إنّ الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا"...[2].

توجه ابن باديس بقوة إلى الشعب الجزائري ليبيّن نوايا فرنسا اتجاه الجزائر التي اتخذها مصدرا لتحقيق أغراضه، دون أن يرأف بشعبها وما يحتاجه لتأمين حياة كريمة، ورفض انتمائه إلى وطنه وحرمه من أبسط حقوقه الشرعية، ونجد ذلك في عدة كتاباته بالردّ القاطع في إثبات وجود الأمة الجزائرية المتميز عن الأمة الفرنسية ، وتحدث عنه في المؤتمر الإسلامي.

ب . العمل الإصلاحي

ارتبط العمل الإصلاحي بالفنون الكتابية؛ إذ اتخذ ابن باديس القلم وسيلته بكلمات معبرة وقوية لإقناع الفرد بضرورة مجابهة المستعمر، وكل من يقفون بجانبه قصد محو أصالة الجزائر وعمق حضارتها والزعم بقدَر المستعمر المحتوم؛ مركزا على إثبات حق الفرد الجزائري في أرضه. وضح ذلك تميز

[1]: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ص154.
[2]: المرجع نفسه ص154.

الجزائريين بالقيم الإسلامية والعربية؛ متمثلا بالدين الإسلامي واللسان العربي اللذان ساهما في نشر السلام في المعمورة قائلا:" نهضتنا بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية..."[1]

إلى جانب الأفكار التي أراد ترسيخها في صفوف الجزائريين بمقالاته، وأحاديثه في المساجد . الجامع الأخضر. والمؤسسات التعليمية يتبين ذلك في ما أفصحه الكُتّاب بقولهم " بمجرد رجوع الشيخ ابن باديس إلى قسنطينة سنه 1913 انتصب مدرسا بالجامع الكبير، ثم الجامع الأخضر، يهذب النفوس، وينشر المبادئ القومية"...[2]

انطلقت هذه الدروس من "أب" الجزائر ومثّلت الباعث القوي لتحقيق القوة الروحية والمقاصد الاجتماعية في رسالته النضالية ضد أساليب الافتراء، والتشويه، والتزوير، إضافة إلى المساومة والدسائس. وكثّف التقاءه بالشباب الذين اعتبرهم عمود الأمة المتمدنة والمستقلة، فهو دائم الالتقاء بأفراد الشعب ومحادثتهم، وسؤالهم عن مختلف القضايا التي تشغلهم.

ذكّر الرجل في نشاطه بمقومات قوميتنا. وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا وهي المحافظة على ديننا الإسلامي فهو قوة عظيمة، وملجئ شرعي لسلوكنا، ونظام محكم، وعنصر هام ساهم في تهذيب أخلاقنا وإرساء شخصيتنا.واتخاذ اللغة العربية اللغة الرسمية للجزائر؛ التي تؤكد عروبتها.

شرع ابن باديس في مشروعه النهضوي من منطلق البناء الروحي والخلقي والفكري لاعتقاده بنجاح هذا المنهج. أسلفنا أنّه حاول دراسة معطيات المرحلة الذي عاشتها الجزائر وركوب مطية الجهاد فكانت بدايته على مستوى بيوت المسلمين.

- ✓ **المساجد:** هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم لما إلى المدينة وبنى أوّل مسجد الذي ضم المسلمين روحيا وتعلموا فيه العبادة والعلوم النقلية، وتمت فيه المحاورات والمناظرات والمشاورات حول أمور الرسالة والمسلمين، فكان اللبنة الأولى لدولة إسلامية عالمية اللغة والدين. وابن باديس خطى من

[1]: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 156
[2]: المرجع نفسه، ص84.

هذا المنطلق وحاول الحفاظ على الدولة الجزائرية، خاصة وقد توفرت له المساجد والتي كانت موجودة في أرجاء البلاد، مما سهل لابن باديس سعيه وفق منهاج النبيّ عليه الصلاة والسلام، باعتبار التربية والتعليم الركيزة الأولى لبعث النهضة الجزائرية، أرسى مشروعه التربوي ليشدّ عضد الدولة لما كان من منشآت من عهد العثمانيين و ما تم تشييده من قبل ابن باديس و الجمعية.

"ومدارسنا التي حملت لواء العلم والحضارة في القرون الوسطى لم تبدأ إلا من المسجد....إذا تكلمت عن أثر المسجد في معالجة هذه الأخلاق فلقد أصبح من ركائز علم النفس الاجتماعي"...[1]

كان دور المسجد مهما في المجتمع منذ القدم ؛ إذ كان المؤسسة التي تكون الفرد وتعده لرسالة الحضارة. تشير الإحصائيات إلى كثرتها سواء كانت مساجد أو جوامع خطبة، أو قباب، أو زوايا "فديفوكس الذي بحث موضوع المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر قال سنة 1830م ثلاثة عشر جامعا كبيرا واثنا عشر زاوية ومائة وتسعة مساجد، واثنتان وثلاثون قبة ومائة وست وسبعون مؤسسة أما بقسنطينة يشير آخرون أنّ في عهد صالح باي بلغت المساجد والجوامع خمسة وسبعين، وبعنابة سبعة وثلاثون وبتلمسان خمسون مسجدا"....[2]

إلى جانب كثرة الأماكن الدينية خارج المدن الكبرى والتي كان لها الأثر الكبير، وتميزت هذه المساجد والجوامع بهندستها، وعرصاتها المرمرية، وزخرفتها الفسيفسائية، والنقوش العربية إضافة إلى كسوتها " وقد أعجب الأوروبيون بهندسة بناء المساجد في المدن الجزائرية وعرصاتها المرمرية وزخرفة الفسيفساء والنقوش العربية وفراشها بالزرابي الفاخرة والحرير والمطرز أحيانا"...[3]

إنّ ذلك لدليل كبير على عمق حضارة الجزائر، وعراقتها في منشآتها الشاهدة على شعب واعي ومفكر؛ لكن ما قاده إلى هوة الجهل والظلام سياسة الاستعمار. لذلك حاول ابن باديس إحياء عمل المساجد؛ التي كان لها قيمة كبيرة من حيث دورها الفعال في تنمية عقول الجزائريين من الدروس المقدمة من قبل الأئمة والعلماء، كتحفيظ القرآن الكريم للأطفال؛ إذ ابتكر ابن باديس طريقة

[1]: مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، ط3، لبنان، 1970،ص(8 ،9).
[2]: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1 دار البصائر الجزائرط6 ،2009، ص247، 248، 250.
[3]: المرجع نفسه، ص252.

جديدة لتفسير القرآن؛ التي أخذها عنه علماء آخرون مما زاد من إثراء الأفكار وجود المكتبات الكثيرة؛ التي تضم الكتب الدينية والمصاحف وكتب في العلوم كالرياضيات و التاريخ والأدب والطب.

✓ **الزوايا:** عمّت البلاد أكثر من المساجد لوجود الأضرحة والمقامة على الأولياء الصالحين في العاصمة، وقسنطينة، وتلمسان، وبجاية . وللزاوية دور فعال في نضال الشعب الجزائري بدء من اعتبارها مركزا للعلم، خاصة في القرى والمداشر التي انعدمت فيها المدارس " يظهر الدور الإيجابي للزوايا الريفية في التعليم على الخصوص...لتعليم الشبان وتنوير العامة.... في المدن أيضا كانت الزوايا تقوم بدور إيجابي في نشر العلم بجميع مستوياته....كزاوية شيخ البلاد بالعاصمة والفكون في قسنطينة وعين الحوت في تلمسان، ومحمد التواتي في بجاية وغيرها"... [1] ومكانا لالتقاء الجنود وحفظ المؤن وتفعيل العمل الجهادي.

✓ **المدارس والمعاهد العليا** : انتشرت المدارس الابتدائية في ولايات الجزائرية سواء في الأرياف أو المدن الكبرى " فهبت الجزائر إلى التربية الدينية والتعليم ففتحت المدارس العربية، البعثات العلمية إلى تونس وأوروبا.." [2]، أما المعاهد العليا فهي قليلة وأغلبها جوامع منها يلتحق طلابها بالمعاهد الموجودة في البلاد العربية الإسلامية كجامع الزيتونة بتونس، والأزهر الشريف بمصر. ومع قلة هذه المؤسسات إلا أنّ وظيفتها كانت هامة في تعليم النشء وتنويرهم، ومحاربة الجهل" فهي تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام، وعلى نمط اجتماعي محدد،... تحفيظ القرآن الذي هو أساس الثقافة الإسلامية... تعليم الأطفال مبادئ العلوم والقراءة، والكتابة ...إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساهم في شق طريقه في المجتمع... "[3]

[1]: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص (268، 269).
[2]: محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، وثورتها المباركة، ج2 دار الفكر الإسلامي،ط1 الجزائر 1971،ص2
[3]: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ص279

امتلكت الجزائر الكثير من المنشآت التعليمية إلا أنّها تضاءلت بفعل أعمال المستعمر، الذي حوّل المساجد إلى كنائس وأصبحت المدارس تابعة للفرنسيين بإلزامهم التعليم بالفرنسية وفق مناهجها وسياستها، التي لا تسمح إلا بتعليم أبناء الموالين لها، أو المتعاونين، والمستوطنين. إنّ التعليم لم يشمل كل الفئات الجزائرية، فبعضها كانت مهمشة، فعمل ابن باديس على إصلاح المساجد وإنشاء المدارس الحرّة لتربية وتدريس النشء، ورفع شأن الدين الإسلامي، واللغة العربية وفق مناهج وضعها كمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، التي حصل على ترخيصها والده من السلطات الفرنسية. انطلاقا من تربيته وتعليمه وخبرته التي اكتسبها بمسيرته داخل الوطن وخارجه. وقد جعل ابن باديس اللغة الفرنسية ضمن المواد التي تعلم في مدرسته . فرسخ في الفرد الجزائري المناعة الكافية لتحمل مسؤوليته بوعي وكفاءة، ولم يتوان الرجل عن تعليم النساء؛ إذ أدراج تعليم المرأة ضمن برامجه الجديدة باعتبارها عنصر فاعل في المجتمع الجزائري الجديد.

وبعد العمل المتواصل لابن باديس تخرج الجيل الأول من الطلبة فوزّعهم على المراكز في كامل التراب الوطني، ومما زاد قوة العملية إنشاء جمعية العلماء الجزائريين؛ التي كانت بمثابة الخلية فيها تناقش أمور النهضة ورسم الخطوات وتحديد الأهداف، وتوزيع النشاطات. أسس ابن باديس في هذه الفترة نادي الترقي؛ الذي كان فضاء لجميع الحركات، ومنبرا للدعوة الوطنية، والإصلاحية انبثقت منه حركات وطنية من أجل الاستقلال التام.

امتلك ابن باديس استقلالا في الرأي وفق اجتهاده الخاص، وقدرة في معارضة كل من يحاول الإنقاص من هوية الجزائر حتى ولو كانوا من الجزائريين أنفسهم، والذين ادعوا حبهم وخوفهم على مصير الوطن، وهذا ما لاحظه في بعض أساتذته الذين كان يكنّ لهم التقدير والاحترام.

استطاع الرجل أن يكون مربيا من نوع جديد، وإماما في الدين، ومجتهدا في التاريخ، ومجددا في الصحافة، ومصلحا في الاجتماع، ومفكرا في السياسة؛ اهتم بالجانب السياسي وهو الأمر الذي كان

معروفا لدى الشعب الجزائري؛ لأنّه مسّ المشاكل التي كان يتعرض إليها، فكان يتحدث فيها المصلح إلى الجزائريين بصياغة يستخلص فيها المبادئ العامة؛ لتكون منهجا ليس مجرد خطبة أو مقال .

← قابل ابن باديس في بداية مشروعه حضارة فرنسا المزعومة ومدى تأثيرها على الجزائر؛ إذ جردت أبناءها من ممتلكاتهم، وتجويعهم بتخطيط محكم ليجعل ذلك حجة عليها وإظهار الوجه الحقيقي لها، ومراميها في الجزائر:"كان شعار هذه المرحلة عند ابن باديس مجرد محاولة تكتيكية تدخل في إطار هدف استراتيجي أعم هو الاحتفاظ بالشخصية الوطنية ومقاومة التذويب والمسخ....كان يريد من المساواة في الحقوق مع الفرنسيين أن تكون طريقا سليما يؤدي إلى الانفصال عن فرنسا"...[1]

وقف ابن باديس رفقة علمائها في وجه التيار الفرنسي بتعليم الشباب وتوعيتهم في المدارس والمساجد بالمناهج الجزائرية، كمرحلة كشف النقاب عن حقيقة؛ إذ عملوا على فضح الاستعمار وأعماله الشنيعة خلال فترات المؤتمرات الإسلامية، ونشاط الجمعية الصحفي، وعالج أمته من الداء الذي أصابها من جراء فيروس الاستعمار، وتمّ ذلك بالبناء الروحي، والعقلي، والنفسي بمشروعه التربوي الإصلاحي، وبعد تحقيق هذه الخطوة زاوجها بالكتابة في الصحف والذي كان قائما على إدارتها فكانت بمثابة الصوت الذي يدوي في الآفاق، وما زاد في ترسخ العمل الحضاري إنشاء جمعية العلماء المسلمين لجزائريين؛ التي أصبحت الناطق والراعي الرسمي للمشروع، وقد مدّت فروع الصحافة المكتوبة والنوادي لنشاطات عديدة كالمناقشات والمحاورات، وتصحيح للعقيدة ونشر الخلق الصحيح وإرساء مبادئ الأخوة والمحبة بين الجزائريين، كما اهتمت بالحياة الاجتماعية وترقيتها بتحسين الحياة المعيشية والتعاون على تحقيق الحياة الكريمة، والمساهمة في تطور الجزائر بالمشاركة في العمل الوطني على الصعيد الداخلي، إذ نجد الفترة التي سبقت الثورة من معارك سياسية ـ مرحلة التحضير ـ وما بعدها ـ مرحلة المواجهة ـ المتمثلة في الكفاح المسلح من أهم اللحظات التي سجلها التاريخ بحروف من ذهب، وتغنى بها الشعراء الجزائريون وغيرهم من الوطن العربي، فهذه الثورة هي نتيجة الدور الذي لعبه

[1]: محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر 2007،ص22.

المصلحون في إرشاد الشعب إلى طريق الحفاظ على كيانه بعدما أثبت الاستعمار تعنته، واستنكاره لحق الجزائريين" إنّ الشعب الجزائري لا يلجأ إلى الجهاد إلا لكي يحمي كيانه من الانصهار والذوبان في كيان غيره وبوتقة هذه القوى الدخيلة عليه التي تتحكم في مشيئته".... [1] كما اهتمت الجمعية بمشكلات الأشقاء وتعاطفت مع قضاياهم كالقضية الفلسطينية، وغيرها من البلدان المستعمرة.

الخلاصة:

عُرف عبد الحميد بن باديس بشخصيته، وتضحيته النفيسة الفذة، وتميّز بإيمانه الكبير بعدالة قضيته، وثقته بنصر الله لعباده المؤمنين المجاهدين، رفض الحياة الكريمة المترفة، والأسرة الدافئة، أراد أن يكون أبا لكن للجزائر، لأبنائها؛ لأنّه عكف على تربيتهم وفق منهاج إسلاميّ، وتعليمهم في كل الأطوار بهياكل سهر على تنظيمها ووضع خططها كما يؤكد الجابري:" وابن باديس وإنْ كان أكثر إدراكا للفصل بين مفهومي العروبة والإسلام إلا أنّه بنزعته التوحيدية والوحدوية معا كان يرى العروبة والإسلام متلازمين معنى وتاريخا ومنطلقا لأنّ رسول الإنسانية ورجل القومية العربية كوّن أمته هذا التكوين المحكم العظيم ،ووجهها لتقوم للإسلام والبشرية بذلك العمل الجليل فلم يكوّنها لا لتستولي على الأمم ولكن لتنقدها من سلطة المتسولين....، ولكن لتستنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد إلى درجات العزّ والصلاح والكرامة"....[2]

وقد عزم الشيخ على إتمام المشوار إلى نهايته بالرغم من المكائد التي دُبرت له، ومحاولة اغتياله عدة مرات، فهو لم يأبه بهذه المؤامرات التي استهدفته؛ بل واصل مشروعه الحضاري في أكثر من ميدان، كما اتصف بالذكاء في معاملة المستعمر. فكان بحق زعيم أمة وقائد نهضة، كما شارك في القضايا الخارجية بآرائه، وكتاباته المنوهة بالظلم والداعية إلى الحق. عجزت الكلمات عن إعطاء هذا الرجل حقه من الحديث عن إنجازاته ونشاطاته فكل ما قاله الكُتّاب عنه قليل ولا يشكل ولو ذرة مما

[1]: محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994، ص63.
[2]: محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل،الجزائر ،دط، 2009، ص63.

قدمه للجزائر، ونجد أنفسنا عاجزين عن تخيل العمل الجبار؛ الذي عبر عن شخصية منقطعة النظير بنهضته التي ملأت الدنيا ، وسوف نركز على أهم محطات الفترة الباديسية.

هذا العَلَمُ كان قامةً من قوام الجزائر، عاش خمسين سنة قضى منها ثلاثين سنة في التعليم والتوعية، جابه الاستعمار بإلقاء ثلاثة عشر درسا في اليوم بمختلف مراكز العلم، شعاره الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا؛ فكان مربيا، ومعلما، وخطيبا، وإعلاميا، وسياسيا، وشاعرا، فاستحق لقب العلامة والمفكر؛ شكل عمله صراعا فكريا بين المكافح و الاستعمار. "قاد الفكرة الإصلاحية التي كانت فكرة مجسدة، وبموت صاحبها أصبحت فكرة مجردة، لا يجد الاستعمار إليها سبيلا"...[1]

2.الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

هو الشخصية المؤثرة الثانية بعد ابن باديس، واحد من الشعب الجزائري الذي تميز بعزة النفس والأنفة، وروح التحدي، والاستعداد النفسي، وامتلاكه للقدرة المعرفية، فكان رجلا من رجال العصر" الإنسان العصري الذي يستحق أن يكون قدوة للأجيال اللاحقة؛ هو الذي يملك القدرة المعرفية والإمكانات العلمية اللازمة لاكتشاف القوانين المسيرة للطبيعة. وبالتالي العمل على إخضاعها وتذليل العقبات الموجودة فيها وتسخيرها لخدمة الإنسان"...[2].

كان البشير الإبراهيمي كغيره من العلماء الذين لهم الدور الفعال في اليقظة الفكرية؛ إذ أنه أكمل مشوار العلماء الجزائريين وأخلص لوطنه، وارتبط عمله بفترة مهمة من حياة الجزائر، أو عن الجزائر العربية والمسلمة بشعار (أصالة . صمود . تحرر) فترة قلم احترق ليغير خريطة عقول الجزائريين.اهتم البشير بتكوينه ليصبح قادرا على مواجهة الاستعمار، فكان عبقري زمانه.

أ.ريادته في الثقافة العربية.

[1]: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق،1981، ص 37.
[2]: الحسين حماش، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، ماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1993.ص75

كان الإبراهيمي علامة كبيرا بفضل تحصيله العلمي وقديم أدبه وجده؛ إذ حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية اللذان يمثلان الركيزة والقاعدة الأساسية لكل عالم عربي إسلامي. رحل إلى البقاع المقدسة للاستزادة في علوم اللغة والبلاغة، والفحولة في النطق الصحيح للعربية.

اشتغل بالتدريس في البلاد العربية بعد مطاردة المستعمر له؛ ونشط بالمساجد والنوادي، ودرّس بالمدارس في دمشق، ومصر؛ إذ تميز بإلقاء جذاب وبيان ساحر، وذوق في تفسير الأحاديث، وقوة في العبارة وبعدٍ في النظر، فكانت الجماهير تهرع وتتزاحم عليه قصد الاستماع إليه والتمتع بأدبه، وفكره إذ يشير معاصروه " ...كان لقاؤنا بالشيخ البشير الإبراهيمي مصدر متعة وعلمية جعلت أدباء القاهرة وعلمائها يهرعون إليه ويتزاحمون عليه"...[1]

بلغ الشيخ مكانة كبيرة في نفس العربي؛ لأن مجلسه اكتظ بالناس يستمعون إلى علمه ويتمتعون بفكره؛ خاصة عندما كان يتحدث عن مشكلة الاستعمار في المجتمعات العربية، والسبل التي تمكنه من القضاء عليه.

ملك البشير الإبراهيمي ناصية اللغة العربية في كتاباته، أبدع وكتب عدة مقالات في مناسبات عدة فشهد له الكثير بالإمارة في مجال الكتابة، فانتخب عضوا في المجامع اللغوية العربية في كل من دمشق وبغداد، وعضوا في مجمع اللغة العربية بمصر ممثلا للجزائر.

حاضر في النوادي والمساجد، ورسم أسس الإصلاح في نشاطاته، تحصل على مكانة في قلوب المسلمين داخل الوطن وخارجه، وتوّجت خبرته بتأسيس جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ ابن باديس رفقة مجموعة من العلماء الجزائريين، الذين ساهموا في إيقاظ نفوس الشعب الجزائري الخاملة وعملوا على توعية الشباب الجزائري " ولعلنا نردد دائما مقولته الشهيرة هكذا يا أبناء الجزائري كونوا"

[1]: محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، ص69.

بتعليمهم مبادئ الدين الصحيح وبث فيهم الثقافة الجزائرية الأصيلة فعمر بن قينة يقول:" .... ساعيا من أجل تكوين شباب الوطن ثقافيا وتوجيهه عقديا..."[1].

ب.جهوده الإصلاحية.

جعل البشير الإبراهيمي الاستعمار شغله الشاغل، فلم يترك حدثا أو تصرفا منه إلا وأبدى فيه رأيه؛ مشيرا إلى ما ألحقه المستعمر من دنس بالمسلم الجزائري، فركز الرجل على بعث الوطنية بالدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية، فاستجابت له العديد من الفئات؛ التي آثرت الله والعروبة على نفسها بالإعانات المادية والهبات التي تملكها أيديهم، وما تزينت النساء به من حليّ لبناء المدارس بغية تعليم اللغة العربية؛ فهو قد تولى مهام ابن باديس بعد وفاته إذ أنّه اهتم ببناء المدارس للقضاء على الأمية التي كانت تعرقل عملية النهضة فيشير معاصروه "..استطاع أن ينشئ ثلاث وسبعين مدرسة في المدن والقرى وأربعمائة خلال السنوات الموالية"..[2]. وقد تولى العمل في هذه المدارس الجيل الذي تخرج من مدرسة ابن باديس؛ حيث بلغ عدد المدارس أربعمائة والمتخرجين من الجنسين يواصل دراسته الثانوية في معهد ابن باديس، والأفواج الناجحة تكمل في جامع الزيتونة بتونس، ومعاهد المشرق العربي.
ويظهر قوة هذا العمل بالردّ العنيف الذي أقدم علية المستعمر مما زاد من ثقة الشعب الجزائري في الجمعية ومصلحيها، " كان للجمعية أثرها في مختلف الأوساط في المدن والقرى فاستجابت الفئات الشعبية تبذل الإعانات المادية وتقدم الهبات لبناء المدارس وتعليم اللغة العربية"...[3].

البشير الإبراهيمي بقلم معاصريه مسلم صادق في إسلامه، وعالم مجاهد في سبيل وطنه.سخر حياته من أجل نشر الوعي الإسلامي، والعلم بين أبناء الجزائر، آمن بأنّ التربية والتعليم الإسلاميين هما السلام الماضي في مكافحة الاستعمار.فقد كان يحمل هموم الجزائر المسلمة العربية إذ كتب تقريرا يوضح فيه دورنا نحو وطننا والسبيل إلى ذلك هو المدرسة والمهمة التي تؤديها بقوله:

---

[1]: مبارك الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر ، ص214.
[2]: محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، علم الأفكار، الجزائر2007 ص86.
[3]: مبارك الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، ص215

" إنّ الوطن أمانة الإسلام في أعماقنا ووديعة العرب في ذممنا... والسبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها، وتحوطها برعايتها، وتجعلها حصونا تقي أبناءنا من الانحلال الديني والانهيار الخلقي، وتحفظهم من ترف الغنى وذل الفقر، وتربيهم على الرجولة والقوة، وتوحيد النزاعات وتصحيح الفكرة، وتقويم الألسنة وتمتين الإرادات والعزائم، وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصحح ما أفسده المنزل والشارع وتروضهم على حب البناء .."[1]

كان البشير الإبراهيمي يعي جيدا أن السلوك الفعال في الحفاظ على الشخصية الجزائرية مرتبط باللغة العربية و الدين الإسلامي، إذ التمسك بهذه المقومات يشكل الفاصل بين الجزائر ومستعمرها ولأنّ اللغة تشكل هوية الأمة، وتظهر قيمتها وفعاليتها في بناء الحضارة العربية الإسلامية؛ إذ عمد الاستعمار على محاربة والقضاء على اللغة العربية، وإبعادها عن المناخ الجزائري بنشر الفرنسية وثقافتها، وتشجيع الاتصال بالحضارة الأوروبية، وخلق سبل الحياة الغربية بين الجزائريين من جهة ومحاربة الدين الإسلامي الذي عبر عن حياة المسلمين وأمجادهم في بناء سرح الحضارة والعالمية. وراح المستعمر يزيف الدين بالإسرائيليات، وخلق الطرقية الهدامة، وإبعاد الجزائريين عن الدين الصحيح بالفتن والخرافات من جهة أخرى، كانت فرنسا بذلك تهدف إلى تحقيق أغراضها الاستيطانية، وبناء محو الوجود الجزائري في هذه البقعة الطيبة وجعلها فرنسية حتى تضمن البقاء الفرنسي بالجزائر للأبد.

لم يحصر الشيخ عمله داخل الوطن فقط؛ بل امتدّ حتى خارجه. فقد كان البشير الإبراهيمي أستاذا ومعلما وموجها، ومصلحا داخل الوطن، بعد خروجه إلى العديد من البلدان العربية يدول القضية الوطنية ويفضح جرائم المستعمر مبيّنا حق الشعب الجزائري في استقلاله، ويطلب مساندة الوطن العربي بإعانات مالية من أجل إكمال رسالة الجمعية، وتعليم مئات المحرومين من أبنائها واستقبالهم في التعليم العالي ليرجعوا إلى وطنهم معلمين مجاهدين. نظرا للعمل الجبار الذي قام به البشير الإبراهيمي، وهو يتوجّه إلى الوطن العربي والجامعة العربية، بكلماته الصادقة المعبرة عن الكيان الجزائري المهدد من قبل الاستعمار غاشم، وشرح للحالة المزرية للشعب الجزائري، سارعت الهيئات إلى

[1]: نور سليمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة،الجزائر، 2009 ،ص397.

مساعدته إذ أعرب البشير بقوله:" استجابت معظم الحكومات العربية فقبلت أعداد محدودة من تلاميذ الجمعية في معاهدها وعلى نفقتها.."...[1].

كان للرجل مكانة مرموقة في عيون القائمين على الهيئات العربية. فقد عمل معلما ومصلحا في بلادهم. فعُرف باجتهاده وفكره وسداد رأيه لاسيما معرفته باللغة العربية، فكان عضوا في مجامع اللغة. وكل ذلك ساهم في أن تُسمع نداءاته وتلبى بصدر رحب.

عاش البشير سنوات العمل والكدّ في المشرق العربي، ساعده على استقبال الطلبة، الذين تم إرسالهم إلى المشرق، فكان لهم مرشدا في دراستهم. وبعد عودته عمل على متابعتهم وتوزيعهم على المدارس لتعليم النشء. وركز على تحفيزهم، وتذكيرهم بمهامهم اتجاه وطنهم بقوله:

" ... أنتم يا أبناءنا بواكير نهضة علمية وقد أظل زمانها وظهرت تباشير فجرنا الصادق... والعلم هو أساس الوطنية وقطب رحاها ومركز دائرتها ودليل سيادتها... لا حقّ لكم في الوطن بل الحق كله للوطن عليكم"...[2].

بهذه الكلمة التي وجهها البشير لأبناء الوطن تعبير صادق عن وجدان صاحبها، وتعكس ذاته فهو قد أحبّ وطنه، وأمته، بعد أن أحبّ الإسلام واللغة العربية، فحاول أن يصنع الجيل المتعلم الرافض والمطمئن للعدوّ، وغرس فيهم روح المسؤولية اتجاه الوطن أرضا وشعبا براية العلم .فالدرس جعله مشعلا لا ينطفئ ناره حتى تداوي المرض الذي استفحل في الجزائر بفعل الاستعمار، ويتلاشى الظلام ويظهر المستقبل الزاهر.

يقاس الرجال بما يقدمونه من أعمال؛ فكما كان لابن باديس الدور الفعّال في تنمية وطنه، لم يمنعه ذلك من المشاركة في حلّ مشكلات البلاد الأخرى، إلى جانب البشير الإبراهيمي أبدى

[1]: محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، ص92
[2]: مبارك الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر، ص217.

مساندته للإسلام والمسلمين في بقاع العالم الإسلامي؛ خاصة القضية الأم وهي القضية الفلسطينية والذي عمل على مناصرتها ودعوت كل الدول الإسلامية لمواجهة العدوّ بشتى الوسائل.

ومما سبق حاول ابن باديس والبشير الإبراهيمي رفقة مجموعة من العلماء والمصلحين توعية الفرد الجزائري؛ الذي وقع ضحية إرهاب المستعمر، بإحياء الشخصية الوطنية والذهنية العقلية الاجتماعية سواء كان ذلك:

- ✓ التركيز على التربية عن طريق تشييد المنشآت التعليمية؛ كبناء المدارس و المعاهد لتعليم أبناء الجزائري وفق مناهج مختارة، والتي حرمه منها الاستعمار، وترشيد الكبار في تنشيط وتفعيل أئمة المساجد، بالندوات والمحاضرات لإيقاظ الجزائريين وبيان دورهم في مشروع الحرية والاستقلال من جهة وكشف نوايا الاستعمار و أغراضه الحقيقية من جهة أخرى.

فقد شكلت هذه الخطوة المتمثلة في نشر العلم والمعرفة، ومقاومة الجهل والجمود أولى أهداف المنهج التربوي عند المصلحين عامة وابن باديس خاصة، وقد كانت هذه الفاتحة لتربية وتكوين الفرد الجزائري.

- ✓ أما الخطوة الثانية فقد كانت لإبراز حقهم في الدفاع عن وطنهم، ومحاولة التعايش مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قصد تخطيها والتغلب عليها حاول المصلحون بعث روح التحدي في نفوس الجزائريين؛ بالتركيز على مبدأ الحرية وتقرير المصير، الذي كان من حق كل الشعوب والتذكير بمقومات العربي والإسلامي، ومثّل ذلك دافعا للتغيير ومحاربة الاستعباد والعبودية الذي مارسته فرنسا. وهذا توّج بالنهضة والمشروع الحضاري، والذي رسمه ابن باديس عن طريق مجموعة من الوسائل كالمطبعة الجزائرية، وما أصدرته من جرائد ومجلات، وتأسيس حركات و جمعيات.

3.مالك بن نبي

نشأ بن نبي بين مجموعة من العلماء والمفكرين والأدباء وفي جوّ المدرسة الفرنسية أين حُتّم عليه الانفعال والتفاعل دفعه إلى العلم والمعرفة والاستكشاف، لتحديد الوجهة الصحيحة. فهو قد

تعلّم على يد خيرة المفكرين الجزائريين كابن باديس " ....دروس الشيخ موهوب في علم الكلام وسيرة النبي صل الله عليه وسلم، ودروس الشيخ ابن العابد في الفقه كانت قوة مذكرة تردّ فكري إلى وسط عادل. زد على ذلك أنّ الشيخ ابن باديس كان يستمر في تزيين دروسه بتأملاته حول اتجاهات المجتمع الفاسد وعيوبه...."[1].

قرأ بن نبي كتب الفكر والأخلاق والسياسة للعرب وغيرهم ليكون البذرة الطيبة التي قاومت الإحباط ورفعت مجدها نحو السماء، فكانت هندسته للنفوس، ومنحناه الإنساني؛ إذ درس تفكيره في تربة وفي نطاق مختلفين.ليكلل ذلك بالمشروع الحضاري ليغدو به إلى القمة.

لم يكن تفكير بن نبي إقليمي؛ بل اتجه في مشروعه كعربي مسلم، لكنه مدرك لموقعه من العالم الثالث، وقد لاحظ أنّ المسلم تابع ومقلد لأفكار لا تمتُ إلى الإسلام بأية صلة.فهو قد رصد أنّ العنصر الوطني يحتاج أولا إلى تثقيف بقوله" فأمسى العنصر الوطني المثقف مشلولا ...بينما كانت القضية ولازالت قضية تطعيم ثقافي "[2].

حلّل بن نبي تركيبة العربي المسلم من محيطه وعلاقاته، فوجده يعاني من الجهل والجمود، يفتقد إلى القدرة المعرفية، والإمكانات العلمية اللازمة وبالتالي يستحيل توظيف إمكاناته الذهنية والجسمية بصورة عامة. فهو ربط بين الحياة الاجتماعية، ودورها في إنماء المشروع الاقتصادي، لاحظ ضعف العنصر الجزائري بابتعاده عن عقيدته، والفهم الصحيح لمبادئ دينه الحنيف؛ والذي يحث على العلم والعمل ويقتضي ترابطهما في مقدمته أول آية نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾...[3] . فالله سبحانه وتعالى اشترط في تكليف باني

الدولة الإسلامية الرسول صلى الله عليه وسلم في بادئ الأمر بالعلم؛ الذي أساس تقدم الأمم والمجتمعات" ... الأصل المعرفي في القرآن الكريم يبدأ من العلم وينتهي إليه...ذكر العلم بكل صيغة

[1]: مبارك الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص261
[2]: عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص264.
[3]: القرآن الكريم برواية حفص، سورة العلق، الآية 1.

في القرآن الكريم أكثر من تسعمائة مرة بمعدل تسع مرات في كل سورة وربط علم الإنسان بعلم الله الأزلي..."[1]. هذه المكانة التي أعطاها الله للعلم جسدها في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾.." [2] ثم يأتي العمل يرفعه بعد ذلك؛ ليؤدي رسالته على أكمل وجه والعمل يتطلب الوسائل المسخرة لذلك منها الإرادة التي تبنى على العزيمة والتحدي الحضاريين في التغيير. فابن نبي ركّز على عنصر القيم في بناء الحضارة على مواجهة المشكلات بسلوك جديد لقوله:" ليس قضية إمكان مالي ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية أي الإنسان و التراب والوقت في مشروع تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات"[3].

ركز المفكر تحديدا في أفكاره على ما يقدمه الإنسان، من استعداد نفسي، وعقلي لقبول التحول وعدم الثبات، وقد ربط أيضا بين الإنسان والوقت المحدد والمحيط اللذان يحققان تفاعل مشروع الأفكار، وهو يؤكد على أنّ الفرد العربي المسلم يملك القدرات للتحضر؛ لذلك الأجدر به الربط بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية، والدينية. فالأمة العربية الإسلامية تمتلك من مقومات لمشروع فائض البشري وشروط الاكتفاء من تراب ووقت" فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"...[4]

نوه الفيلسوف بدور الإنسان في بناء الحضارة بأفكاره. فهو محرك التاريخ والفاعل فيه، ظهر ذلك جليا في آرائه حول عمارة الأرض منذ خلق الله سبحانه هذا الكون ونظمه، وجعل الإنسان سلطانا عليها في ابتكار وسائل حياته من العصر الحجري إلى عصر الرقمنة.

---

[1]: أحمد دكار، فكر الراغب الإصفهاني، ، دكتوراه دولة جامعة تلمسان 2001/2000،ص175.
[2]: القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية9، رواية حفص.
[3]: عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص 265.
[4]: أحمد بناسي، المدخل إلى فكر مالك بن نبي، منشورات التبيين الجاحظية ، دط الجزائر 2006، ص42

عاش بن نبي في الفترة الاستعمارية، فأتاح له ذلك ملاحظة الصراع بين المواطن الجزائري والاستعمار، فكان ذلك تربة للدراسة؛ إذ استطاع الوصول إلى فكرة مهمة وهي نقطة ضعف الجزائريين ليس في وجود الاستعمار، وإنما الضعف الديني لقوله:"... العالم الإسلامي ليس مريضا بالتفرقة والجهل والاستعمار، فمرضه الحقيقي كامن في الذات الإسلامية..."[1]

ونفسر ضعف الذات الإسلامية في تمزيق كلمة اقرأ التي تمثل مفتاح الحضارة، وهي قيمة تنبثق عنها مجموعة من القيم؛ يستحوذ عليها الإنسان من اكتساب القاعدة العلمية للتفاعل مع العالم والتاريخ ليؤسس عالمه الجديد.

غير العلم العالم؛ إذ رأى الإنسان النور وتمسك به، فبن نبي يشير إلى أن بلال عندما تحدى جهابذة قريش رافعا كلمة الحق" أحد" ورددها في عذابه وصموده بعد إدراكه للنور؛ فالذات الإسلامية هنا حققت له نورا بعد تعليم وإدراك ديني، فهنا قد حقق بعدا حضاريا في المصير الجديد الذي حرك الإنسانية والمجتمع والتاريخ.

وإذا حللنا واقع المجتمع الجزائري من جراء الضعف الذي طغى عليه أثناء الفترة الاستعمارية أصبح لقمة سهلة للفرنسيين، واضمحلت حضارته، وساءت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ولعل السبب في ذلك هو الذات الإسلامية التي هي منشأ القيم بالرغم من التاريخ الحافل .

ونجد التغيير الذي أحدثه ابن باديس والإبراهيمي، وجمعية العلماء في فترة النهضة؛ إذ ركزوا على تشكيل الإنسان الجديد بالعلم في عملهم التنويري، فظهرت عبقرية الإنسان في قابليته للتحضر إذ أوجد قيمته التي يرفع بها الاحتقار والإهانة عن نفسه، من رتبة الأهالي إلى رتبة المثقفين.

ومنه نستخلص أن بن نبي مفكر، وكاتب، وفيلسوف حاول الربط بين علمه والأوضاع التي كان يعيشها العالم الإسلامي، وساهم في النهضة الفكرية الجديدة، وأصدر عدة كتب عبر فيها عن فلسفته الجديدة، فكان ابن خلدون في عصره الجديد؛ إذ يرى القيم الجوهرية للحضارة هي الإنسان

[1]: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ، تقديم عبد الجليل مرتاض، د،ط،م، الجزائر ،ص497

والتراب والزمن وفق فكرة دينية تحقق للإنسان الرفعة الروحية، والسياسة الفنية في الرقعة الجغرافية باختيار الوقت واللحظة المهمة.

المبحث الثاني: العمل الصحفي

1 ـ ظهور الصحافة

إنّ عملية الكتابة على مختلف الأوعية ، وبث الإشارات والرموز على أشرطة مسموعة ومرئية تعطي لنا وثائق ووسائل إعلامية و اتصالية لعرض، ونشر أو نقل الأخبار، و الأنباء، والمعرفة والعلوم في الوسط الإنساني، فيستعملها الأفراد والمواطنون في حياتهم اليومية، والاجتماعية. و هي بمثابة قناة من القنوات المكونة للاتصال الاجتماعي في وسط بشري معين ومعاصر.

أشاد الباحثون دور العمل الصحفي بقولهم:" لقد أصبحت وسائل الإعلام تلعب دورا هاما في المجتمع، حيث احتلت مكانة هامة في التفاعلات الاجتماعية، والسيّاسية داخل المجتمعات الديمقراطية. فهي تساعد على تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وترسّخ في الجمهور القيم والمعتقدات والاتجاهات الثقافية"...[1]

تحت وطأة الظروف التي كانت الجزائر تعيشها إبان المستعمر الفرنسي، وما تسبب فيه من اضطهاد سياسي واجتماعي واقتصادي، وتحريف للثقافة الوطنية، كان لابد من الدفاع عن ذلك بتوظيف وسائل أكثر فاعلية من جهة، وإيقاظ وتعليم القيم الثقافية والاجتماعية، وبعث الحرية لتحقيق الحياة الطبيعية من جهة أخرى، كما اعتبرت الصحافة وسيلة للتفاعل في المجتمع الجزائري بين العلماء والأدباء وبين عامة الشعب بغية نشر الوعي، ومعرفة الحقوق والواجبات ومحاربة الاستعباد "أولت التنظيمات السياسية أهمية بالغة للإعلام ...كما اعتبر مظهر من مظاهر الوعي...فكان سياسة ضد سياسة وحضارة ضد حضارة".. [2]. كل التنظيمات بالجزائر انبثقت عنها جرائد ومجلات هي لسان حالها، إلا أن الاستعمار قضى عليها. وبازدياد وعي منظمي ثورة التحرير استطاعت الجزائر

[1]: قزداري حياة، الصحافة والسياسة، طاكسيج كوم للنشر و التوزيع، الجزائر 2008، ص7.
[2]: بوادر الإعلام الثوري في الجزائر، أحمد حمدي، المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر العدد5، 1991،ص73.

أن تطور المولود الإعلامي المنبثق عن جبهة التحري الوطني، وبيان أول نوفمبر الذي حقق التعبئة الشاملة للجزائريين" هذا النص يؤكد الفكر الإيديولوجي للجبهة والشعب الجزائري...وقد شكل هذا الظهور مفاجأ للاستعمار"...[1]

اتبعت فرنسا سياسة التجهيل، والتجويع، والتنصير في الجزائر، فسلبت من شعبها أبسط حقوقه والمتمثلة في التعليم إلا من سايرها، ورضي بمناهجها، لذلك منهم من قُتل، ومنهم أُرغم على الهجرة ومنهم من سافر طلبا للعلم في البلدان الشقيقة الإسلامية، وللالتحاق بالمراكز العلمية كجامع الزيتونة والأزهر الشريف، والحجاز. لم يضيعوا هذه الفرصة؛ إذ تزامنت مع ظهور الحركات التحررية وفئة المصلحين، فكانت الرحلة العلمية من المغرب إلى المشرق، شكلت إحدى سمات التحرر ونشر الوعي والتفكير في مستقبل الجزائر.

نجح العلماء مد جسور الإخاء وبعث العلاقات الثقافية بين بلدان الوطن الإسلامي. ساهم ذلك في اكتساب تأييد الأشقاء ومساندتهم في العمل التحرري، زيادة على التسلح بالعلم، وامتلاك وسائل لمواجهة المدّ الاستعماري.

حاولت النخبة بعد عودتهم إلى الجزائر (عمر راسم، عمر بن قدور، توفيق المدني) إصلاح الأوضاع في الجزائر، ومخاطبة الرأي العام بالقلم والقرطاس، واتخذوا العمل الصحفي الوسيلة الفعالة لاستقطاب عقول وقلوب الجماهير، بدء من الجرائد العربية في الجزائر. فكانت فاتحة التوعية، وانطلاقة التفكير في كل ما يحدث بالجزائر من جراء السيطرة الاستعمارية، والمطالبة بالحقوق الأساسية والوطنية للشعب الجزائري من جهة، والوقوف في وجه الصحف الاستعمارية التي كانت تزور الحقائق، وتحدّ من العمل السياسي لأبناء الوطن، خاصة بعدما عرفوا غطرسة المستعمر في ترويج للدسائس والوشايات، ومحاولة التفريق بين أبناء الوطن العربي من جهة أخرى.

كان الكُتّاب التونسيون والجزائريون متكاتفين في مواجهة الاستعمار، بالتبادل الفكري والتعبير عن توحيد الرؤى ، وإبراز دور الصحافة في شرح الوضع السياسي والفكري، والاجتماعي فنجد عمر

[1]: بوادر الإعلام الثوري في الجزائر، أحمد حمدي، المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر، مرجع سابق، ص(76-77).

بن قدور أحد أقطاب الشمال الإفريقي في المكاتبة يصرخ في مقاله بقوله:" ما لمصر تقدمت، وما لتونس تيقظت، ما لسائر بلاد الإسلام تفقهت ورجال الجزائر الذين عليهم اعتماد الأمة في سبات عميق لا صحافة ترشدهم..." [1]. واجهت الصحافة التي ظهرت في الجزائر المعارضة القوية من قبل المستعمر الذي كان يجبر الصحف على التوقف عن الإصدار، وحجز أعدادها، ونفي لأصحابها أو زجهم في السجون؛ إذ تفطن لظهور نخبة من الكتّاب، هدفهم تأكيد الغايات المثلى للنضال المستميت نحو الوطنية الصادقة والإصرار على مقاومته، بنشر مقالات في جريدتي التقدم والفاروق يعبر فيها أصحابها عن الوضع المؤسف للجزائريين. وإلزامية الكُتّاب والإرشاد الصحفي إلى الوطنية الصادقة. المدافعة عن الدين واللغة والوطن تحت الرقابة الاستعمارية، وإغراءاتها؛ التي كانت تباغت العلماء الجزائريين بين الحين والآخر بغية الإنقاص من عزيمتهم، وإبعادهم عن العمل الصحفي المشترك بينهم وبين إخوانهم في الدول الشقيقة؛ الذي كان بمثابة النضال بالفكر والحرف، وعنصرا من عناصر التحريض على مقاومة المستعمر.

عرفت الساحة الجزائرية ظهورا كبيرا للصحافة العربية، وانقسمت إلى أربعة أنواع"(تابعة للسلطة الفرنسية، للمعمرين، أهلية جزائرية، وطنية استقلالية)"... [2] استطاعت الصحافة أن تبرز البعد الحضاري العربي الإسلامي للشعب الجزائري لذا لقيت رفضا من الاستعمار الفرنسي؛ الذي فرض تشريعا للصحافة الجزائرية" تتمثل العقبة الأولى في اللغة، فالتشريع المعمول به والخاص بالصحافة قبل عام 1900 يمنع صدور أية صحيفة بغير اللغة الفرنسية"... [3] ، وقد توالت العقبات الواحدة تلوى الأخرى لتقييد الشعب الجزائري وكتم صوته لكن هذا لم يمنع الجزائري من الكتابة في صحف عربية؛ إذ حاولوا الوقوف في وجه المستعمر بكل أشكاله العنصرية، وتوجيه وإرشاد الجزائريين إلى العمل الوطني بمساندة التونسيين والمصريين وبعض الدول الأخرى. لكن الهيئة الفرنسية تفطنت إلى ذلك

[1]: محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، العربية للكتاب، الجزائر، 1983،ص156

[2]: عميراوي احميده، الإعلام الجزائري دعم للثورة التحريرية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد13 فيفري، 2003، قسنطينة،ص119.

[3]: جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الجزائر،1994، ص75.

فقضت عليها، اعتقلت كتابها بتهمة تجاوز القوانين. إلا أن ذلك لا ينقص من أهمية العمل الصحفي الذي قامت به الصحافة العربية في الجزائر حيث يشير محمد صالح الجابري: " ...صورة النضال الصحفي تسجل بداية مشرقة لتاريخ الصحافة العربية والمغربية، ونموذجا يمكن للأجيال احتذاؤه والافتخار به.....[1]

وقال رمضان حمود مشيدا بدور الصحافة في غرس كلمات حية كالاستقلال والحرية والوطنية والمساواة والغيرة الإسلامية:

إنّ الصَّحافةَ نورٌ للبلادِ إذَا سَارَتْ مُوفَقةً فِي أَحْسنِ السُّبُلِ
هيَ الفوائدُ لِشَعْبٍ غَداَ سَكَنا هيَ الحُسَامُ طَوِيلُ الحَوْلِ والحِيَّلِ
هيَ اللِّسَانُ لهَا حُكْمٌ وسَيْطَرَةٌ هيَ الرَّسُولُ لَدَى الأَجْنَاسِ وَالدُوَلِ
هيَ الطَّبِيبُ يُدَاوِي مَنِ بِهِ مَرَضٌ مِنْ الجَهَالَةِ أوْ مَيْلٌ إلىَ الزَّلَلِ....[2]

حاولت الفئة المثقفة في بدايتها تبادل الأفكار، والأخبار مع شقيقتها في البلاد العربية، لكن سرعان ما تبلورت إلى عمل سياسي يدافع عن قيم العروبة والإسلام، وتحقيق التضامن الإسلامي في تكذيب ادعاءات المستعمر، مما حقق إقبال القراء على الصحف، والاهتمام بمضمونها بعدما تناولها بالشرح والتحليل في إطار نوادي، تجمع أفراد المجتمع الجزائري من حين لآخر بعيدا عن أعين المعمرين فذلك وضح وعبّر بحق عن ما يجول في نفوس الشعوب من مرارة.

فالنشاط الذي مارسه الجزائريون في زياراتهم لتونس لم يقتصر على التعلم؛ بل تجاوز إلى التعبير عن معانات الشعبين التونسي والجزائري، وإقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي، وتبادل الأفكار والاستراتيجيات لنشر الوعي والإرشاد إلى العمل الوطني.

2 ـ حركية الصحافة

[1]: محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، ص171 .
[2]: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ص120.

نشطت الحركة الصحفية في الجزائر؛ إذ أصدر عمر راسم سنة 1913 جريدة"ذو الفقار" التي دافع فيها عن مسلمي إفريقيا، وكتب فيها باسم مستعار، وبعدما تعطلت من قبل السلطة الاستعمارية أصدر صحيفة " الفاروق"ذات الطابع التعليمي الأخلاقي الاجتماعي،كانت منبرا للحركة الإصلاحية لكنها تعرضت للمضايقات الاستعمارية.وشهدت مناطق الجنوب الحركة الصحفية؛ إذ شارك الإباضيون فيها بإصدار دوريات وصحف لكنها لم تعمر طويلا " استمرت مطابع الإباضيين الجنوبيين في إصدار الصحف من سنة 1938 إلى سنة 1962 متحدية تعسف السلطة الفرنسية، ومفضلة التعطيل على نشر الأباطيل"...[1]

إنّ عوامل النهضة الجزائرية الحديثة ثلاث أساسة أهمها العامل التربوي كما أسلفنا سابقا السياسي، والإعلامي. فالمشروع الذي عمل عليه ابن باديس خلال فترات متباينة أثبت فاعليته؛ ذلك لمآ تكوّن وتخرج طلبة كانت لهم إسهاماتهم المشرفة في مسيرة الدفاع عن الكيان والوجود الجزائري، وتنويع دائرة نشاطهم في ميدان الإعلام؛ فقد أدرك ابن باديس ضرورة العمل الصحفي لمقاومة الأقاويل المضللة، والدسائس، وأنصار البدع التي كانت تستهدف أفراد الشعب الجزائري، فأسست سنة1925 صحيفة المنتقد التي شكلت برنامجا كاملا ورَدًّا على أعمال الطُّرق الصوفية المزيفة وشعارها ـ **اعتقد ولا تنتقد** ـ بقبول التجديد ونقد القائم ويظهر في تصرفه: " فكأن ابن باديس أراد أن يقول من خلال اختيار هذا العنوان أن خلاصنا الحقيقي هو في القضاء على هذا الشعار وفي انتهاج النقد لكل ما هو قائم"...[2]

لقيت هذه الخطوة العملاقة رواجا منقطع النظير على مستوى الوطني والعربي، إذ جعل ابن باديس يُثمن العمل الصحفي ونجاحه لمدة طويلة، يكون ذلك بتأمين مطبعة تابعة له " ومن هنا سعى إلى إنشاء المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة عام 1925 "...[3]

[1]: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، مرجع سابق، ص123.
[2]: محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر ص12.
[3] المرجع نفسه، ص13.

أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عدة صحف:" حينما تأسست وسارعت إلى اقتحام أسوار الميدان الإعلامي، أصدرت تباعا سنة 1933 ثلاث جرائد (السنة، الشريعة، الصراط) لكن الاحتلال أوقفها الواحدة تلوى الأخرى"...[1] .

حققت الصحف التي أنشأتها الجمعية على يد روادها نهضة كبيرة، فتحت أبواب التصميم في نفوس الجزائريين لمواجهة قوية تستهدف كل ما مارسته فرنسا من استعباد للحرية والتعصب والميز العنصري " أصبح الناس في الجزائر قسمين سادة وهم المحتلون ولهم الحظ الأوفر من خيرات ولهم السلطة المطلقة على كل شيء في الأرض وعبيد وهم الأهالي"...[2]

استطاع العمل الصحفي أن يُكَوّن الفرد والجماعة، وتشكل الرأي العام الإسلامي في الجزائر كما بيّن ما يجب أن يكون عليه من وطنية، وإيثار للمصلحة العامة، وخدمة للمجتمع والرقي به نحو الكمال المنشود، بالرغم من جهود المستعمر للقضاء عليها وعلى القائمين عليها، ويؤكد ذلك قوة العمل الصحفي في هذه الفترة الاستعمارية.

نظرا للدور الفعال الذي احتلته الصحافة في العمل الإصلاحي والفكري، شنت الإدارة الفرنسية حملة قوية استهدفت الحركة الصحفية بمصادرة الجرائد تارة، ونفي القائمين عليها تارة أخرى.

لم يأبه الجزائريون بهذا التصرف، بل أنشأت الجمعية المزيد من الصحف والتي واصلت مسيرة المنتقد،كالشهاب، والبصائر سنة 1935م والتي كان يحرر مقالاتها الشيخ ابن باديس، والبشير الإبراهيمي بعده لطرح قضية الاستقلال. إضافة إلى مجموعة من الصحف ذات النزعة الصوفية وأخرى ذات نزعة سياسية، باللسان العربي وأخرى باللغة الفرنسية، إلا أن التي لقيت اهتماما كبيرا ذات النزعة الإصلاحية خاصة البصائر والشهاب، بإسهامهما في العمل الفكري و الأدبي " كان لابن باديس أثر واضح في هذه النهضة الأدبية بإسهاماته المختلفة في ميدان الكتابة وبتكوينه جيلا من الكُتّاب والشعراء وبتوجيه هؤلاء وأولئك"...[3]

---

[1]: محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، مطبعة الكاهنة، جامعة الجزائر، 2003، ص45.
[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس، ج1 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ص66.

عبر الأدباء والشعراء عن ضمير الأمة وتطلعات أبناء الجزائر في حياة أفضل، وجعلوا منهم مرفوعي الرأس وموفوري الكرامة.

من الواضح أنّ الصحف شكلت خطرا على السلطة الاستعمارية، ظهر ذلك في صورة المعارضة القوية من قبل الاستعمار، ففرضت عليها التوقف عن الصدور وحجزت أعدادها، أو قضت عليها وحدّت من انتشارها، وبالرغم من ذلك فالصحافة الجزائرية قطعت شوطا كبيرا في النهضة الأدبية الحديثة. فقد شبه خرفي الصحافة بالبحر و الشعر بالسمكة ، وهذه النهضة هي بمثابة الفتح المبين بقوله " ويوم عرفت الجزائر نهضة في الصحافة كان الشعر كالسمكة توضع في الماء فبدت فيه الحياة.... وكأن الصحافة فتحت له الفتح المبين"...[1].

أصبحت الصحف سيفا في ساحة المعركة تمّ الفتح بها والانتصار للحق، وحولت الكلمات المسموعة إلى نَظمٍ يؤثر في النفوس، وألفاظه صوتا يتردد كلما لوحظت أعدادها .فنشر الأدباء الثقافة العربية وحافظوا على الشخصية الجزائرية الإسلامية، ثم حرروا الفكر العربي الجزائري من شوائب التقليد والقيود، وذلك بصدور عدة جرائد خاصة التي انبثقت عن جمعية العلماء المسلمين، والتي ضمت رجال الفكر والإصلاح بعد ابن باديس والإبراهيمي، العقبي، والميلي، والتبسي، وتوفيق المدني.

ومن الصحف التي ظهرت في الجزائر بقوة ودورها كان فعالا في نشر الوعي الوطني:

- المنتقد : هي أول صحف العهد الإصلاحي، تصدر مرة في الأسبوع، عمل روادها على زعزعة الكيان الاستعماري، وانتقاد تصرفاته، وإفشال محاولات التضليل والبدع، لكن الاستعمار لم يسمح لهذه الصحيفة بمواصلة عملها، إذ سارع إلى خنق أنفاسها.
- الشهاب :ثاني الصحف بعد المنتقد سنة 1925، تصدر مرتين في الأسبوع، أشرف ابن باديس على تحرير مقالاتها، وقد فسح المجال للمناظرة بتخصيص عمود لكل الكتّاب بدون استثناء وبإمضاءاتهم وتبادل الأفكار بدون تحيز. كانت جريدة ثم تحولت إلى مجلة بدءا من العدد75 "..... تطورت إلى مجلة بداية من عددها 75 المؤرخ في 11 جمادى الثانية

[1]: عمار زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 21

1345 "... [1]، مارس روادها العمل الإصلاحي، وطبعت مقالاتهم بالمطبعة الإسلامية الجزائرية في قسنطينة.

فتحت هذه المجلة الباب أمام الكُتّاب وأصحاب الكلمة للمناظرة والحوار حول قضايا تَهُمُّ المجتمع الجزائري وإصلاحه، ونشر الوعي بالإنصاف والحقّ من أجل ظهور الحقيقة الكاملة " إذا نحن قمنا بواجبنا فلنتركها بيد العلماء يتناظرون فيها بالحق والإنصاف حتى تتجلى الحقيقة التي يجب على الجميع قبولها"...[2]

قامت الصحيفة بدور فعال في مواجهة الأباطيل مثل ما ذهبت إليه الطرقية بالتعاون مع الاستعمار من تضليل بواسطة الخرافات المنافية لروح القرآن، وبالمقابل أخذت مساحة لنشر العلم والمعرفة بين صفوف الجزائريين، ووجد المصلحون ميدانا رحبا لبث أفكارهم باللين والرصانة بالإضافة إلى الإنتاج الأدبي من فنون نثرية قصص وروايات وخطب والشعر. مارس كُتّاب المجلة حقهم السياسي في تسيير البلاد، وقد احتلت المرتبة المشرفة في عيون المصلحين.أوقفها ابن باديس بسبب الحرب، والحالة السياسية المضطربة للجزائر.

- البصائر: الجريدة التي لاقت انتشارا كبيرا بين الجزائريين. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قيمة القائمين على تحرير مقالتها، والحسّ الذي تتمتع به الجزائريون خصوصا المتعلق بالهوية الوطنية وسيادة الجزائر أمام سياسة الاستعمار، فكانت صورة وضاءة مشرقة للحركة الفكرية والأدبية للفئة المثقفة، صدرت بعد توقف الشهاب، ونتيجة لأحوال الجزائر ما بين الحربين توقفت لتعود إلى الصدور بعد ذلك.

واصل الأدباء، والكتاب العمل الوطني والأدبي؛بتحرير مقالاتهم، وإنتاجاهم الأدبي على صفحات الجريدة؛ إذ كان البشير الإبراهيمي مشرفا على إعادة إصدارها باتفاق مع الشيخ ابن

[1]: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ص91
[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

باديس: " وعاد البشير الإبراهيمي إلى نشاطه فأعاد صدور جريدة البصائر التي كان قد عطلها في أواخر الحرب...."[1]

شكلت جريدة البصائر القوة الضاغطة؛ التي ولدت انفجار الثورة التحريرية، بعد فشل الأحزاب السياسية، حيث حققت الالتفاف حول هدف واحد وهو تحقيق السيادة الوطنية، ولأن هذه الجرائد والمجلات امتدت إلى الإذاعة والتلفزة فقد نقلت الواقع السياسي والاجتماعي للقضية الجزائرية وتدويلها.

المبحث الثالث : الأدب الجزائري الحديث

1-الأدب الجزائري ومكانته في الجزائر.

الأدب الجزائري آلة مصورة لحوادث الزمان والمكان، وتمثيل لحياة الشعب الجزائري في فترة من الفترات؛ ففي بداية العصر الحديث بيّن عزيمة الشعب في مقاومة الاستعمار الذي قضى على حياته المطمئنة من جهة، وعرض كل تقلبات الدهر على شعب عريق تاريخا وحضارة، وعكس مراحل تاريخية واجتماعية واقتصادية من جهة أخرى.

برز من مساءلة نصوص الأدب الجزائري نتاج في فترة أعقبت الاحتلال الفرنسي، ونقصد بذلك أعمال الأمير عبد القادر. أورد بن سمينة اختلاف الآراء حول ذلك بين مؤيد ومخالف.

أفرد الكتاب والمؤرخون كتبا لأثار الأمير والتي تم تحقيقها من قبَل المشرقيين خاصة الكتاب المعنون ب:الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه ل محمد السيد الوزير.و يضيف بن سمينة ومن ذلك تم ضبط آثار الأمير في خمسة أعمال: " أولا مذكراته كتبها الأمير في معتقله بفرنسا، وهي عبارة عن إجابات عن أسئلة وجهها إليه الأساقفة الفرنسيين، الثانية المقراض الحاد كتبه بسجن "أمبواز" المعتقل الفرنسي عالج فيه موضوعا فكريا ودينيا وثالثا ذكرى العاقل وتنبيه الغافل كتبه بمدينة بروسة في تركيا، رابعا المواقف الذي كتبه بسوريا وهو خلاصة تجربة رجل في كثير من ميادين الحياة

[1]: محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، ص145.

عالما وقائدا وزعيما، خامسا الديوان الذي يظم قصائد نضمها في مهجره المختلف طبعه ابنه ثم حققه ممدوح حقي 1960 ثم مؤخرا زكرياء صيام"...[1]

من دراسة هذه الآثار النثرية والشعرية، يتبادر إلى الأذهان أن الأمير عبد القادر الجزائري ساهم في حقل الكتابة خاصة الشعر الذي يعتبر من الفنون القديمة؛ إذ نهلت من الشعر العربي القديم ويظهر ذلك في النماذج التي حصرها الدارسون، كما كان بمواقفه نموذجا فريدا في تاريخ الجزائر الحديث إذ يشير بن سمينة بقوله: "...في تلك المشاركة الكتابية على امتداد القرن التاسع عشر إذ لم يسجل التاريخ الأدبي في الجزائر ظهور أي عمل أدبي ذي مستوى راق سواء أكان شعرا أم نثرا...[2]

عندما تناول الدارسون النماذج التي كتبها الأمير عبد القادر نقدا وتثمينا، انقسموا إلى فريقين فالأول اتخذ من الأمير رائدا فريدا في النهضة الأدبية الجزائرية وذلك لعدة أسباب يمكن حصرها في مقارنته برائد الشعر العربي " البارودي"، وغيره من كُتّاب المشرق؛ مثل ناصف اليازجي، وأحمد فارس الشدياق، ورفاعة الطهطاوي من حيث الجهد العلمي والحضور الأدبي من جهة، وبعض الكتّاب الذين ألفوا كتبا في السنوات (1902، 1852،1849)؛ إلا أنها افتقرت إلى التعبير عن الأوضاع القاسية التي كانت الجزائر تعيشها؛ بل تناولت بيئة تختلف عن الواقع الجزائري. فنجد الأمير ارتقى بمشاركته المشرفة في حركة النهضة العربية الإسلامية، كما أنّه بتصديه للغزو الصليبي الفرنسي بسيفه في ساحة المعركة، ساهم بقلمه في عملية تجديد الفكر الإسلامي وإيقاظ المسلمين إذ يضيف بن سمينة: " ..ويمكن اعتباره بحق بهذه الخاصة الجهادية النموذج المبكر في تاريخ الفكر الجزائري الحديث.... الذي جسد التلاحم المتين ما بين الدين والوطن"...[3]

لكن الفريق الثاني فقد أهملت عنه هذه المكانة باعتباره عاش في فترة كانت الجزائر تعيش تحت الاحتلال وكل أنواع الظلم والقهر والطغيان، وبُعدها عن مؤثرات الفكر والأدب كالتعليم والطباعة

[1]: ينظر محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الأمام عبد الحميد بن باديس ، ج2 ص (13،14).
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص14
[3]: المرجع نفسه، ص18

والصحافة؛ بل كانت في يد المستعمر يوظفها لخدمة أغراضه العنصرية، إضافة إلى اعتبار الناقدين أن مصنفات الأمير تقتصر على مواضيع شخصية وتقليدية في مبناها، وأنها ألفت في بيئة خاصة،فبن سمينة يعلل رأي المخالفين بقوله: "...ذات سمات تقليدية...قد كتبها وهو يعيش في ظروف خاصة ويقع تحت تأثير بيئات مختلفة في مكوناتها السياسية والثقافية عن البيئة الجزائرية"...[1].

نستطيع القول بأن الأمير امتاز بفكر راق، يظهر ذلك في قيادة شعبه إلى طريق الجهاد والدفاع عن إسلامه وعروبته، ومواجهة المستعمر الحديث؛ فقد أسس الدولة الجزائرية، ونظم جيشها فكان زعيما اعترف به حتى الأوروبيون أنفسهم، ولعل ذلك نتيجة حبه للعلم وتمسكه بالدين الإسلامي مما جعله يمتلك قوة الليث الرماح، وحصوله على المد الروحي، كان يختم صحيح بخاري أربع مرات في معاركه فضلا عن تلاوة القرآن الكريم.

تميز بفلسفة في التخطيط والقيادة؛ إذ شكل خطرا على الإدارة الاستعمارية؛ والتي حاولت إبعاده بنفيه المرة تلوى الأخرى؛ لكن هذا المنفى لم يشكل مكان للراحة؛ بل استغله للإبداع والكتابة فألف العديدة من الكتب في الدين والفلسفة والأدب، فاستحق بحق رائد النهضة الفكرية والأدبية في تلك الفترة، ولاشك أن الذين جاؤوا بعده استفادوا من علمه وأفكاره مثل نظام التخطيط العسكري وتفسيره للقرآن، وشرح الأحاديث النبوية في كتاب المواقف وإظهار مثالية النبيّ صلى الله عليه وسلم.

في المرحلة التي تلت الفترة الأميرية، أخذت النصيب الأكبر من الجهاد، ومقاومة الاستعمار من قبل القبائل في مناطق مختلفة من الجزائر من جهة، وحصار الإدارة الفرنسية للأدباء والكُتّاب؛ الذين تعلموا وتثقفوا على يد علماء المشرق، والبلاد الشقيقة، حيث فرضت عليهم قوانين الاستعمار، ولم تسمح لهم بنشر عملهم إلا إذا كان يتماشى وسياسة فرنسا، وكذا منعتهم ممارسة حقهم السياسي بإنشاء صحف لنشاطهم الفكري والأدبي. نجد لجوء المفكرين والكُتّاب إلى البلاد المجاورة لعرض أعمالهم.

[1]: ينظر محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الأمام عبد الحميد بن باديس ، ج2، مرجع سابق، ص17.

بدأت بوادر الفكر والأدب تظهر في الفترة التي انتشرت الحركة التحررية في المشرق، أين ظهر نخبة من الكتاب الذين حاولوا التعبير عن أوضاع الجزائر، تدفعهم الغيرة على مقدساتهم وحريتهم المسلوبة.

2- أقسام الأدب :

أ ـ الشعر واتجاهاته

نتيجة للظروف التي عاشتها الجزائر في الفترة الاستعمارية، عمِل الشعراء على تصوير حياة الشعب بكل صدق في بداية الدعوة إلى مقاومة المستعمر وأساليبه، ثم وصف يقظة الشعب بانتشار الوعي والانتباه لكل مزاعم المغتصب وصولا إلى فترة الانطلاقة في مواجهته وتقرير مصيره، وتميز الشعر عند الشعراء بنزعتين :

- **فترة المحافظة والتقليد**: يمثلها نخبة من الكُتّاب اعتمدوا على ما سبقه من شعراء سواء في البناء والأسلوب، وساهم الأدب القديم في تنمية الشعر الجزائري ، فالشعراء حفظوا الشعر القديم وتتلمذوا على منظومات الشعراء العرب، واكتسبوا مهارة البناء فأظهروا القوة والجزالة في الألفاظ. ارتبط إنتاجهم بالمظاهر السياسية والثقافية والاجتماعية. ساهمت مواضيعه في نشر العلم والقضاء على الجهل. كانت مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئه وقيمه الخطوة الأولى. ساهم الأدب القديم في تنمية الشعر، فحفظ الشعر القديم وإلقائه على مسامع التلاميذ حَيَّزَ حالة الانطواء، وأدى إلى الازدهار ورقي التفكير وظهوره بشكل جليّ.

ظهرت مدارس كبيرة في الشعر بالمشرق العربي، وهي المرجع لكل شاعر في مسيرته الأدبية، وهذا ما أدلى به الشيخ محمد الزهاوي قائلا:" من منا معشر الأدباء الجزائريين لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب

الكبرى الأولى على ما ظلت تنتجه مدرسة إسماعيل صبري، حافظ إبراهيم وشوقي وطه حسين والعقاد والمنفلوطي والزيات وغيرهم"...[1].

نستشف من هذا القول بأنّ الشعر الجزائري انطلق من التراث العربي، أو من أقطاب الشعر العربي (قدامة بن جعفر 337هـ) ،(ابن قتيبة 276هـ) فاستوحى مضامينه، محملة بالحديث عن المصير الشعب مع الاستجابة للواقع السياسي، والاجتماعي المفروض، واهتم الشعراء الجزائريون بالمضمون دون الشكل (الذاتية ، العواطف، الإحساس المرهف)، وهذا ما أفقد الشعر قيمته الفنية. بالإضافة إلى خلو الشعر من البيان والبديع؛ لأنّه اهتمّ بالنقد والوصف لحالة الشعب وما يتعرض له من ويلات المستعمر وسياسته الوحشية، لكن الشيء الايجابي فيه هو سلامة اللغة والأسلوب السهل.

- **النهضة:** عاش الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار حياة مزرية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. فعبر الشاعر عن هذه الأوضاع، وما يحس به حيال ذلك، مما طور الحسّ الشعري والفكري، وازدهر الشعر الوظيفي.

اتجهت القصيدة الجديدة في بنائها تجاه وجدانيا رومانسيا لأنّ الشعب الجزائري كان بحاجة إلى من يضمد جراحه، ويدول قضيته. فلقيت القصيدة الجزائرية نجاحا لأنّها حملت صدق الإحساس ، فكان بداية الشعر الجزائري الوجداني مع الشاعر" رمضان حمود "متأثرا بإخوانه المشارقة (جماعة الديوان، و أدباء المهجر) الذين اكتسبوا اللغة المصورة ،والأسلوب المشوق السلس.

لم تعد التجربة الشعرية عند الشعراء الجزائريين مجرد توصيل الأفكار إلى المتلقي ؛بل تعدته إلى تصوير المعاني، والشعور المعنوي بالمحسوس، وإثارته، فيسمو الإحساس بداخل النفس ويتلمس الجانب الجمالي، وتوظيف اللغة الهامسة، التي تنقل الصورة الناطقة، والمعبرة ذات الدلالة الإنسانية والقوة اللفظية، فتحمل في جوانحها المعنى الملموس، والمرئي، والمشموم دون التكلف والتصنع"فكانت

[1]: بلهاشمي أمينة، الرمز في الأدب الجزائري الحديث ، ماجستير في الأدب العربي الحديث، تلمسان، 2019 ص9 عن الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته وخصائصه الفنية، محمد ناصر، ص45.

الموضوعات التي تناولها الأدباء لذلك متصلة بذاتهم وذات أفراد مجتمعهم معبرة عن قضايا الواقع..متميزة وفي الأفكار والأساليب، وفي الأشكال، فتحررت العملية الأدبية.."[1].

ارتبطت الحركة الأدبية والشعرية بالواقع الجزائري. فعبر عن معاناته واهتم الشعراء بالمضمون دون الشكل كما نلمس الاتجاه الإصلاحي في موضوعات الشعراء.

وقد ساهم في تطور المعجم الشعري، وتنوع قضاياه انبعاث النهضة الأدبية بظهور الصحافة وانتشار التعليم، وإحياء التراث مع كوكبة من المصلحين أمثال ابن باديس وأعضاء جمعية العلماء المسلمين إضافة إلى مجموعة أخرى " هؤلاء الذين كانوا دعاة ومربيين، وكانوا في الوقت ذاته أدباء ومصلحين، كتابا وشعراء. كانت انطلاقتهم المتميّزة من قناعات ذاتية نابعة من معايشهم ميدانا للظروف السائدة في مجتمعهم واستطاعوا أن يشقوا طريقهم في إطار الحركة الإصلاحية إلى مصادر التراث العربي الإسلامي"...[2]

إنّ حاجة الجزائريين إلى بعث النهضة الفكرية، والنهوض بالرسالة النضالية لبلوغ الحرية والاستقلال ساهم في تطور الحركة الأدبية؛ لأنّ وسيلتهم في التوعية واليقظة الكلمة، فكل من امتلك موهبة الكتابة حاول إطلاق العنان للصوت الأدبي لفائدة شعبه وخدمة لوطنه، وبذلك تخلصت العملية الأدبية من أغلال التقليد، وسارت نحو التجديد والتقدم في الأفكار والأساليب.

- **التفاعل الفني**: عرفت هذه المرحلة طبيعة جديدة؛ إذ شهدت اندلاع ثورة التحرير فكان التفاعل في المجالات كلها الفكرية منها والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية خاصة بطولات الجزائريين في الثورة، كما تأثر الأدباء والشعراء بالمدرسة المشرقية الجديدة كمدرسة السياب، ونازك الملائكة، ومحمد الفيتوري.

فالقصيدة العربية عرفت وجهة جديدة في الشكل والمضمون، ومن الجزائريين مثلها الرعيل الثاني كأحمد رضا حوحو، وأحمد بن دياب، والطاهر بوشوشي، محمد الأخضر السائحي...

ـ الشعر الحرّ:

[1]: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، ص31.
[2]:المرجع نفسه ، ص 30.

بعد أن عرفت القصيدة الجزائرية تطورا في البناء و المضمون، وعبرَ المراحل التي اجتازتها من التقليد إلى رسم خطواتها نحو الازدهار في الدفاع عن الكينونة و الهوية، اتخذت نصا جديدا تمثل في شعر التفعيلة الذي ليس بغريب عن الشعراء الجزائريين؛ الذين اتخذوا على عاتقهم الدفاع عن هذا الوجود فقد كانت الآراء ترجح إلى أنّ أول الإرهاصات للنص الشعري الحرّ لأبي القاسم سعد الله في قصيدة " طريقي"، في حين كانت البداية الجادة في الخمسينات للشاعر ذاته.

نلحظ تأثر الشاعر الجزائري بالأوضاع، وظهر ذلك جليا في أشعاره، خاصة ثورة التحرير؛ التي احتفل بها الشاعر الجزائري أيما احتفاء، إذ ضرب على أوتارها، فكانت الدافع القوي لكتابة الشعر الحرّ وترقيته، وذلك ببث القيم الإسلامية؛ التي تميز بها الجزائري عن الاستعمار .

اهتم شعر التفعيلة في هذه الفترة بالموسيقى والوزن والقافية، إذ أصبح ينافس الشعر العربي في الصورة الشعرية لتكون باعثة للمشاعر في النفوس. واعتمد الرمز والأسطورة بالحديث عن رموز الثورة وأساطيرها في مواجهة الاستعمار في أرض المعركة، وتعكس الظواهر التي تبرز قوة الشعب الجزائري وإصراره، وتضحيته "..استخدم الرمز بالتدرج طبقا للظروف السياسية، ففي الثورة غلب الرمز اللغوي مثل الأخطبوط، التمساح، أعلام قديمة وحديثة..." [1]. كما كانت لغة الشعر جادة ذات جرس وألفاظها موحية، وعارضة للتجارب.

- **الإنتاج:** وهي الفترة التي بدأت فيها الدولة الجزائرية بناء صرحها على أنقاض حكم بائد، وخروجها بجروح، ومشاكل مختلفة، وتعدد الطموحات، فتميزت هذه المرحلة باستعجال البناء بالجهود الذاتية حتى تتمكن الحكومة الجديدة من إدارة دواليب الهيئات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت الظاهرة الأدبية متداخلة ومتشابكة، حيث ارتبطت في هذه الفترة بالفترات السابقة" ...حتى ليكاد نتاجهم يغطي معظم مراحل الأدب الجزائري الحديث من مرحلة النهضة إلى مرحلة الثمانينات..."[2].

[1]: أمينة بلهاشمي، الرمز في الأدب الجزائري الحديث، ص14

[2]: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، ص 35.

وظف الشاعر الجزائري شعره لمعالجة القضايا المختلفة الوطنية منها والقومية، ونتيجة للأوضاع الجزائر بعد الاستقلال، اتخذ الشعر مظاهر الواقع المعاش موضوعه الأساسي وتناول أمجاد الثوار والنصر الذي حققوه، وهزيمة الاستعمار الحديث من جهة، والتعبير عن الحزن، وأحاسيس الألم لما حدث للجزائر من تخريب وما قدمته من ضحايا، أو الثمن الذي دفعه الجزائريون لتحقيق الاستقلال.

إن حركة الشعر خطت خطوة عملاقة، بعد فترة طويلة حافظ فيه الشعراء على شكل الشعر العروضي القديم وانفعل بالحدث الواقعي، وتفاعل معه؛ فقد تأثر الشعراء بالمدرسة الشرقية القديمة فكانت مرحلة الإرهاص والتقليد، ثم حطم تلك القواعد التقليدية من وحدة البناء والقافية إلى عدة قوافي، تفعيلة واحدة، كما تأثرت القصيدة بالحركة التحررية والفكرية لتبدأ فترة جديدة من نوعها لفتح المجال أمام الإنتاج والتأليف، فتميز الشعر بفكرة عصرية قومية وإنسانية .

ب- الـــنثر

صاغ أدباء النهضة إنتاجا، جعل الكتاب والشعراء يخلقون التجربة الأدبية الحديثة الرائدة بالجزائر؛ التي اشتملت على الشعر، والنثر. ومن بين هؤلاء الأدباء: الشيخ عبد الحميد بن باديس، الإبراهيمي، الطيب العقبي، مبارك الميلي، العربي التبسي، الورتلاني، أبو يعلى الزواوي توفيق المدني رضا حوحو، أبو القاسم سعد الله وغيرهم كثير.

نتيجة معاناة الجزائريين المريرة من الاستعمار، ظهرت سُبل الدفاع عن قيم هذا الشعب والتصدي لمظاهر التشويه والاجتثاث اللغوي والعرقي والديني، وإبراز الانتفاضة الجماعية من خلال النماذج الشعرية والنثرية. يظهر جليا بدء من عهد الأمير عبد القادر، بين المرحلتين الأولى عندما جمع القبائل حوله يدا واحدة وكان قائدا ومفكرا وسياسيا وسيلة الكلمة الحقيقية ، كما كان يقضي وقته بمنفاه في التأليف والقراءة، والتأمل، فقد أفرد لنا عدة كتب في الدين والأدب والسياسة والتصوف

فأبو القاسم سعد الله يبدي أن الأمير وظف الفنون الأدبية في مسيرته الجهادية، كما اهتم بالتأليف شعرا ونثرا "... وقد أنتج خلال هذه الفترة عمله الكبير المسمى بالمواقف.."[1]

كان الأمير عبد القادر رجل السياسة والتخطيط العسكري. ورائد من رواد الأدب الحديث. وشكلت الكتابة ملاذا له خاصة عندما نفي إلى أماكن مختلفة؛ فقد ترك وراءه مخطوطات عديد منها حققت وانتفع بها العربيّ والغربيّ.

1 . الخطابة والرسائل

بعد السياسة التي واجه بها الاستعمار الجزائريين، خلق صراعا بين مستوطن استنزف ثروات بلد عربي وبين شعب استعبد رغم أنه يملك تاريخا وحضارة عريقين، فعمد أبناء الجزائر بالتأكيد إلى مقاومة هذا الاستعمار بشتى الطرق، لكن قوة الاستعمار عدة وعددا حال دون تحقيق ذلك في بداية الأمر، إلى جانب عدة ظروف أخرى قد تكون مرجعها الزمن؛ إذ أن مواجهة المعمر لم تعتمد القتال باعتباره الوسيلة الوحيدة؛ بل الأدب كان أعمق في اتجاهين نشر الوعي من جهة والتصدي للاستعمار من جهة أخرى.

واجه الأمير عبد القادر للاستعمار الفرنسي منذ قدومه إلى الجزائر؛ إذ قاد الجيوش وحمل على عاتقه الدفاع عن هوية هذا البلد. رافق الأمير عبد القادر كفاحه المسلح نشاطا أدبيا؛ إذ وظف ملكته الأدبية لتكوين جيشه وحثهم على الجهاد، واستخدم خبرته التي اكتسبها من الرحلات في تجسيد دولته.

من الفنون التي اعتمدها الأمير الخطب لما لها من وقع مؤثر في نفس السامع؛ إذ كانت الوسيلة الفعالة لتحميس الجنود وتشجيعهم على الدفاع عن وطنهم وكيانهم، وكانت تلمس القصد في التعبير؛ إذ تمتع صاحبها بالحماسة، والفخر المرتبط كل ذلك بالدّين، كما خلت من التكلف من جهة

[1]: فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر، مذكرة ماجستير في الأنتروبولوجيا، جامعة تلمسان،2010/2009 لم تطبع ص37.

تماشيا مع طبيعة الواقع والضرورة الملحة لها، وتبرز أيضا براعة قائلها الأدبية والثقافية لضمان الإقناع من جهة أخرى فالأمير عندما توجه إلى جيشه مبرزا طبيعة الاستعمار والعهود، حاول الحث على القتال وتشجيعه لأن هؤلاء الغرباء لا يحترمون كلمتهم بعد أن افتتح خطبته بحجة دينية إذ يقول:"...وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا وصدقناهم فغدروا وصبرناهم فلم يصبروا وإنْ تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة"....[1]

كشف الأمير عبد القادر حقيقة الاستعمار في تعامله معهم، ومآربه من ذلك إذ بث القائد الحماسة واليقظة في نفوس قومه للترصد لمكائد الاستعمار، ونلمس في قوله القصد المباشر دون تكلف وبالوقوف على حجة دينية.

كما وجه الأمير خطبه إلى شعبه داعيا إلى الجهاد، بشعارات نرددها نحن اليوم مما إذ يقول:" فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل وأزيلوا من قلوبكم دواعي الجوف والوجل أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ومن بقي نال الفخار وعاش سعيدا"...[2]

حثّ الأمير عبد القادر أبناء الجزائر على الجهاد، لتحقيق الحرية والاستقلال، مبرزا قيمته في حياة الدنيا وجزاءه الآخرة، ووجه خطبته بأسلوب واضح وموجز دون تكلف.

ولأجل شحذ الهمم، وتحقيق الوحدة بين الصفوف، يبرز الأمير الحال الذي آلت إليه الجزائر والأوضاع المزرية التي يعيشها الجزائريون، وحالة القلق والخوف والظلم الذي يخيم عليهم، فيدعوهم إلى مقاومة الاستعمار بالسيف، ويلتجئ إلى الدول المجاورة لطلب المساعدة .

إلى جانب الخطب نجد فنّ الرسائل وهي وجه من وجوه النثر الحديث؛ التي ظهرت في بدايتها بطابع وجداني واصفا الكاتب عواطفه ومشاعره إزاء شخص معين، كما يحافظ فيها على اللغة العربية

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دارالكتاب العربي، الجزائر دط، 2009،ص18.
[2]: المرجع نفسه، ص19.

كرسالة حمدان خوجة إلى شيخه "سيدي علي بن محمد": "ولكنه في هذه الرسالة التي كتبها لشيخه .. وهو يعبر له عن اعترافه بالجميل ويظهر وفاءه له وتعلقه به، وشوقه إليه"...[1] وهناك نوع آخر من الرسائل مثل التي وجهها الأمير عبد القادر إلى القادة الفرنسيين كالقائد " بيجو" في معاهداتهم" في رسائل الأمير عبد القادر للقائد "بيجو" ولغيره من الحكام الفرنسيين أثناء مفاوضاته"... [2] وأخرى إلى ملوك الدول الأوروبية؛ إذ كانت ذات الصبغة الإدارية و السياسية، وتلك التي بعث بها إلى البلدان العربية يشرح فيها الحالة المزرية للجزائر إثر الاستعمار دعوة منه مدّ يد العون، فتميزت بالطابع الإخواني، إلا أن هذا النمط من الفنون اكتسى في مجمله الطابع السياسي، والعسكري، والجهادي.

ومما سبق نجد الخطب واكبت الحدث، وكانت أغلب موضوعاته تتجه نحو مقاومة الاستعمار والتحميس والتشجيع على الجهاد باعتباره واجب على فرد من الشعب، وتوعية العالم الإسلامي حول طبيعة الاستعمار ومطامعه. واتسمت بالوضوح والبساطة بعيدة عن التكلف، واعتمدت على الحجج القرآنية وأسلوب الصحابة في توجيه المسلمين إلى الحق. أما الرسائل فقد كانت ذات الطابع الأدبي فهي اتسمت بالتكلف في كتابتها؛ ونلمس التقليد في صياغتها إذ تبتدئ بالحمدلة وتكثر فيها الصنعة خاصة الجناس والطباق، وجزالة الألفاظ " الكاتب يعنى بالبديع خاصة الجناس والطباق، وهذا اللون من البديع يحدث اللذة الأدبية...فإننا نلمح بعض الاستعارات التي تدل على قدرة الكاتب ومعرفته بالبلاغة العربية وأساليبها...فإن هذا النموذج يمثل الرسالة الأدبية التقليدية التي يعنى بها صاحبها بالصياغة الفنية والبيان الناصع و التعبير الجميل"...[3]

أما النموذج الذي مثله الأمير عبد القادر قد اختلف عن النموذج السابق بإهماله للبديع واهتم بالقصد، من حيث التعبير دون تكلف متأنقا في الألفاظ مبتعدا عن الصعوبة والغرابة بأسلوب موجز متأثرا بالدين أما من حيث المضمون فقد تناول توعية الأفراد بضرورة الجهاد ومقاومة الاستعمار"الأمير في كتابة الرسائل فهو لا يحفل بالسجع ولكنه يكتب كما يتكلم تقريبا، وإذا كان يقلد القدماء في

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص42.
[2]: المرجع نفسه، ص46.
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

البداية كما يقلدهم في التأثر بالدين إلا أنه لا يتأنق في التعبير ولا يوغل في البحث عن الألفاظ الصعبة والغريبة"....[1]

كما شهدت هذه الفترة، ونتيجة لظروف الاستعمار، والواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري، ظهور عدة كُتّاب اهتموا بالفنون النثرية تماشيا مع الظروف كالمقال، والرسالة، والقصص والحكايات، لكن هؤلاء الكتاب كان هدفهم توعية الشعب وحشد طاقاته، وحثهم على الصمود والتصدي للاستعمار، بالإضافة إلى نقل الأفكار والأخبار خاصة وقد نفت فرنسا كل من آنَستْ فيه الوعي وقدرته على مخاطبة الرأي العام، وتضييق الخناق عليهم في منع نشر إبداعاتهم، مما جعلهم يلجئون إلى الصحف العربية والشقيقة، فابن باديس في مصر يخطب ويؤلف كتابه" هذه هي الجزائر" بعد اندلاع الثورة التحريرية؛ إذ قال:" أنا لم أكتبه للدعاية، إنما كتبته تسجيلا للواقع وتعريفا علميا بهذا القطر وبهذا الشعب، هذه الأمة التي أدهشت العالم بجهادها، وبهرت الدنيا بشبابها أمام أعظم قوة استعمارية..."[2].

إن مشروع النهضة الفكرية والأدبية؛ التي سهر الإمام عبد الحميد بن باديس على تنفيذه رفقة نخبة من المفكرين، أسّس لقاعدة التغير للجزائر الحديثة المتحضرة، وذلك بمواجهة المستعمر المخرب للمادي و المعنوي. فأرسى في بادئ الأمر ابن باديس أسس النهضة لتكوين الشعب الجزائري الجديد بالتعليم في كل أرجاء الوطن، وفق منهج عربي إسلامي، هدفه الحفاظ على مقومات الدولة الجزائرية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي.

فحركة الإصلاح التي قامت بها جمعية العلماء في ميادينها، كانت خطوة عملاقة؛ أخذ علماؤها على عاتقهم تدريس الشباب، وتوجهوا إليهم بالخطب والمقالات، لتعليمهم وإيقاظهم من سباتهم وتوجيههم نحو دورهم تجاه وطنهم، كما تكفلوا بإرسالهم إلى المعاهد والجوامع المشرقية لإتمام دراستهم العليا، والانفتاح الحضاري على المعطيات الجديدة وعلوم التمدن، فكانت إنتاجهم مقياس التقدم.

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص47.
[2]: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص490.

وبهذا تكاثفت المحفزات التي ساهمت في تطور الفنون النثرية من المدرسة التي أنتجت العديد من الأدباء و الكتاب، إلى الصحف التي خصصت صفحاتها للإبداع والتجديد، من بين الأوائل الذين سهروا على هذه الخطوة الرعيل الأول، بدء من ابن باديس الذي شهد له العام والخاص بالخطب الكثيرة الدينية. أصلح بها المجتمع الجزائري وفق تعاليم الدين بإثارة العاطفة، وتوجيهها إلى الخير وتقوى الله، والتنفير من المفاسد؛ والتي قالها في العديد من المناسبات كالمؤتمرات، واللقاءات، وأوقات الصلاة، والأحداث إلى غير ذلك..كما يشير محمد بن سمينة: " وإن الذي ينظر إلى هذا الذي كان للإمام من تحركات ومهام، وينظر في الوقت ذاته إلى ما بين يديه من تراثه الخطابي..."[1]

من اليوم الذي عزم فيه ابن باديس على مشروعه الإصلاحي، وهو يتجه إلى الشعب بالكلمة الطيبة، واللينة نحو خمسة وعشرين سنة من عمره، فمعظم خطبه ألقاها شفويا؛ إذ سجل منها القليل على شكل مقالات إصلاحية في الشهاب، وقد ضاع منها الكثير.

يُجمع عارفو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على أنّه عالم موسوعي، وفيلسوف مدقق وفقيه متضلّع، امتلك ناصية اللغة العربية؛ خبيرا في ألفاظها، ضليعا في أساليبها. يشير معاصروه إلى مكانته بين علماء اللغة فيقولون:" تضاهي مكانته اللغوية و الأدبية مكانة ابن المقفع، وأبي حيان، والجاحظ في القدامى، والرافعي، وشكيب أرسلان في المحدثين، ودونك في مقالاته في عيون البصائر... "[2]

يتضح من ذلك أن البشير الإبراهيمي امتلك فنّ الكلام على أصوله، فكانت خطاباته زئيرا الأُسود في وجه المستعمر،حاملا راية الجهاد بعد وفاة ابن باديس بما وهبه الله من علم وفضل وإلمام كامل باللغة العربية وآدابها، وفنونها وأسرارها، وقدرة هائلة على الإقناع، والتوجيه، والوعظ؛ إذ اتخذ الكتابة وسيلة لشنّ حملته. فكانت كتاباته مدوية في جريدتي الشهاب و البصائر.

تنوعت كتاباته حسب الموضوعات التي طرقتها، منها السياسية بعرض أفكارهم ومواقفهم تجاه القضية الوطنية، والاجتماعية، والأدبية والثقافية؛ وقد شهد ظهور فنّ المقال تطورا في هذه الفترة على

[1]: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ص 44
[2]: محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، ص7.

يد جيل النهضة " فعرفت المقالة على أيدي هؤلاء الكتاب نقلة ملحوظة في نوعية الموضوعات وفي طرق التناول، وفي وجود الصياغة فازدادت بذلك قربا في اهتماماتها من قضايا الواقع.."[1]

ارتبطت المقالة بواقع الجزائريين وأخذت دورها الفعال والذي أظهر قيمة الأدب الجزائري، عندما تناولت القضية الوطنية بلغة تغلغلت إلى عمق القلوب، وتغذت بها الأرواح واتخذت الصورة الإصلاحية والأدبية، والسياسية، والاجتماعية لها.

عندما تتبعنا الحركة الأدبية في الجزائر إبان الاحتلال، لاحظنا وجود اتجاهين الأول إصلاحي وارتباطه بالسياسة والجانب الاجتماعي، والثاني أدبي وهدفهما هو نفسه الذي اتخذه الشعر؛إذ ظهر الأول نتيجة الضغط الاستعماري في مناخ أسفر عن غليان فكري(الحركات التحررية من المشرق) وسياسي واجتماعي(الواقع الجزائري) " المقال الذي ظهر ليعالج مشاكل سياسية ثم إصلاحية ثم أدبية بحيث يمكن أن نقول أن إيمان الكاتب بدور المقال في الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية"... [2]

"..الذين كتبوا مقالات كان هدفهم إيقاظ الشعب وتنبيهه إلى ما يعاني منه من جراء التخلف والاستعمار"....[3]

تطور فنّ المقال كما ساهمت الصحافة بشكل كبير في الحياة، التي لعبت دورا هاما في وجودها وتطورها، ساعدت على نشر أشكالها"الصحافة لعبت دورا هاما في إذاعة هذا الشكل النثري"...[4]

اتخذ المقال اتجاهين الأول تقليدي ويمثله الفئة التي درست في الزوايا، وتختلف في أفكارها وثقافتها؛ إذ اهتمت باللغة والأسلوب القديم في تحرير النصوص" الاتجاه المحافظ فإن أسلوبه تقليدي مباشر وفكره رجعي متخلف ولغته جامدة لا روح فيها ولا حياة ويمثل هذا الاتجاه في الأسلوب واللغة تلك الفئة التي درست في الزوايا وفي مراكز الطرق الصوفية"... [5] أما الاتجاه الثاني فقد اهتم بالفكرة

[1]: محمد بن سمينة، في الأدب العربي الحديث بالجزائر، مطبعة الكاهنة الجزائر 2003،ص 75.
[2]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث ص159.
[3]: المرجع نفسه، ص160.
[4]: المرجع نفسه،ص161.
[5]: المرجع نفسه، ص162.

واللغة معا، ويمثل هذا التيار" أحمد رضا حوحو ورمضان حمود وغيرهما" ونجد من المحافظين الإبراهيمي الذي حافظ على التقليد في اللغة لكن دون التكلف واهتمامه بالفكرة، ونلمس اللذة الأدبية فيه.

شغلت القضايا الوطنية الشعراء وشغلت أيضا الناثرين، حيث نجد المقال الإصلاحي غلب على الساحة الأدبية لأنّ مهمته المحافظة على الشخصية الوطنية في عروبتها وإسلامها، ومحاربة أقاويل الاستعمار وتربية النشء وتهذيبه، وتوجيهه إلى حقوقه للمطالبة بها" لعل من الأمور التي استأثرت كتاب المقالة سواء منها الإصلاحية والسياسية أو الأدبية قضية انتماء الشعب الجزائري إلى الأمة العربية والدفاع عن اللغة العربية، وأن هذا الانتماء يجعل الجزائر غير فرنسية..."...[1]

يعتبر أعضاء جمعية العلماء المسلمين من رواد المقال الإصلاحي، وهم يتفاوتون في الأسلوب والصياغة. إلا أن بعد الاستقلال اتجهوا إلى المقال الأدبي في معالجة القضايا الاجتماعية والفكرية. والناثر في هذا النوع ربط فيه بين الواقع بتفاصيله الكثيرة وبين مشاعر الكاتب، والجمال الأدبي ويمثله الإبراهيمي " يدهشنا الإبراهيمي في مقال 8ماي1945 الذي يمثل مرحلة تحول في المجتمع الجزائري حين نادى بحقه في الحرية والاستقلال"،"فكتب مقاله عام1948.بعد أن عادت البصائر إلى الظهور ، فكان المقال إحياء لهذه الذكرى التي تعبر عن وجدان مجروح ونفس حزينة"...[2]

مقتطف من مقال الإبراهيمي الذي قال فيه:"يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطولة مقشر الأرض من بطش الأقوياء، متبهج السماء بأرواح الشهداء خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهر عن طاعة الربيع فلا تمور ولا نور، وغبنت حقيقته عن الأقلام فلا تصوير ولا تدوين"...[3]

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص165.
[2]: المرجع نفسه، ص177.
[3]:المرجع نفسه، الصفحة نفسها

من ملاحظة هذا المقتطف من مقال الإبراهيمي فهو قد مزج بين الواقع؛ حيث تحدث عن نتائج مجزرة الثامن ماي خمس وأربعين تسعمائة وألف، واللغة الممتعة في التصوير البياني، وألوان البديع ويدهشنا الإبراهيمي بغزو المذهب الرومانسي بتوظيف الطبيعة فكان بارعا في ذلك.

تناول الكتّاب القضايا الوطنية بطريقة جميلة، إذ أصدروا العديد من المقالات. والتي لعبت دورا مهما في الحفاظ على القيم الدينية والحضارية والفكرية لدولة الجزائر. ثم وجهوا شعبه إلى الطريق السديد وبتلك القوة والإصرار تناولوا القضايا القومية والإنسانية، ومن ذلك القضية الأمّ "فلسطين"؛ والتي أخذت حصة الأسد في الأدب الجزائري الحديث.

تفجرت قرائح الكُتاب الجزائريين بقصائد ومقالات حول القضية الفلسطينية، رافضة رفضا منقطع النظير لهذا الواقع المؤلم، والفاجعة التي ألمت بهم، وبيّنوا خطر اليهود وحذروا من شرّهم فكتب عمر راسم سلسلة مقالات في المسألة اليهودية ونشرها في "المرشد، ومرشد الأمة "ودعا الجزائريين إلى التفطن من طرق اليهود في إفساد الشباب الجزائري بنشر الآفات الاجتماعية" وعمر راسم أول جزائري تفطن لهذه القضية فنراه يحذر الجزائريين من طرق اليهود السيئة في إفساد الشباب الجزائري"...[1] ولعل محمد السعيد الزاهري وجه آخر أدرك ما تدمره النفس اليهودية لنصرة إخوانها في فلسطين، فقد كشف النقاب عن مجهود اليهود في الجزائر وفي بلاد مختلفة لأجل إنشاء وطن في فلسطين"يناقش إدعاء اليهود في فلسطين وحقهم في أرضهم بأمر الربّ"...[2]

فقد أظهر محمد السعيد الزاهري الطمع الاستعماري الذي تميز به العنصر اليهودي، وفكره المرتبط باستغلال الشعوب بأسلوب منطقي وبالحجة الدامغة، ونجد العديد من الكتاب الآخرين الثائرين، والذين عنّوا بهذه القضية مثل أحمد المدني الرافض للحلول الاستسلامية، وتحدث كثيرا عن فلسطين ونجد كذلك الإبراهيمي الذي فصل القول عن فلسطين في مقالاته من شتى أطرافها، واصفا الواقع المرير الذي تتعرض له من سنة 1947 بانفعال كبير، وبالإحساس بالمسئولية لعدم قدرته على

[1]: عبد الله الركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص117.
[2]: المرجع نفسه، ص121.

فعل الكثير لمساندة هذا الشعب الشقيق من مقالاته نداء فلسطين، وكونها في قلب المسلم جزائري ويلتمس العذر لعدم قدرته على إنقاذها من فكي الصهاينة فيقول: يا فلسطين إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروح دامية وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامة ... ولكنه يلتمس العذر للجزائريين إذا لم يستطيعوا أن يفعلوا الشيء الكثير لفلسطين ولم يتمكنوا من مساندة شعبها الشقيق....."...."[1]

لقد تناول الإبراهيمي هذه القضية من جميع جوانبها؛ إذ تطرق إلى هوية الشعب الفلسطيني وأصالته الحضارية، وتاريخها الديني وبأنها أرض النبوات، وكيف جمع الله فيها جميع الأديان من عهد عمر بن الخطاب عندما فتحها، كما ناقش أطماع اليهود الاستعمارية وحجتهم في استغلال الشعب العربي.

اتخذت هذه المقالات الصبغة الإصلاحية، ودعوة العرب للذود عنها واليقظة، وتحقيق الوحدة لمجابهة الاستعمار. وظف الإبراهيمي أسلوب السخرية اللاذع بمزيد من السجع، والتصوير البياني لشراسة الصهاينة ووظف صيغ المبالغة بوتيرة لافحة لتضخيم الفاجعة والخطر المحدق بالعرب المسلمين.

2 . ما بين القصة والرواية والمسرح

يشير النقاد إلى تأخر نشأة القصة والرواية في الجزائر مقارنة بالمشرق وذلك لعدة أسباب، ولعل الدافع القوي في تأخر ظهور هذه الفنون الجديدة يعود إلى الاستعمار الذي شلّ حركتها، وحارب اللغة العربية لغة التعبير بقولهم:" تأخر ظهور القصة لأسباب عدة كثيرة ومختلفة في مقدمتها الاستعمار الذي وضع الثقافة القومية في وضع شل به فاعليتها وحركتها ... وقد كان اضطهاد اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها من طرف الاستعمار الفرنسي عاملا أساسيا في تخلف الأدب وتأخر

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 153.

القصة"...[1] ويضيف إلى هذا السبب ضعف الحركة القصصية وعدم ملائمة الظروف الاجتماعية (انتشار الأمية) وانعدام الطبقة الناقدة التي تعطي لهذا الفن الروح في رسم خطوات التطور:"ثم هناك ضعف النقد وعدم وجود الناقد الموجه، وضعف النشر، وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب القصّاص،كي يكتب ويجرب، ولا يمكن أن نغفل هنا عدم وجود المتلقي"...[2]

يتبيّن من ذلك أن الاستعمار حارب اللغة العربية باعتبارها لغة وطنية ولغة الدين، ولغة الثقافة مما قلّ اهتمام الجزائريين بها على أنها لغة ووسيلة التعبير الفني، وفي ظل هذا الاستعمار شلت كل وسائل التعليم ونشر الوعي، فكانت الأوضاع لا تسمح بالحركة الأدبية؛ إذ شُلت كل محفزاتها.

بعد ظهور الحركات التحررية في المشرق، ومثلها في الجزائر على يد الحركة الإصلاحية بدأ الوعي الوطني يستيقظ شيئا فشيئا، أين ظهر الاهتمام بقيم الشعب الجزائري، كإحياء اللغة الوطنية ودينه وتاريخه، فكانت بذور الفن القصصي تعبر خطواتها بفضل عدة منشطات كالصحف الوطنية والمطبعة الجزائرية الإسلامية، التي أسستها جمعية العلماء المسلمين؛ والتي شجعت عددا كبيرا من الكتاب والطلبة المتخرجين على الكتابة، والإبداع الأدبي لذلك برزت العديد من الأقلام التي برعت في فن القص السياسي، والتاريخي، والفني . زيادة عن علماء الجمعية كرضا حوحو وأحمد بن دياب عبد الحميد بن هدوقة، بالإضافة إلى ظهور النقد الذي شكلت المحرك للكتابة الأدبية.

فالفنّ القصصي كغيره من الفنون الأدبية وقالب من القوالب المستحدثة نشأت نتيجة الاحتكاك بالشرق والغرب، من الترجمة لعدد من القصص الغربية، فكانت المحرك لنشاطها. لكن التصادم مع الوضع في الجزائر أدى إلى ضعفها من جهة؛ لاهتمام رواد النهضة بالشعر باعتباره الوسيلة الأنفع للتعبير عن الانفعال، والاهتمام بالعلوم اللغوية والدينية همهم الحفاظ على اللغة الفصحى والدين الصحيح. ومن جهة أخرى المجتمع المحافظ الذي يأبى هذا الفن الذي خرج عن المألوف لذلك انحصر هذا الفن في صورة التقليد، وهذه الهيكلة للقصة نابعة أيضا من امتزاج النثر

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص192.
[2]: المرجع نفسه، ص 194.

بالشعر عند الإلقاء الشفوي: " انحصر القصص الجزائري الشعبي البربري منه والعامي، بالأساطير والحكايات ذات الطابع الشعبي وترجمة لقصص الغرب"...[1]

من آراء النقاد يتبيّن أن الفن القصصي أحيط بحدود تمنعه من التطور؛ ذلك راجع لمشروع النهضة الفكرية التي كانت تريد تحقيق مجتمع متحضر وفق قيمه التي تختلف كل الاختلاف عن فرنسا إذ أن نظرة المصلحين إلى الفن القصصي يمس عنصرين مهمين في المجتمع الجزائري وهما المرأة والشباب، وضرورة المحافظة عليهما من الانحراف" كانت التقاليد حاجبا مُهما بين المواطن والمستعمر، ولقد تمسك بها أهل الوعي والفكر في الجزائر ودافعهم في ذلك ديني وقومي واجتماعي....وكان الخوف كبيرا على المرأة ..هذا كله حال دون انطلاق القصص الاجتماعي "...[2]

وقد مثل بداياته جملة من القصاصين المهاجرين أمثال محمد العريبي، وعبد المجيد الشافعي بنزعة وجدانية مليئة بالعواطف، تناولت قصص الحب والمغامرات متأثرا بأدب بودلير،كما عالج عدة مشاكل كواقع الشباب ودعوتهم للعمل والدراسة من أجل الرقي في الحياة، ورسم الشخصية الجزائرية في صورة قصة "الطالب المنكوب". إلا أنه لم يشهد اهتماما باعتباره كاتب جزائري. أما بعد ذلك كانت مرحلة القصة النضالية، والتي تناولت موضوعات سياسية واجتماعية "كقصة ابن الشهيد" لبن ددوش التلمساني؛ والتي تعبر عن العمل الثوري للبطل:"تلك الفترة المبكرة التي لم تكن القصة والرواية خلالها إلا حيّزا تصاغ فيه العواطف والأشجان وقصص الحب والمغامرات..أما المرحلة الثانية ..فمرحلة القصة النضالية استمدت موضوعاتها من طبيعة المرحلة السياسي والاجتماعية."...[3]

يظهر من ذلك بروز بدايات لهذا الفن ؛ لكنه لم يرق إلى الصورة الجديدة بكل مقاييسه؛ التي اتفق عليها النقاد، فكانت هذه مرحلة التقليد، ومع ذلك نستخلص اهتمام الجزائريين بهذا الفن ومحاولة التجديد فيه، انطلاقا من جعله وسيلة للحفاظ على اللغة الراقية، ومعالجة الأوضاع التي كان

[1]: نور سلمان، لأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص302.
[2]: المرجع نفسه، ص303.
[3]: محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، ص158 -159.

الشعب الجزائري يعاني منها. ويظهر من قبل بعض الكتاب الجزائريين في تونس، الذين حاولوا المزج بين القصة والرواية، ولعل ما يظهر قيمتها هي نشر في جريدة جامع الزيتونة بتونس " مأساة أسرة"للحبيب بناسي...[1]

بالموازاة مع ظهور المدارس العربية على يد المصلحين؛ الذين أرادوا الحفاظ على التراث، وجدت المدارس الفرنسية والتي تعلم فيها جزائريون، أرادوا من ذلك محاربة الاستعمار بلغته، إذ أنتجوا قصصا وروايات نضالية، تعبر عن وعي الجزائري تارة وعن معاناته تارة أخرى " فكانت الروايات الأولى في العشرينيات والثلاثينيات" زهرة امرأة المنجمي "لعبد القادر حاج حموّ،" مامون أو مشروع مثل أعلى " لشكري خوجة،" بولنوار الفتى الجزائري "لرابح زناتي،" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ،" ليلى فتاة جزائرية "لجميلة دباش، وهي نصوص أدبية تعلي من شأن الفرد الجزائري وتظهره في صورة إنسانية نبيلة برغم الفقر والاستعباد"...[2]

كانت هذه بدايات تحد للاستعمار الذي أراد القضاء على شعب، بمنعه من التعلم بلغته الأم إلا أنه استطاع أن يرد عليه بذكاء بكتاباته الفرنسية، وكأنه يضربه بذات السلاح. وهذه الكتابات تطورت بعد الحرب العالمية الثانية لتعرف مسارا آخر في مجال النضال .

باعتبار السمة الأولى التي سيطرت على الحركة الأدبية في الجزائر هي الإصلاح، ونشر الوعي الفكري؛ لذلك كان الشعر العنصر القار فيها؛ كان بالفصحى ثم ظهر الشعر الملحون والذي أدى دوره في قصة الكفاح، كما ترجم إلى الفرنسية ليكون سيفا في يد الفرنكفونيين. وتماشيا مع تطور الفنون الأدبية ظهر المقال، والذي ارتبط بالواقع في الجزائر وخارجها؛ إذ يشير الكُتاب إلى كون المقال من الركائز التي استقام بها عود القصة وسيرها نحو التطور خاصة المقال القصصي" ولقد لعب المقال دورا بارزا في الحياة الأدبية فقد ساهم في التمهيد لتطور القصة الفنية"...[3]

كانت الفترة التي يعيشها الشعب الجزائري، واليقظة الفكرية، واتصال الجزائريين بالمشارقة لدافع قوي للاهتمام بهذا الفنّ بعدما رفضوه.فاتخذت موضوعاته من الواقع الوطني والقومي.

---

[1]: محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص168

[2]: ملفوف صالح الدين، الأدب الجزائري المؤسسون والتحديات الكبرى، مجلة الأثر، العدد20، جوان 2014ص2

[3]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث ص198.

وأفضل نموذج للمقال القصصي: "مجموعة رضا حوحو . مع حمار الحكيم . والتي نشرها في البصائر ثم أصدرها سنة 1953 "....[1]

هذه المجموعة ملأت فراغ القصة، ثم تلت بعده قصص أخرى" سنة 1954 السعفة الخضراء لأبي القاسم سعد الله"...[2]

دعا رضا حوحو إلى استنطاق الشخصية القصصية وبتنويع حوار الشخصيات في القصة الواحدة، فتوالت المحاولات في الرواية الجزائرية منه ومن غيره، فظهرت عدة محاولات إلا أنها كانت تفتقر إلى الشكل الفني.

يجمع النقاد على أنّ أول قصة اتسمت بالمقاييس الصحيحة هي رواية رضا حوحو 1947 المعنونة ب "غادة أم القرى"؛ والتي شكلت محاولة جريئة من كاتب جزائري، وقد لاقت رد فعل عنيف من قبل المحافظين خاصة وأن بطلتها امرأة وهي تتعارض ومبادئ التي سطرها المصلحون" فكان رضا حوحو أول أديب برز إلى الميدان بإضفائه على الأدب الجزائري العربي اللسان شكلا أخر من التعبير غير الشعر الأقصوصة والسيرة في الثلاثينات . غادة أم القرى . يهاجم فيها الزواج المبكر"..[3]

باندلا ع الثورة التحريرية سار القصاصون في اتجاه التغني بأمجاد الماضي المرتبطين بالإسلام وربط ذلك بالأرض إبان الثورة، معبرين عن أحداثها المتوترة، ويدعون فيها إلى الدفاع المباشر، وتخليد أمجاد الثورة باللغة العربية والفرنسية"يذكر القصاصون أن أمجاد الماضي كانت عبرة للمناضلين وموضوعا يثير حميتهم "...[4]

شهدت فترة الثورة زخما من الفن القصصي والروائي، ولعل الثورة الدافع الأساسي لتطور هذه الحركة، ومن أهم موضوعاتها التغني بالأرض، والوطن، ومن خصائصها الالتزام بمقومات الشخصية

[1]: نور سلمان، لأدب الجزائري فرحاب الرفض و التحرير، ص307.
[2]: المرجع نفسه، ص308.
[3]: جيلالي خلاص، الأدب الجزائري باللغة العربية من الإصلاح إلى الحداثة، سنة الجزائر في فرنسا مجلة العدد 6 أفريل، دار الرايس حميدو، الجزائر 2003، ص26.
[4]: نور سلمان، الأدب الجزائري في حاب الرفض والتحرير، ص 310.

الجزائرية الأساسية، وتميزت القصة والرواية بالملامح الدينية والوطنية.وتارة أخرى حضارية (تاريخية وسياسية)كريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة." وقد جاءتنا السبعينات بقصاصين آخرين هم عمار بلحسن، العيد بن عروس، جيلالي خلاص،وواسني، وعبد الحميد عبدوس ...أما في أواسط السبعينات ظهرت نخبة أخرى كأحلام مستغانمي، سليمان جوادي، زينب الأعرج، ربيعة جلطي.."[1]

استطاع فن القص بفضل هؤلاء وغيرهم سواء كتبوا باللغة الفرنسية أو العربية أن يسموَ إلى مستوى الأدب المشرقي وفاقه وصولا إلى العالمي، ولعل ما ترجم منه إلى لغات أخرى لدليل على قوة الكلمة وصدق المشاعر، والجمال التعبيري، وروعة الخيال في الإنتاج القصصي والروائي الجزائري.

ظهر في الفضاء الأدبي الفن المسرحي بعد الحرب العالمية الأولى كأداة للنقد وترقية الشعور وهناك من يرجعون بدايته سنة 1926 "بدأ في سنة 1926 وهي السنة التي حاول فيها الجزائريون خلق مسرح عربي يستخدم اللغة العربية الفصحى وسيلة للتعبير والتمثيل"...[2]

توقف الفن المسرحي فترة معينة ليعود مرة أخرى في مرحلته الثانية" أما المرحلة الثانية فتمتد مابين 1934 إلى الحرب العالمية الثانية"...[3] واشتهر في هذه المرحلة رشيد القسنطيني في أدواره الهزلية ولكن بفعل سياسة الاستعمار التي ضيقت عليه الخناق توقف المسرح لتكون بدايته الجادة بعد اندلا ع الثورة التحريرية؛ والتي اهتمت به وجعلت له غرفة تشرف عليه"تعتبر لدى بعض الباحثين بداية للمسرح الجاد الذي استمرّ أثناء الثورة وأنشئت غرفة تابعة لجبهة التحرير الوطني، قدمت عروض خارج الوطن.. وواكبت النهضة الأدبية والاجتماعية"...[4]

إن الأحداث التي توالت في مسرح الحياة، شكلت دافعا لتطور المسرح بعض الشيء؛ فقد تناولت قضايا اجتماعية وسياسية وتاريخية؛ إذ نلمس فيها أبعاد تعليمية، وفكرية، ونشر الوعي

[1]: جيلالي خلاص، الأدب الجزائري باللغة العربية من الإصلاح إلى الحداثة،مجلة سنة الجزائر في فرنسا، ص 27.
[2]: عبد الله التركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص255.
[3]: المرجع نفسه،ص257.
[4]: المرجع نفسه، ص258.

كمسرحية (أحمد بن دياب" امرأة الأب" وما كتبه أحمد رضا حوحو بطريقة ساخرة"الوهم"،" أدباء المظهر")...[1]

ارتبطت المسرحية في عرض موضوعاتها بالواقع، فتميزت بالصدق وإبراز المشاعر إزاء كل موضوع ،وعبرت عن وعي وفكر الفئة الجزائرية، واعتبرت إحدى سبل نشر الوعي والأفكار التحررية وخطى في فترة الاستقلال طريقا لإثبات وجوده.

[1]: عبد الله التركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص(274 -275).

الفصـــــل الثـــالث

1 – آثار الأمير عبد القادر الجزائري.

2 – الأمير وبناء الدولة الجزائرية.

3 – الأمير عبد القادر في عالم القيم.

الفصل الثالث: قراءة في قيم الفكر الحضاري لدى الأمير عبد القادر الجزائري

المبحث الأول: آثار الأمير عبد القادر الجزائري

1 . مؤلفاته

تلون التاريخ الإسلامي بأسماء عبرت الزمن من جيل إلى جيل. تعالت أفكار هذه الأسماء ومنجزاتها الآفاق فكانت خالدة. قد صنعت التاريخ العربي الإسلامي، وتركت البصمة الدينية والسياسة والاجتماعية، والإنسانية، والحضارية على الصعيد المحلي والخارجي، وسجلت محطاتها في صفحات الكتب، فإذا توقفنا عند البلد العربي الإسلامي الجزائر فسوف تستوقفنا شخصيات صنعت مجد هذا البلد الطيب، لكن إذا حددنا الزمن عند مؤسس الدولة الجزائرية لأدركنا الشخصية التي نقصدها؛ والتي لقبت بأكثر من لقب، فهو مفكر، قائد، فارس، مصلح،سياسي، إداري، مفسر، أديب، شاعر...فما هي الآثار التي خلدت هذا الرجل الرمز وجعلته اسما يفتخر به العرب و المسلمون، وحتى الغربيون؟

أضافت آثار الأمير عبد القادر قيما لحضارة شعب عاش فترات مختلفة الجوانب. وقبل أن نشير إليها نعرج ولو قليلا على بعض ملامحه الشخصية باختصار لكي نذكر ونتذكر مولده وتنشئته.

في زمن كثر فيه العوز، وتميزت الحياة بقسوة العيش على صعيد كل المستويات، وفي عمق الريف ولد أعجوبة عصره "ولد الأمير في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف للهجرة الموافق للسادس والعشرين من شهر سبتمبر لعام ثمانية وثمانمائة وألف للميلاد "..."[1]، وهناك من يقول " في شهر مايو من سنة سبعة وثمانمائة وألف للميلاد ، بقرية "القيطنة" إحدى ضواحي ولاية معسكر بمنطقة غريس "..."[2]، اختلف عن أهله؛ إذ اتصف بمكارم الأخلاق والفروسية والنبل.

[1]: الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، دار الغرب الإسلامي،ط1 لبنان 1995،ص 50.
[2]: أيت يحياتن يحي، رموز من عمق الجزائر، دار السهل،الجزائر،دط،2001،ص09

تعلم دعائم الإسلام وجميع الفنون والعلوم. " افتتح حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في سن مبكر وتعلم مبادئ اللغة العربية وهو لم يبلغ الثانية عشرة سنة، ثم سافر إلى مدينة وهران لمواصلة دراسته الثانوية قرابة السنتين"....[1] ليتخرج من مدرسة الفقه والأدب .

تأدب على يد عدة شيوخ جزائريين ، وآخرين عرب كمصطفى بن الهاشمي، والشيخ بن نقريد من الجزائر، وأبي حفص عمر الفاسي، والمنساوي، وأبي علي الحسن بن رحال من المغرب.

أما العلوم النقلية فقد "أخدها عن فقهاء فضلاء كالفقيه الزروالي، واليزمي، والشيخ إدريس العراقي، وسيد حمدون بن الحاج".....[2]

وعندما رحل إلى دمشق استزاد من علماء آخرين" الشيخ المحدث عبد الرحمن الكز بري، الشيخ خالد النقشبندي البغدادي السهر وردي الصوفي الأديب"....[3]

وإثر زيارته للبقاع المقدسة رفقة والده، مرا ببلاد عربية كتونس، والإسكندرية، والقاهرة، حيث التقيا بجملة من العلماء والسياسيين" كمحمده علي باشا" الذي أبهر بمهارته العسكرية والإدارية. وبعد قضائهما الزيارة الجليلة للأرض الطيبة، اتجها إلى بغداد وأماكن المعالم الإسلامية لهذه الحواضر. وبعد ذلك إلى دمشق وليبيا.

إنّ الأمير بعد هذه الزيارة التجربة تعرّف على الوضع في البلاد الإسلامية، وكيفية تسيير أمورها سياسيا واجتماعيا، وأخذ العلم والمعرفة والخبرة، لكي يستطيع أن يصنع للبلاد أرضية لمشواره التأسيسي، والإصلاحي والدفاعي، وكأنّ الله كان يصنعه ويجهزه لأمر عظيم.

نمت شخصية الأمير عبد القادر منذ صغره؛ فقد احتفت به الطبيعة يوم الجمعة هذا اليوم المبارك الذي يمثل رمزا من رموز السعادة، وعيد المسلمين من كثرة بركاته، وساعات الاستجابة، ولعل الله سبحانه وتعالى أكرمه بذلك لما كان يخبئ له من مكانة ودور فعال. عامله والده بحنان واهتمام كبيرين

[1]: فتحي دردار الأمير عبد القادر الجزائري، ، الجزائر،2001، ص 24.
[2]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ط،ص23.
[3]: إسماعيل عزا لدين، الأمير عبد القادر الجزائري دار العودة د.ط بيروت،1975،ص38.

بالرغم من أنّه رابع إخوته وقد اعتنى بنشأته بشكل خاص ومميز" تربى الأمير في حجر والده، مال إليه ميلا خاصا،فتعهد أمر تربيته بنفسه ....[1]

أخذ الأمير عبد القادر المبادئ الأولى عن والده رجل الزاوية. حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي، ومختلف التفاسير، كما وجهه والده إلى علماء أجلاء لمواصلة تعليمه والارتقاء بفكره في جميع العلوم والآداب.ولعل هذه العملية ميزت كل العلماء الذين نهضوا ببلدانهم وأرسوا فيها معالم النهضة والتطور.

- ومن العوامل التي كونت الفارس والقائد المتخلق وساهمت في صنع مؤسس الدولة الجزائرية :

– "عبد القادر ابن بيئة الدراسة والورع؛ من أب معلم ورئيس الزاوية القادرية، الذي تمتع بسمعة كبيرة من القداسة، وأم متعلمة وذات نبل روحي، وحب جم له"...[2]

– "امتلك ملكاته العقلية؛ إذ بدأ عبد القادر يقرأ ويكتب في الخامسة من عمره، حفظ القرآن الكريم ولقب بالحافظ وهو ابن الرابعة عشر، متمكنا في الحديث وأصول الشريعة، بدأ يعطي الدروس في جامع الأسرة، ويفسر و يعقب على أصعب وأعمق الآيات والشواهد"...[3]

– "اشتهر الأمير في السابع عشر من عمره بين زملائه بالقوة العجيبة، ونشاطه الواضح وتحمله أشقى الأتعاب"....[4]

–"سرعة تطور فائقة بدنيا، تمتع بالحياء الكبير، أظهر شجاعة فاقت كل شجاعة، أول من يقود إطلاق النار ويغطي الانسحاب"...[5]

–"كان لا يدانيه فارس مهيبا بالعين القوية واليد الثابتة، والرجولة الحقيقية، ويتحرك بسهولة على الفرس في شتى الجوانب، يطلق النار على هدفه بدقة عجيبة"...[6]

---

[1]: حمو فرعون، فلسفة الاختلاف، ص21.
[2]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر2008،ص20
[3]: أيت يحياتن، رموز من عمق الجزائر، ص09
[4]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[5]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[6]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

– "تميز الأمير عبد القادر بمهابة يعجز اللسان عن التعبير عنها؛ من لباس خيله الذي كان بسيطا مريحا وامتلاكه سلاحا مزينا، وبندقيته الطويلة التونسية المرصعة بالفضة، ومسدسه المزين بالجواهر وسيفه الدمشقي مغمدا في غمده من فضة"...[1]

– "ظهرت فتوته أثناء سباق الخيل (يشكل عاملا هاما في حياته وهو الفراغ المثير من الوقت الذي يقضيه النبلاء الجزائريون) بحماس فائق؛ الذي يدخل به هوّاتنا حلبة السباق"....[2]

– "يبدأ السباق برودة تامة وضبطا كاملا للنفس. وكان يسبق منافسيه بمسافات يصل إلى الهدف وحده وسط أصوات الإعجاب بالتصفيق الحاد وزغاريد مئات النساء وتلك الأصوات النافذة المليئة بالفرح والترحيب عند العرب والتي تزيد المحارب المنتصر نشوة بالانتصار"...[3]

– "مارس الصيد برغبة شديدة لكنه تجنب استعراض الأجواء، فيصطحب معه خادمين فقط ويدخل إلى الغابة، وعندما يعود من رحلته يعزل نفسه للدراسة بحيوية كبيرة"...[4]

–"كان موهوبا بالطبيعة وجاد في حبّ فنّ الثقافة العصامية والإصلاح الذاتي، فحصّل التفوق العظيم على كل من حوله"...[5]

–"تمتع عبد القادر باحترام وثقة فائقة من عرب وهران، ووالده دائم أخذه إلى المناسبات المتعددة"...[6]

–"رحلته إلى الحج وبعد تأدية مناسكهما اتجها إلى دمشق فحضرا القراءات الدينية بالجامع الأموي على الشيخ عبد الرحمن الكزبري"...[7]

– "قرأ الأمير أعمال أفلاطون وفيتاغورت، وأرسطو ودرس أعمال مشاهير المؤلفين من عهد الخلافة العربية في المشرق في التاريخ القديم والحديث، وعن الفلسفة، واللغة والفلك، والجغرافيا، بل حتى

[1]: أيت يحياتن، رموز من عمق الجزائر مرجع سابق، ص9.
[2]: المرجع نفسه، ص10.
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[4]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[5]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[6]: المرجع نفسه الصفحة نفسها
[7]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الطبّ وقد تجمعت لديه مكتبة ضخمة متنقلة أينما ذهب. تميز بالهدوء والسلام وعدم حبه للمعارك"...[1]

الملامح التي ميزت الأمير عبد القادر هي ولادته في أسرة شريفة، ومتمكنة حتى أصبح شابا يافعا ذكيا، سار على نهج العلماء محبا للعلم وشغوفا بالدراسة، فقد أظهر براعة في صغره بتمكنه القراءة والكتابة، كما أتم حفظ القرآن الكريم بتفوق، ثم درس كل أشكال العلوم العقلية والنقلية، ونظّم حياته وقت للدراسة، وآخر للنشاط الرياضي بالخيل والرماية فكان الفرس يلازمه في جولاته، حتى وقت فراغه يقضيه في مصاحبة والده، والاضطلاع على أحوال الناس سواء في الجزائر، أو عندما شاءت الأقدار أن يذهب للحج معه، مما فتح أمامه مجال مختلف ساهم في تلقيه معارف جديدة. صفاته الحياء والهدوء، والرزانة في إصابة هدفه، اهتم بهندامه كرجل عربي وفارس من فرسان منطقته.

للأمير عبد القادر مؤلفات متنوعة في مختلف المجالات. يمكن تقسيم مؤلفاته الشعرية منها والنثرية.

أ ـ نظم الشعر:

ـ ديوان الشعر: يضم كافة أشعار الأمير عبد القادر منذ شبابه، وخلال جهاده إلى غاية وفاته بشموليته معظم الأغراض الشعرية القديمة، والجديدة، والتصوف ، ومصطلح "الديوان" لم يذكر إلا بعد التحقيقات التي قام الباحثون بها عند جمعهم لشعر الأمير عبد القادر الجزائري. ف قد بادر ابنه محمد في جمع شعره في ديوان صغير سماه "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" من عدة مصادر في ثمانية وخمسين صفحة، والذي أثبته صاحب الموسوعة، ويشير ابنه إلى ضياع بعضه لأن والده لم يجمعه في حياته؛ إذ أنه كان يكتفي بقوله في كل مناسبة من دون تدوينه " لذا أعجزني جمع بعضه وأكثره حل به الشتات"...[2]

قد خلت النزهة من الشروح والتعليقات إلا ما ندر، وخلوها أيضا من الفهارس والقوافي، ثم توالت تحقيقات لشعر الأمير من قبل كُتّاب كان أولهم "ممدوح حقي الذي جمع شعر الأمير في ديوان

[1]: ينظر أيت يحياتن، رموز من عمق الجزائر مرجع سابق، الصفحة السابقة.
[2]: زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، د،ط،م ، الجزائر1988، ص59.

بالشرح و التعليق المطبوع من دار اليقظة اللبنانية سنة 1962 في أربع وأربعين بعد المائتين صفحة في جزأين ثم طبعة ثانية مزيدة ومنقحة في سنة 1964 مصدرة بمقدمة في صفحة واحدة مرتبا أغرضا"...[1]

طبقا للتسلسل الزمني"، يشير صاحب الموسوعة إلى ورود كتاب لمنتخبات من شعر الأمير من قبل محمد ناصر الصادر من المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر سنة 1984."...[2]

وثانيهم "زكريا صيام الذي حققه وعلق عليه، وصدر من قبل ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر سنة 1988 في خمس وعشرين بعد الثلاثمائة صفحة مذيلة بفهرس للأعلام والأماكن والقصائد والأبيات على الترتيب "...[3]

وثالثهم" العربي دحو الذي جمع شعر الأمير في ديوان بطبعة جديدة بإضافة إلى المواقف ومذكراته في مائتين وثمانية صفحة سنة 2000 من مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين"...[4]

وبذلك يظهر وجود الموروث الشعري للأمير، والذي تسابق المحققون إلى جمعه في أكثر من طبعة، كما رسخ اسمه في موسوعة الشعر العربي الحديث و المعاصر إلى جانب سبعة آلاف شاعر للدلالة على مستوى الأمير في الشعر في اختياره ألفاظه والموسيقى الشعرية، والمواضيع، فكان شاعر الفروسية والفتوة في العصر الحديث، وأصبح الشعر ترجمانا للشعب ومشاعره إذ تحول إلى بارود المشاعر الذاتية إلى مشاعر الشعب، فشِعر الأمير خطى خطوة خطيرة في الشعر العربي الحديث وبلوغه قيمة كبيرة في رسالة البناء والجهاد.

ب ـ مؤلفاته النثرية:

إن الحديث عن النتاج النثري للأمير عبد القادر الجزائري، في فترة عاشها بين السلم والحرب تمثل جهدا بلغ الآفاق، وعبر عن فكر متميز أمدّ الحضارة العربية الإسلامية بكنوز تهافت عليها العارفون بقيمتها وأصالتها، فهذا الزخم عصارة ساهمت في إثراء مراحل الأدب الجزائري الحديث، وإنطاق مرحلة من مراحل الجزائر الصامدة والتعبير عن وجوهها الثقافية، ولعل أكبر شاهد لفكر الأمير عبد القادر الجزائري الحسني:

[1]: يوسف حسن نوفل، موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر، مؤسسة المختار،ط1 مصر، 2005،ص176.
[2]: المرجع نفسه الصفحة نفسها
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[4]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

- **المواقف**: جمع موقف ويعني عند المتصوفة " البرزخ الفاصل بين مقامين يوقف السالك ليعّرف بالآداب اللائقة بالمقام الذي يعرج إليه "... [1] لقد سماه الأمير المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، واستحسن تأليف هذا الكتاب إعجابا بابن عربي، وسمو الجانب العرفاني في الإسلام عنده" فكرس الأمير جهده الروحي في الشام لنشر المعارف الأكبرية وعبر في المواقف عن عميق إجلاله للشيخ الأكبر فوصفه بأنّه خاتم الورثة المجديين وإمام العالمين بالله تعالى ورسوله، وإمام المكاشفين من الأولياء، وإمام المحققين"...[2]

يتضح من ذلك أن كتاب المواقف للأمير عبد القادر، من المصطلحات الصوفية،كتبه إثر انبهاره بالشيخ العرفاني الأكبر محي الدين بن عربي، وأنّه يمثل أعلى مناهل المعرفة الإحسانية في الإسلام، وأول ما افتتح به كتابه هو التعليق على دعاء الوالد لابن" الله معاك" مستلهما المعنى من سورة الحديد الآية 4.

وكتاب المواقف مؤلف من نصوص كتبها الأمير لوحده وأخرى لقنها على ثلاثة من سامعيه (الشيخ محمد الخاني، محمد طنطاوي، الشيخ عبد الرزاق البيطار)..[3]، ظهر مخطوط في حياة الأمير أوله بدمشق..، وآخر في أنقرة، وطبع لأول مرة بمصر 1911م ثم بدمشق (1966 . 1967) وهي النسخة التي قوبلت بالمواقف الأصلية المكتوبة بيد الأمير، ونسخة عالم الشام الكبير جمال الدين القاسمي المحفوظة بدار الظاهرية ، ونسخة الشيخ عبد الرزاق البيطار المحلاة هوامشها وملاحظات بخط الأمير، وطبعة ثالثة بالجزائر 1996بالتصوير المباشر من النسخة المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الوطنية ناسخها هو محمد الخاني...[4]

من ذلك يتضح أن كتاب المواقف لاقى اهتماما كبيرا من قبل العلماء والشيوخ من خارج الجزائر لما يحمله من قيمة حضارية لعالم ومفكر، فهو بمثابة إثر قومي يخص العرب المسلمين، إذ انتشرت

[1]: عبد الباقي مفتاح، المواقف الأمير عبد القادر، ج1،ط1 ، دار الهدى، الجزائر2005،ص29
[2]: المرجع نفسه، ص27
[3]: محمد خاني ملازمي الأمير أثناء رحلته للحج، محمد طنطاوي ولد بمصر 1856 أحد شيوخ النقشبندية الناشرين للمشرب الأكبري في التصوف، عبد الرزاق البيطار1837 - 1916 عالم ومؤرخ.
[4]: عبد الباقي مفتاح، المواقف، الأمير عبد القادر، ج1، ص29

مخطوطاته بنسخ اختلفت في عدد المواقف، واختلاف البلدان، ثم توالت التحقيقات لشرح وتحليل هذه المواقف للباحثين.

وبنية المخطوط " المواقف" الذي ألفه الأمير عبد القادر الحسني الجزائري "من مقدمة رائعة على شكل مقامة ثم مجموعة من القصائد الصوفية، ثم فصول تتخللها مواقف تبلغ عددها اثنتي وسبعين بعد ثلاثمائة في ثلاثة مجلدات،"بالنسبة للكتب المحققة من قبل عبد الباقي مفتاح في جزأين الأول يحتوي 248 موقف، و الجزء الثاني يحتوي الباقي". ويمكن تصنيف هذه المواقف كالتالي: المفتتحة بالآيات القرآنية، والمفتتحة بالأحاديث النبوية، وأخرى تعد مواقف عن أجوبة لأسئلة، تتعلق بكتاب الفتوحات المكية، ثم خمسة مواقف لشرح خمسة أبواب من فصوص الحكم، نحو تسعة مواقف لشرح حكم وأقوال وأبيات شعر صوفي، عشرة يصف فيها الأمير بعض وقائعه الروحانية"...[1]

من ذلك يتبيّن أنّ الأمير عبد القادر ضمن كتابه فصولا وأبوابا بعد مقدمة، فتناول في الفصول والأبواب شرح لبعض آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والتعليق على أجوبة تخص أسئلة حول كتاب محي الدين بن عربي " الفتوحات المكية"، وشرح لفصوص الحِكم عند أنبياء قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى مواقف للأمير الروحانية، وأخرى لشرح حِكم وأقوال، وشعر صوفي.

من البنية الداخلية للكتاب يظهر أنه ذو صبغة دينية صوفية. وهي تناول فيه تفسير بعض الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة تفسيرا مزجه بالفقه، والتاريخ بأسلوب صوفي. استهل بداية الكتاب بوحدة الوجود؛ والذي تفرع منه جُلّ المسائل المحورية.

في هذه المناسبة نثير قضيتين لازالت كل واحدة منها مجال المناقشة والتنقيب في الأوساط البحثية تنظر إليها بمنظار القبول تارة، والرفض تارة أخرى؛ إذ يستوقفنا أولها المتمثلة في بعض الآراء التي تشكك في نسبة المؤلف الجلل " المواقف" للأمير عبد القادر الجزائري، وثانيها تصوفه .أما القضية الأولى فقد أثارها الباحثون والمتعمقون في ترجمة الشخصية، وعرض مسيرته النضالية والفكرية؛ إذ نجد السيدة بديعة وهي حفيدته تدرج في ملحقات كتابها" وما بدلوا تبديلا" الذي خصصته لعرض تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير عبد القادر الجزائري، ودولته وهجرته، آراء في الصفحة 262 حول تبرئة الأمير عبد القادر من كتاب المواقف بوقوفها على عدة شواهد:

[1]: ينظر عبد الباقي مفتاح، المواقف، الأمير عبد القادر، ج1، مرجع سابق، ص31.

ـ تقرير الخبرة للأستاذ "هشام الغراوي" الخبير المحلف بشؤون الوثائق لدى وزارة العدل السورية من 1925 . 1979 (انظر الملحقات ص 200،205،206،207،208)[1]، والذي أثبت فيه أن المخطوطات الخاصة بكتاب المواقف؛ والتي كتب عليها بخط يد الأمير هي ليست بخطه قطعا...[2]

. لم يتم ذكر أنّ الأمير عبد القادر ألف كتاب المواقف ولا غير. ولم يشير إلى ذلك لا في أشعاره ولا في رسائله...[3]

. الأمير عبد القادر قائد عسكريّ وحاكم وقاضي وسياسيّ محنّك. وأمضى عمره على صهوة الخيل مجاهدا ثم في المنفى، ثم منتقلا بين الأستانة وبورصة، ودمشق، ولم يكن له الوقت يسمح له لتأليف كتاب ككتاب المواقف...[4]

. لم يأت أحد ممن كان يحضر مجالس الأمير عبد القادر على ذكر أن له كتابا اسمه المواقف، ولا أحد من أقاربه يشهد بأن الأمير عبد القادر تحدث عن هذا الكتاب أو قوله بتلك العقائد...[5]

. إن الأمير عبد القادر ولآخر حياته كان يدرس في الجامع الأموي بدمشق صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك، ورسالة ابن زيد القيرواني، وكل هذه تخالف تماما العقائد الموجودة في كتاب المواقف فكيف يكون مدرس هذه الكتب وكاتب كتاب المواقف شخص واحد مع هذا التناقض الكبير...[6]

. لم يأت أحد من العلماء المعاصرين للأمير عبد القادر على الإفصاح بصحة نسبة كتاب المواقف إليه...[7]

.كل من ذكر أن للأمير كتابا اسمه المواقف مثل الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه "أعيان دمشق" نقل ذلك من كتاب " تحفة الزائر" لمؤلفه محمد بن عبد القادر الابن الأكبر له أثناء حياة الأمير عبد القادر، ونحن نعلم أن هذا الكتاب حُرق كله بعد وفاته وقد تم إعادة تأليفه وقد ساعده بعضهم

[1]: انظر بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة، الجزائر 2008، ص(من 185 إلى 206).
[2]: الأميرة بديعة الحسني الجزائري، وما بدلوا تبديلا، المطبعة العلمية، دمشق ط1،سنة 2002، ص262.
[3]: ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها
[4]: ينظر المرجع نفسه، ص263.
[5]: ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها
[6]: ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[7]: ينظر المرجع نفسه، ص264

وشمل كتاب " تحفة الزائر" على أحداث مغلوطة، بما في ذلك نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر...[1]

. طبع كتاب " المواقف" بعد وفاة الأمير عبد القادر بثمان وعشرين سنة في القاهرة وكل المخطوطات الأصلية الموجودة هناك، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق يقول ناسخها إنّه نقلها عن المخطوط الأصلي، ولم يكتب على أي مخطوط اسم ناسخها بل يذكر دائما كاتبها مجهول أو لا يعرف والمخطوط الأصلي ليس بخط الأمير؛ بل مزورة عليه فكيف نصدق المجهولين وكيف نقبل سندا لكتاب معلول بعلل كثيرة ...[2]

بهذه الشواهد تنفي حفيدة الأمير عبد القادر السيدة بديعة الحسني نسبة كتاب" المواقف " له وتجزم ببراءته من هذا المؤلف، لكن الباحثين في هذا المجال لديهم ما ينقد هذه الحجج، وتوالت التصريحات والمناقشات في نسبة هذا الكتاب إلى الأمير عبد القادر الجزائري، ومن بين الردود التي تؤيد هذا الزعم:

. الاستشهاد بنصوص كتاب "المواقف" في العديد من الكتب التي ظهرت خلال بدايات القرن الرابع عشر خصوصا النصوص التي نقلها منه الشيخ المغربي الشهير محمد بن جعفر الكتاني(1274 .1345)هـ في كتابه الضخم "جلاء الأصداء الغنية"، وما نجده في كتاب" جامع كرامات الأولياء" لشيخ الشام الصوفي الشاعر قاضي المحكمة الشرعية ببيروت يوسف النبهاني (1265. 1350)هـ الذي أخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن نفس الشيخ الذي أخذ عنه الأمير عبد القادر " بن مسعود الفاسي ت 1289هـ....[3]

. نجد في كلام العلامة شكيب أرسلان(1871. 1946)م في كتاب " حاضر العالم الإسلامي" إذ يقول:" وكان المرحوم عبد القادر متضلعا في العلم والأدب، سامي الفكر، راسخ القدم في التصوف لا يكتفي به النظر حتى يمارسه عملا ولا يحن إليه شوقا حتى يعرفه ذوقا وله في التصوف كتاب سماه "المواقف" فهو في هذا المشرب من الأفراد الأفذاذ ربما لا يوجد نظيره في المتأخرين"....[4]

---

[1]: الأميرة بديعة الحسني الجزائري، وما بدلوا تبديلا، مرجع سابق، ص264.

[2]: المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[3]: عبد الباقي مفتاح، الرد على من أنكر نسبة المواقف للأمير، مسالك، مجلة، مؤسسة الأمير عبد القادر، العدد خاص فيفري 2012، ص26

[4]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

. الأمير بإجماع كل من عرفه وأرخ له هو أشهر مدافع عن المذهب الصوفي العرفاني للشيخ " محي الدين بن عربي؛ إذ كان معجبا به خاصة أنه كلّف عالمين من أصحابه لتحقيق أوسع موسوعة صوفية للشيخ محي الدين بن عربي" الفتوحات المكية " وطبعه على نفقته الخاصة، وكان يدرس كتبه، كما ضمن كتابه" المواقف" شرح لفصوص الحِكم؛ التي تناولها على مسامع علماء يحضرون مجالسه من بينهم الشيخ محمد طنطاوي والشيخ محمد الطيب المبارك الجزائري الذي أرسلهما لتحقيق كتاب الشيخ محي الدين بن عربي، والشيخ عبد الرزاق البيطار مؤلف كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" اهتم فيه بالحديث عن المواقف وعرض ترجمة مستفيضة لحياة الأمير عبد القادر الجزائري و ابنيه محمد ومحمي الدين وأخيه أحمد ....[1]

. ويضيف الباحث أنّ من الملازمين للأمير عبد القادر شيخ دمشق إمام النقشبندية العلامة الصوفي محمد الخاني(1297 .1316) وهو الذي كلفه الأمير بجمع وتبييض كتاب المواقف التي نصوصه كتبت تلقائيا وتعبيرا عن إرادته العرفانية في القرآن والحديث ، ونصوص أملاها عليه إجابة عن أسئلة طرحت عليه خصيصا من قبل الشيخ نفسه، وهذه المواقف كتبت في أمكنة مختلفة من منفاه وهجرته إلى الشام...[2]

ونقل الباحث كلام السيد خلدون الدمشقي القائل فيه بأن كتاب" المواقف" لم يرد ذكره في تحفة الزائر إلا مرة واحدة. أما جزءه الثاني فقد ورد إحدى وعشرين مرة...ويجد الباحث ذكر لفظة المواقف في الشعر الذي رثا به الأديب إسحاق أفندي الطربلسي الأمير عبد القادر بقوله:

القانِتُ الأوَّابُ منْ أحْيَتْ مَوَاقـ فُهُ لنَا العَرِبِي ذَاك الطَائِي

وقول عبد الرزاق البيطار:

ومَوَاقِفٌ شَهِدَتْ بِفَضْلِ مَعَارِفٍ ضَاءَتْ على الأكْوَانِ كَنِبْرَاسِ

وقول الشيخ محمد بن محمد المبارك الجزائري:

ومَوَاقِفٌ كَالمـثَـــانِي ذِكْرُهَا أبَدَا على طُولِ المــدَى لا يُخْلَقُ

[1]: عبد الباقي مفتاح، الرد على من أنكر نسبة المواقف للأمير، مسالك، مجلة، مؤسسة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص26.

[2]: المرجع نفسه ص27.

وقول الأديب أحمد أفندي وهبي الحلبي:

مِنَ المَوَاقِفِ بَعْدَهُ يَحْيَى الدُجَى مُسْتَمْنِحًا ذَاك التَّجَلي الأعظُمَا

مَازَال يَقْفُوا أثَرُ مُحْيِي الدِين حتَّى حَازَ حُسْنَ جِوَار ذَيَاكَ الحِمَى...[1]

. أدرج فؤاد صالح السيد مبحثا خاصا للحديث باستفاضة عن المواقف في كتابه"الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا "، وعدد محتوياته وطبعاته وأماكن تألفيه، وذكر ذلك العلماء والكتاب الذين مدحوا الكتاب وقرضوه، فيصف الأمير عبد القادر بأنه "ابن الزوايا والطرق الصوفية"....[2]

. ونضيف شهادة المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله الذي يقول عن الأمير أنه" الرجل الذي تساوت سمعته في الحرب والتصوف هو الأمير عبد القادر ويعنينا هنا مؤلفاته في التصوف ونحن نعلمك أنّه أضاف إلى القادرية التي تلقاها عن والده في الجزائر الشاذلية والمولوية والنقشبندية، التي تلقاها في المشرق بعد الهجرة ومن شيوخه محمد الفاسي بمكة أثناء أداء فريضة الحج للمرة الثانية سنة 1863م . ومن أشهر مؤلفات الأمير كتاب" المواقف" الذي يقع في ثلاثة مجلدات وكان الأمير قد استغرق في التصوف منذ حجه وقد اختلى في غار حراء أثناء مجاورته وفي دمشق كانت له خلوة يتعبد فيها وفي أخر سنواته ازداد تعمقا في هذا الباب وكان يطالع أمهات كتب التصوف ومنها الفتوحات وفصوص الحكم لابن عربي الذي يعده شيخه الأكبر ويبدو تأثره به كثيرا في" المواقف" إذ بناها على نظريات شيخه حسب العارفين بهذا الفن، وذكر الدكتور عمار طالبي كمتخصص في هذا الفن ثم يقول ..(وكتاب المواقف يضم 372 موقفا وقد طبع مرتين أولاها كانت في عهد ابنه محمد أي سنة1911م) يقول أبو القاسم في الهامش وقد اعتمدنا على الطبعة الثانية دار اليقظة العربية دمشق 1966...[3]

ويشير الدكتور عمار هلال في أحد كتبه إلى مجموعة من العلماء الذين صنعوا مجد الجزائر ونهضته الفكرية قبل الاحتلال وبعده، وما يثبت علاوة شأنهم في مكانتهم العلمية، عمليات النفي التي استهدفتهم إلى البلاد العربية والغربية، ومن هؤلاء الأمير عبد القادر الجزائري الذي لم تقدر فرنسا على هزمه؛ لكن امتدت إليه يد الخيانة، فتحدث الكاتب عن مسيرته الجهادية، والأدبية الفكرية، فذكر آثاره

[1]: عبد الباقي مفتاح، الرد على من أنكر نسبة المواقف للأمير، مسالك مجلة عدد خاص، ص28

[2]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص45.

[3]: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،.دار الغرب الإسلامي، ط1 ج7 1998 ص (116 -117)

فنوّه بكتابه الشهير المواقف إذ يقول :" وفي الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، حيث انكب على دراسة، وقراءة الكتب الدينية كالبخاري، ومسلم، بعد زيارته لبيت المقدس، كما انكب على دراسة الفكر الصوفي وغيره من المؤلفات الفلسفية، وقد جاء تأليفه الشهير المواقف كتتويج لكل الاهتمامات التي بذلها في مجال العلم والمعرفة"...[1]

إنّ هذه القضية المتمثلة في نسبة الكتاب الضخم" المواقف " للأمير عبد القادر أدت إلى كثرة التساؤلات حول ما يبرئه منه ، وما يبرئه من كلام نسب إليه، وينفيه كل مطلع على حياته؛ لأنه من المستحيل أن يدعيَّ الربوبية، وهو العالم والمتمسك بدين الله، والمدافع الشرس عن عقيدته من جهة وما يثبت نسبة الكتاب إليه من جهة أخرى؛ فهناك من يوافق الرأي الأول بصورة واضحة وهو ما جاء في كتابات الأميرة بديعة الحسني حفيدة الأمير عبد القادر، بالوقوف على عدة نقاط تفسر بها موقفها. خاصة وهي تركز على نقطة مهمة التي تتبناها تقول " :ولأهمية هذا الموضوع وخطورته على الدين الإسلامي الحنيف بالتشويش والتشكيك بمبدأ التوحيد والقبول بتاليه الإنسان لكونه أرادها الله من تلك الآيات وبعدها عن ضوابط التفسير التي حددتها الشريعة الإسلامية، جعلاني أحاول سد أي ثغرة أو سلبيات منهجية سببت خللا على مستوى الموضوع وهو عدم نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر وأنْ لا أترك هذه السلبيات سائبة دون معالجة" "...[2]

إنّ الخطورة عندها عقائدية دينية دون النظر في الأمور التاريخية، كما يثبت الباحثون العدد نفسه في كل تصريحاتهم عن كتاب المواقف وتشابه بِنيته، مما يضفي إلى كونه لكاتب واحد، وليس لكُتاب مجهولون.

ونجد محتوى المواقف ارتبط بالأمير من حيث حياته العلمية قبل توليه الإمارة وبناء الدولة الجزائرية فعندما نتطرق للتراث الفكري لديه نجده يتصف بقوة تركيبية، ويتحكم في صياغة الأطروحات والتأويل والاستنباط. وهذا ما يبرزه الكثير من الباحثين المتلذذين بتراثه ويجعلونه خليفة محي الدين بن عربي بقولهم" هو الوريث الشرعي لمذهبه وأن مؤلفه الشهير " المواقف" ما هو إلا امتدادا وشروحا وتأكيدا لمفاهيم الصوفية عند ابن عربي"....[3]

---

[1]: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرون الميلاديين، د،ط، الجزائر، 1995، ص323.

[2]: فلسفة الاختلاف فرعون حمو، ص45، عن الأميرة بديعة الحسني، الأمير عبد القادر ص384

[3]: مجموعة من مؤلفين، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي ط1 الجزائر 2010،ص179

أضف إلى ذلك ما شهد به أصدقاؤه الذين لازموه طيلة تأليفه لهذا الكتاب" الموقف" سواء عند كتابته لجزء وإملاءه لجزء آخر على أصدقائه، وهم من المشايخ وفقهاء الإسلام، فلا يقدمون على كتابة هذا الأثر ونسبه للأمير عبد القادر فهذا من غير المنطقي، ونلفت انتباه القارئ أنّ جزء من المواقف تم إرساله، ولم يرسل إلى كاتب الأمير يدا بيد؛ لأنّ الخاني كان يطلب الأجوبة، فترسل له من قبل طرف ثالث، وقد يحدث تغيير أو ضياع الأصل بسبب بعد المكان والزمان.

فالمواقف اقترنت بالأمير عبد القادر الجزائري وهي ثمرة علمه وتفقهه في الدين؛ إذ أهدى له كبير علماء دمشق الشيخ عبد المجيد الخاني ابن الشيخ محمد الخاني أربعة أبيات نقشت على قبره:

لله أفقٌ صَار مشرقَ دارَ تيقْمرينَ هَلاَ منْ دِيَارِ المِغْرِبِ

الشيخُ مُحيِي الدين ختَمَ الأَوْلِيَاءَ قَمَرُ الفتُوحَات الفريدَ المشْرِبِ

والفَرْدُ عبدُ القادرِ الحَسَنِي الأميرُ قمَرُ المواقِفِ ذا الوَلِيُّ ابنُ النبوِيِّ

مَنْ نَالَ مِنْ أعلى رفِيقٍ أرخُوا أزْكى مَقَامَات الشُهُودِ الأقْرَبِ....[1]

وقد تم الإشارة إلى كتاب" المواقف" في كتاب الأمير "رسالة إلى الفرنسيين"؛ ذكر المحقق عند الحديث عن طبيعة الأسلوب الذي عولجت به الرسالة مقارنة بأسلوب المواقف" ويبدو أسلوبها بالمقارنة مع أسلوب المواقف مثلا أنها من مؤلفاته المبكرة لأن أسلوبه في المواقف ناضج جدا ومتميز"...[2]

شغل تصوف الأمير عبد القادر الجزائري المفكرين والباحثين. وهي القضية الثانية التي أثير حولها التساؤلات هل الأمير عبد القادر الجزائري متصوف أم كتب في التصوف؟ وإن صح ذلك أو لا فما هي الدلائل التي تثبت أو تنفي ذلك؟

فالتصوف هو سلوك طريق الحق أوله مجاهدة ومكابدة وآخره مشاهدة الحقائق على ما هي عليه وذلك من ارتفاع حجاب الوهم المانع من ذلك...[3]

أثارت المسألة فضول، وحماس كل الباحثين. والمهتمين بفكر الأمير عبد القادر، والأدب الإسلامي وما فيه من قيم حضارية. فالأمير عبد القادر يصنف واحد من المخلصين للأدب والتاريخ والدين والأخلاق في الجزائر والبلاد العربية من وطأة الاستعمار الحديث. " ولولا بروز بعض الجزائريين

[1]: عبد الباقي مفتاح، المسالك مجلة، العدد خاص،ص29

[2]: الأمير عبد القادر، تحقيق عمار طالبي رسالة إلى الفرنسيين، الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د،ط، الجزائر، سنة2006، ص7.

[3]: مجموعة من المؤلفين، تبر الخاطر في فكر الأمير عبد القادر، ص163

المخلصين مثل الأمير عبد القادر الجزائري..... لأضحت الجزائر حاليا فرنسية اللسان، وغربية الروح. لا يصلها بماضيها العتيد غير الكتب التاريخية"...[1]

ينحدر الأمير عبد القادر الجزائري من الطريقة القادرية؛ إذ كانت مدرسته الأولى" الزاوية"، وهذه الطريقة كانت لا تزال على أصلها البريء " اتسمت هذه الزوايا من عزوف عن الحياة وزهد في مغرياتها وانصراف كلي إلى الحياة الروحية"...[2]

ذكرنا فيما سبق أن الأمير عبد القادر نشأ وتعلم على يد والده ومجموعة من العلماء الأجلاء داخل الوطن وخارجه، وحفظ القرآن وهو في سنّ مبكر وزاده بحفظ السنة النبوية وشرحها بالإضافة إلى كتب السير والتراجم والفلسفة، وكان كل مرة يخلو بنفسه للدراسة. بالإضافة إلى زيارة الأماكن المباركة في رحلته إلى الحج مرورا بأرض الصوفية " فتبركنا بهم وتعلقنا بشيخهم السالك المسلك الجامع، بر الظاهر والباطن، الحائز قصب السبق فيذلك المضمار المحصل بإذن الله إلى الفتح الرباني بطرق شتى خصوصا النقشبندي...واتخذنا صلاة الأوقاف في مقام ضريح سلفنا وقدوة أسلافنا... وأقمنا بها مدة شهرين . دمشق . في إكرام كالأولى أو أعلى وإحسان أفضل وأغلى متبركين بأهل الفضل الأولى متشبثين بكل بر عليه في ذلك المسلك المعول... ثم إلى زيارة الجد بعين غزالة ثم إلى الجبل الأخضر وإلى مدينة بن غازي ثم إلى مصراته محل ضريح العارف بالله تعالى أبي العباس السيد أحمد زروق البرنسي تبركنا بمزارته...[3]

"بعد أداء الحج سنة 1241هـ وكان قبل أن يسافر إلى بغداد في الشام أين التحق بالشيخ خالد النقشبندي الذي علمه الطريق الصوفي، والمقامات الصوفية، وعرّفه على الحسن البصري ورابعة العدوية وذا النون المصري، والبسطامي، والجنيد والحلاج والسهروردي، والعطار وابن الوردي وصولا إلى عربي...[4]

اتبع الأمير في تعلمه ونشأته وفق منهج طبيعي ذو تكوين صوفي، يظهر ذلك في حياته الاجتماعية؛ إذ أنّه اعتاد التقشف في كل شيء " كانت قاعدة الأمير قائمة على أسس ثابتة تتمثل في التحلي بالقسوة تجاه نفسه والتسامح حيال الآخرين..... وكانت أسوة أبيه واستعداداته الطبيعية

[1]: شريبط أحمد شريبط، دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، المكتبة الوطنية، د،ط الجزائر 2007، ص5

[2]: صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية مطابع الشروق، د،ط، بيروت، ص113

[3]: مجموعة مؤلفين(م بناني، محمد سماتي، م الصالح ألجون)، مذكرات الأمير عبد القادر ، دار الأمة، ط1، الجزائر2007،ص130- 131-132- 133-134.

[4]: مجموعة من المؤلفين، تبر الخاطر في فكر الأمير عبد القادر، ص180.

تدعوه إلى التقشف الأخلاقي... [1] من مواقفه الإنسانية تجاه الأسرى وتسامحه أثناء الحرب؛ لأن التسامح سمة إسلامية بامتياز تصرح به العقيدة ويشهد عليها التاريخ؛ لكن غالبا ما ترجع العصبية، وتطغى على النفس البشرية مما يلصق ذلك بالإسلام وليس منه في شيء ويصطلح عليه بالتصوف، وقد أشار إلى ذلك "الكومت قوبينو" الذي يرى" التصوف تجلّ من تجليات التعصب الإسلامي" ...[2]

في حين وعند الاحتكاك بالغرب، وتبيان عجزه نستشف كون المتصوفة بوجه عام يضطلع ويتصل مع أمثاله ويتشكل تأثيره عن طريق العظة والقدوة، فهو قاس تجاه نفسه لتكون أداة طيعة ومناسبة لرسالته العظمى...[3]

من تطرقنا لملامح شخصية الأمير لمسنا التصوف في حياة الأمير عبد القادر الجزائري الحسني فهو قد عاش حياته على منهاج المتصوفة في معاملة نفسه، وتربيتها، وتأديبها على التقشف في كل مناحي حياته؛ في الطعام، واللباس، والمتعة، كما كان مكبا على الدراسة والتفقه في الدين والعلوم، واتبع منهج الحداثة في تصوفه؛ إذ أنه لم يكن منعزلا بل خالط الناس، وعرف حاجتهم وفسر ضعفهم وساهم في وعيهم، فهو بمعارفه حاول إرشاد وتوجيه الناس إلى الصلاح، والكمال، والمثالية. لذا نجد النهضة الصوفية هي الإرهاصات الأولى للنهضة الإصلاحية في العالم الإسلامي مثلته الشيخ الأفغاني ومحمد عبده.

ونجد في كتاب "المواقف" بأن البعد الصوفي في شخصية الأمير موجود وليس عارضا، وطارئا. ويظهر ذلك في مراحل ثلاث:

ـ المرحلة الأولى: تتلمذ الأمير عبد القادر بالزاوية التي كان يديرها والده المنسوبة إلى إمام التصوف عبد القادر الجيلاني(561هـ)، والذي تتلمذ عليه قطب التربية الروحية أبي مدين شعيب(589هـ) وهو شيخ محي الدين بن عربي(638هـ)...[4] بالإضافة إلى شهرة الزاوية" كانت القيطنة زاوية محطة الزائرين "...[5]

وقد صحب محي الدين ولده معه إلى الحج أين التقى بالإمام خالد النقشبندي(1193ـ 1242)هـ وزيارة الأضرحة والزوايا الموجودة بدمشق، وبعد وفاة محي الدين تولى زمام الزاوية والقيام بأمورها الأمير

[1]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، ص69.
[2]: المرجع نفسه، ،ص59
[3]: المرجع نفسه ص60.
[4]: الأمير عبد القادر، المواقف، تحقيق عبد الباقي مفتاح ج1،ص12
[5]: الأمير عبد القادر، تحقيق عمار طالبي، مذكرات الأمير عبد القادر، ،ص 48.

عبد القادر، وباتساع مهامه، التقى بشيخ الطرق الشاذلية بمصر(محمد عليش 1882) وشيخ الطريقة البودشيشية القادرية المغربي (المختار بن الحاج محي الدين بن الحاج المختار 1914)، كما يظهر تصوفه في مواقفه المختلفة...[1]

المرحلة الثانية: الفترة الأولى تتمثل في سنوات سجنه ب"بو" و"أمبواز" و"تولون" والتي قضاها في دراسة كتب الشريعة والتصوف، وتعليم أصحابه دون الاستسلام للقنوط و مرارة العيش، كما كان يخلو بنفسه للذكر والتعبد والتفكر؛ إذ بدأت تتهاطل عليه الإغراءات لأجل ترك الجهاد والهدف الوطني لكن ذلك زهيد مقابل ما كان يحمله الأمير. أما الفترة الثانية بعد خروجه من السجن قضى عامين ببروسة أين ألف كتابه" رسالة إلى الفرنسيين" سنة 1855م ونزل بدار الشيخ الأكبر بدمشق بذلك توسعت علاقاته بشيوخ التصوف مثل جلال الدين الرومي(672)هـ صاحب الطريقة المولوية ، ودراسة كتاب الشيخ الأكبر والتعمق فيه ...[2]

ـ المرحلة الثالثة: بدأ الأمير الإفصاح عن صوفيته في كتاباته من خلال مواقفه، ومما تيقن لديه معرفة الإنسان نفسه ليصح إخلاصه، وتوظيف ما أخذه من الطريقة الدرقاوية من الفاسي 1289هـ ومن الحجاز وليبيا جعلته يستلم زمام سلوكه الروحي في تربية الأذواق العرفانية، وقصد الأماكن الشريفة كغار حراء، وجبل النور الذي مكث فيهما للتعبد والتفكر، وزيارته الأضرحة للصحابة واستقر بالمدينة المنورة أين خلى بنفسه مدة شهرين آخذا تلك الرياضة والخلوة والاجتهاد من أستاذه محمد الفاسي فنال الكرمات والارتقاء ما جعله يستظهر القرآن العظيم ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة، فكتب إلى أستاذه يصف بدايته ونهايته في قصيدة مؤلفة من مائة وأحد عشر بيت يدل فيها مدى أهمية صحبة المربي لبلوغ التربية الروحية الكاملة، وما رجع الأمير لمقره في دمشق إلا وهو عارف واصل وشيخ كامل مفتوح عليه في المعرفة والتربية الروحية على المنهاج الشاذلي والمشرب الأكبري، زيادة على معرفته بالطرق الأخرى...[3]، ويشير مرجع آخر إلى أن الأمير صوفي:" الأمير عبد القادر صوفي يختلف عن الفكر الوهابي. ويتفق معه على وجوب إزالة الفساد الديني والجهل الشرعي.."[4]

مما سبق اتبع الأمير عبد القادر كل سبل المريدين والمتصوفة حسب ما أدرجه محقق المواقف، كما يتبادر إلى أذهاننا سيرة الأمير خصوصا وهو من أنصار الطريقة القادرية التي شبّ عليها ونمط عيشه

[1]: الأمير عبد القادر، المواقف، تحقيق عبد الباقي مفتاح ص16.
[2]: المرجع نفسه، ص18
[3]: الأمير عبد القادر، المواقف، تحقيق عبد الباقي مفتاح، مرجع سابق، ص19-20.
[4]: إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، دط،2011ص166.

الذي فرضه على نفسه بالرغم من أنّه ابن عائلة كانت من أغنى أغنياء غريس، وكذا منهجه في اقتفاء الآثار العلمية الدينية منها ودراسة الكتب، إلى جانب طرقته توحي إلينا أنه اهتم بالتصوف إلى حدّ الكتابة فيه شعرا ونثرا، بالإضافة تاريخه الحافل خصوصا في المرحلتين جهاده للمستعمر على النهج التاريخي الإسلامي، وجهاده للنفس في تطويعها وتدريبها حسب ما وصلنا من حياته في المشرق وتردد على المناطق الشريفة في رحلات ثلاث للحج، ليوثق ذلك في كتبه الكبيرة التي ذكرت أثناء هذه الدراسة.

- **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل** : وتسمى أيضا رسالة إلى الفرنسيين، ألفها ببروسة بتركيا أثناء إقامته بها ،بطلب من الجمعية الأسيوية بباريس سنة 1855 مصادر هذه الرسالة" الإحياء لأبي حامد الغزالي، ابن خلدون في مقدمته، والرازي وغير هذا من المؤلفات في التراث الإسلامي تحدث فيها عن المعرفة وعن العقل الذي مصدر من مصادر المعرفة"....[1]

تتضمن الرسالة "مباحث النبوة الذي يعتبرها مصدرا للمعرفة؛ إذ تطرق للعلم العملي التطبيقي عند الفرنسيين باستعمال العقل العملي مشيرا إلى الثورة الصناعية، ثم تطرق إلى علم القانون الذي أشاد بفائدته في رفع الخلاف الديني، للرسالة قيمة تاريخية تبيّن مدى عناية الفارس المجاهد بالمعرفة التي بدأ حياته وختمها بها، فأفكاره لم تخمد ولم يستسلم للقدر، بل واصل جهاده بإعمال الفكر والتأليف"...[2]

ويشير المحقق أن هذه الرسالة نشرت دون تحقيق عدة مرات آخرها سنة 1966 من قبل ممدوح حقي، دار اليقظة العربية بيروت، وقد اعتمد المحقق في تحقيقه على نسخة من المخطوطة موجودة في مكتبة الشيخ عبد القادر المجاوي أوصى بها مسجد بورواقية. وتتضمن الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. فالمقدمة حث عن النظر وذم التقليد أما الباب الأول يضم فصل في العلم والعلماء، وفيه فصل في تعريف العقل وتكملة، ثم تنبيه في فضل إدراك العقل على إدراك الحواس، وخاتمة في انقسام العلم المحمود والمذموم، والباب الثاني فيه فصل في إثبات النبوة التي مصدر العلوم الشرعية وتنبيه في معرفة النبيّ صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بالنبوة وخاتمة في المكذبين للأنبياء، أما الباب الثالث فيه فصل في

[1]: الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق عمار الطالبي، ص7
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص8

الكلام على كتابات الأمم ومن وضعها وتنبيه في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس إلى التصنيف أما عن خاتمة الرسالة فكانت عن انقسام الناس بحسب العلوم واختلاف المذاهب...[1]

يتضح من ذلك أن الأمير عبد القادر أحبَّ العلم، وجاهد لبلوغ مرتبة العلماء، فمنذ صغره معروف بذكائه وفطنته، إلى أن لمسنا ذلك في تراثه؛ فهذه الرسالة تعبر عن فكر الأمير، الذي يجعل من العلم رأس الأمر في حياة الناس، ولعل ذلك جليٌّ في هذه الأبواب التي بدأها بفصل العلم وختمها بتصنيف الناس حسب علمهم ومعرفتهم. ونشير إلى أنّ هذا الكتاب مسمى ب"رسالة الفرنسيين" وكذا "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" إذ تستوقفني عبارته في فصل الكتابة" من المعلوم أن البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان، ومن فصل بيان البنان أن ما يثبته الأقلام باق للأقوام، وبيان اللسان تدرسه الأعوام، وقوام الدين والدنيا بشيئين السيف والقلم، والسيف تحت القلم، ولله دره من قال:

كذَا قَضَى اللهُ للأَقْلاَمِ مُذْ بُرِيَتْ أنَّ السّيُوفَ لهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ...[2]

- **مذكرات الأمير عبد القادر**: سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 من تحقيق مجموعة من الباحثين محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح ألجون ، نشرت من قبل دار الأمة سنة 2007 بالجزائر صدرت بكلمة أبي القاسم سعد الله، وتقديم عبد المجيد مزيان" الذي يشير إلى أنّ هذه المذكرات تتلخص في سيرة الشخصية " الأمير عبد القادر الجزائري" وشهادة الأمير بشأن الأحداث التي كانت خاتمة كفاحه المسلح، ويلفت الانتباه إلى أن الدولة التي أقامها كانت تشمل القطر الجزائري بأكمله، وكانت مبنية على بيعة شرعية قدمها المواطنون وجددوها بمختلف الجهات، وكان منطلق نظامها الجيش والحكومة، ومجلس العلماء. وبعدها الحضاري والثقافي جديد الفكر والعمل السياسي مع تحريك همم أهل المغرب العربي داخل الجزائر وخارجها إلى الصمود في وجه العدوّ المستعمر، بالاستعداد عسكريا وسياسيا، وعلميا "...[3]

حققت هذه المذكرات لأول مرة من النسخة التي أصدرتها وزارة الثقافة الوطنية بالجزائر يناير 1983، مصورة عن المخطوط المحفوظة بالمكتبة الوطنية، والتي سلمت لها من قبل وزارة المجاهدين وهي

[1]: ينظر الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، مرجع سابق ص(10-11).
[2]: المرجع نفسه، ص 50
[3]: مجموعة من المؤلفين، مذكرات الأمير عبد القادر، ص13

تسلمتها من السيد تيسي حبر الكنيسة في الجزائر والذي سلمت له من قبل السيد جاك شوفالي بعد أن سلمها له قريبه الجنرال بواسوني أحد حراس الأمير في سجني" أمبواز"، و" بو "...[1]

ويشير بناني إلى أنّ السيرة مقسمة إلى مقدمة ذكر فيها دوافعه لكتابة هذه المذكرات والمبررات الشرعية والمنهجية سبعة فصول تناول في الأول نسب الأمير عبد القادر ونشأته وتعلمه وأهم شيوخه أما الثاني فقد تحدث عن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصل العرب، والثالث تطرق إلى معنى النبوة والأنبياء، والرابع انتهى إلى أمر الأمير عبد القادر بعد انتهاء المقاومة وسبب ذلك وأحداث المقاومة بينه وبين الفرنسيين، ثم وصف رحلته إلى المشرق للحج رفقة والده، والخامس تحدث عن خصال العرب وسجاياهم، أما السادس فقد تطرق للحديث عن الروم القيصرية وذكر خصالهم ليجمع في الفصل السابع بالعلاقة بين العرب والنصارى وخاتمة سيرته الحكمة في تطور الزمان والتاريخ والتذكير بقصة انتهاء العالم...[2]

يوضح المحقق بناني أن السيرة بالرغم من أنها تدور حول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الحسني ونسبه وانتمائه الشريف إلى أهل البيت، وذكر ما جرى بينه وبين الجيوش الفرنسية إلا أنّه موجه منذ البداية إلى الدفاع عن أفكار خلفية يمكن إرجاعها إلى ثلاث قضايا:

ـ إثبات صحة الرسالة المحمدية وبيان احتوائها لجميع الرسائل السماوية بما في ذلك المسيحية وبالتالي رسم آفاق واسعة لإمكانية التفاهم بين المسلمين والنصارى.

ـ الافتخار بالحضارة العربية الإسلامية، وأصالتها التاريخية ومشاركتها حضارة الروم في النبيّ "إبراهيم"، وذكر ما كان بين العرب والنصارى من مخالطة جديرة بأن تبعث اليوم علاقات جديدة، للتعاون بين الحضارتين.

ـ عدالة قضيته المتمثلة في المطالبة بتنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع ابن الملك الفرنسي لنقله إلى المشرق باعتبار ما وقع أمرا محتوما لا حقا معلوما، مما يفتح المجال إلى إعادة النظر في كل ما تم الاستيلاء عليه بالقوة، والعودة بقضية الاحتلال إلى نقطة الصفر ذلك أن فرعون نفسه رفض المال المهدى إليه من الأرض المحتلة وقال لصاحبه " الأرض أرضهم والمال مالهم، فبأيّ وجه نأخذ هذا المال، أردد إليهم أموالهم"."...[3]

---

[1]: مجموعة من المؤلفين، مذكرات الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص17

[2]: المرجع نفسه، ص25.

[3]: مجموعة من المؤلفين، مذكرات الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص25

يتبيّن لنا مما سبق أن مذكرات الأمير عبد القادر كتبها بعد تجربة عميقة وواقعية، تحمل في طياتها قيما تاريخية، ودينية، وفكرية تلمح إلى حداثة إنسية قادرة على إضفاء السحر على العالم، مجددا بالبناء الأولي للدولة الإسلامية المحمدية، التي تعتزم أن تكون حلقة جديدة لحوار الحضارات، ويجمع بين الديانات التي مرجعها الإسلام، وبذلك يكون الأمير عبد القادر واحد من رواد نهضة الحضارة الإسلامية.

- **الرحلة**: للأمير رحلتين للحج ، فالأولى انطلق فيها مع والده وهو صغير من وهران سنة 1825إذ كان يسجل كل مراحلها مارين بتونس والبقاء بها أحد عشر يوما، ثم الإسكندرية لبضعة أيام، فالقاهرة والالتقاء بحاكمها النهضوي " محمد علي"، وكان الترحاب على أشدّه، وعبر معبر السويس أبحر الأمير ووالده والحاشية إلى جدّة ومن هذه البقعة شرعوا في التلبية التهليل حتى وصلوا الكعبة المشرفة؛ إذ قضوا ستة وأربعين يوما لمناسك الحج والعمرة...[1]

أما الرحلة الثانية فقد بقي الأمير مع والده نحو سنة بين أرض الحرمين والشام والعراق، انطلقا من دمشق إلى مكة وبعد الحج وإتباع خطوات المناسك، شقا طريق العودة إلى الجزائر مرورا بالقاهرة وصادفوا الاحتفال بالمولد النبوي، فيصف الأجواء وحالة الحجاج والمناطق التي عبروها بليبيا، وتونس وصولا إلى القيطنة...[2]

يشير الكاتب "بن قينه" أن الأمير عبد القادر الجزائر نقل لنا أجواء رحلتيه إلى الحج، واصفا كل ما مرّ به من بلدان وطبيعة البيئة والمنازل والأسواق، وما إلى ذلك من أحوالهم، وإبداء شعوره اتجاهها، كما رصد لنا الفضاء المشرق بالعلم والعلماء ، وأماكن الدرس ، والبقع الطاهرة الشريفة بأهلها كرجال الدين والطرق الصوفية مثلا ضريح عبد القادر الجيلالي، والمعالم التاريخية ، والروضة الشريفة، ومكة المكرمة التي لبوا نداءها جاؤوا لأجل زيارة الأرض الطيبة ، وأجواء الاحتفالات، كما عبر عن الترحاب الشديد لهما عند دخولهما كل قطر، وكرم الضيافة؛ التي لقوها من أهلها الخيرين...[3]

يبيّن بن قينه أن الأمير في كتابة رحلتيه، اتبع منهج ذي طابع معرفي تاريخي، مرتبط بالاستطراد يختلط لديه السابق باللاحق، فحينما يرد خبر عن الجزائر ينتقل إلى ذكر أحداث، وأخبار وملح وطرائف وفوائد(فائدة الرياح)ويعلل الأمير طريقته لدفع الملل؛ إذ أنه لم يضخم الأحداث ولا مواقف

[1]: عمر بن قينه، رحالات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، ص(35 -36.).
[2]: ينظر المرجع نفسه، ص(39-40).
[3]: ينظر المرجع نفسه ،ص43.

ولا صورا ، لغته مباشرة، دون التصنع ، أو ذكر صيغ تخدش جوهر عقيدته الإيمانية. كما يشير الباحث إلى رحلة ثالثة للحج وهي كانت بعد الإفراج عنه من فرنسا متجها إلى دمشق...[1]

يظهر من ذلك أن الأمير لم يضيع فرصة اقتحام فنّ الرحلة، الذي كان في بداية تألقه في العصر الحديث، إذ نلمس لديه حسن التدوين، وبساطته، كما نقل لنا فعاليات رحلتيه إلى الحج ببراءة وبيّن قدرته في توظيف ثقافته في تنمية هذا الفنّ، لرحلاته قيمة تاريخية، ودينية، وفكرية بما يبثه من فوائد بين الحين والآخر، وعرض لمعلومات، وتقاليد وعادات، وأخبار؛ تساهم في كون القارئ مرافق للرحالة فيعيش معه الحدث بمتعة. فهذا دليل على مساهمة الأمير عبد القادر في إحياء معالم الحضارة العربية الإسلامية.

- يشير بعضهم إلى وجود رسائل اختطها الأمير عبد القادر بنفسه في سجن أمبواز، ردا على الطاعنين في مبادئه، وأخرى إجابات عن تساؤلات في شتى العلوم والمجالات الثقافية، إضافة رسائل في فنون الحرب ومحاسن الخيل وصفاتها...[2]

2 ـ فكر الأمير عبد القادر الجزائري

عاش في كنف أبيه؛ الذي كان له الموجه والمرشد إلى التعاليم اللغوية والدينية بالإضافة إلى كون والده رجل زاوية، فقد أخذ عنه الدين الصحيح، وكذا التأثر ببعض المتصوفين الذين كانوا ينشدون الكمال والمثالية للإنسان.ولعل الأمير قد رسم لفكره مبادئ باشر السير على خطاها. "يشمل فكر الأمير عبد القادر امتدادا، وتتمة، وشرحا للأطروحات المعرفية والروحية للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي الأندلسي. ويتميز بنسق فكره كله على رؤية للوجود، تنطلق من نظرية التجلي ليثير بشكل واسع إشكالية الذات الإلهية وعلاقتها بالإنسان وبالعالم، وهي نظرية تتجاوز كل المتناقضات والثنائيات الأنطولوجية والعقائدية ولها قدرة مدهشة على احتضان المختلف واستيعاب المغاير."...[3]

[1]: عمر بن قينة، رحالات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث، ص (46 –47.)
[2]: الأمير عبد القادر الجزائري شاعرا، مذكرة ليسانس، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة تلمسان، 2010 ص15.
[3]: فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري، ماجستير، ص135.

رؤية الأمير لمعنى الإنسان ارتبطت بخصوصية النظرة الصوفية إلى الإنسان جدليا بخصوصية النظر إلى الله...[1]

إنّ الشيء الطاغي على حياة الأمير هو العقيدة، ولا نقصد به الدين فقط، وإنّما ما انبثق عنه من قناعة عميقة بالدور الهام للإنسان اتجاه الآخر؛ المتمثل في الفكر والكلمة والعمل، وهذا يمثل الوجود لإحداث الاختلاف وهذا أيضا ارتبط بالنظرة الصوفية إلى الإنسان في بلوغه الكمال والمثالية، وتحصيل العلم الصحيح اكتسى بالفضيلة، فكان وفيا لروح الإسلام، وتمتع بالإرادة القوية في تطوير نفسه والتطلع دائما إلى اكتمالها وجمالها.

اعتمد مشروع الأمير عبد القادر الفكري محاولة تحقيق الربط بين الاختلاف والوحدة" فهي ليست وحدة تطابق وتماثل؛ بل هي التحقيق والتحقق للوحدة داخل الكثرة والكثرة داخل الوحدة، وكل ذلك ضمن رؤية صوفية قوامها استشراف الحقائق الباطنية، وعبر منهج ذوقي كشف منطلقه"...[2]

بعد احتلال فرنسا للجزائر، وقرارها بالمضي به، اصطدم هذا الأمر بالمقاومة الشعبية التي تختلف كل الاختلاف عن هذا القادم الغريب اختلافا ماديا ومعنويا، فحاول الأمير عبد القادر رسم الوحدة داخل القبائل المختلفة ذهنيا حول أمر واحد وهو طرد هذا القادم؛ الذي داس كل شريف في هذه البقعة، وتمت هذه الوحدة بالبيعة الكاملة للأمير عبد القادر باعتباره القائد الروحي، والزعيم الديني لمحاربة الفرنسيين، وكبح كل التمرد من القبائل بلمّ شملهم وتوعيتهم بالوضع، فغدا الأمير العسكري الوحيد الذي ارتبط به مصير بلاده.

"أسس الأمير أنموذجا فكريا إسلاميا عابرا للتيارات وللإيديولوجيات، تتصالح فيه كل الديانات وكل المذاهب، ورسم الأمير سقفا أعلى لفهم الدين وطقوسه كثيرا من المفاهيم والتصورات، التي تعيد

[1]: فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص135.
[2]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تشكيل التراث الديني والثقافي للإنسان كله في تصور صوفي أنطولوجي شامل جامع للهوية والاختلاف"...[1]

يتبيّن من ذلك أن الأمير عبد القادر جمع القبائل، ووحدهم على إيديولوجيا واحدة بالرغم من اختلاف وانتشار الفرقة بين الأفراد؛ فهو قد خطى خطوات سريعة بفضل عظمته العقلية وحسن التدبير ليجمع عرب الجزائر شعبا واحدا واستمالتهم إلى المبادئ الإسلامية، واستدعائهم إلى فضائل القرون الأولى للهجرة، وإيقاظهم من الغفلة ومواجهة الفرنسيين إذ اهتم بتشكيل حكومة هدفها الحرية والاستقلال.

أنتجت تجربة الأمير قواعد مهمة لتدبير فلسفة الاختلاف بين بني البشر كلهم. ويقترح مبادئ كلية للخروج من الأنساق العقائدية المغلقة، وللتحرر من النرجسيات الثقافية والدينية التي تلغم العيش المشترك بين البشر.مثل قاعدة الخيال؛ كإجراء منهجي لفهم الاختلاف وقاعدة الصور كعلامة لتجليات الاختلاف، وقاعدة التأويل المفتوح كآلية منهجية لشرعنة الاختلاف ، وقاعدة تسويغ وتبرير الاجتهاد في أصول العقائد، وقاعدة مشاهدة الحق في اختلاف الديانات وقاعدة نسبية الحقيقة رفع الخطأ المطلق والكفر المطلق، وقاعدة شمول الرحمة وإزالة العذاب عن الخلق كلهم يوم القيامة، لقول الأمير" إنّ الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن يكون خنجر جهالة، أو معول طيش، أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم..أحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا أو يكون له على نفوسكم سبيلا "...[2]

اتجه الأمير بعلمه الواسع وحججه الكثيرة إلى إصلاح مفتعلي الفتنة في دمشق موضحا شريعة الاختلاف بين طوائف أهل الإيمان، والإسلام أباح مراعاة مشاعر وعبادات أهل الكتاب، وسمح لهم بالعيش معا والتعامل معهم؛ فلا إكراه في الدين.ففارس الإيمان قد وقف مع الحق ودافع عن الأبرياء من باب الحق الإنساني الذي تترفع به قيمة البشر، وحفظ النفس والابتعاد عن سفك الدماء.وهذا يمثل

[1]: ينظر حمو فرعون، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر، ص136

[2]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص71.

جوهر الإيمان الإسلامي واللطف الإنساني الذي يمثل قاعدة الاجتهاد وشمول الرحمة من جهة واحترام القناعات والارتقاء بالتسامح الكوني تخضعنا إلى قاعدة الاختلاف، وعدم الانسياق وراء التفكير المغلق في خلق اللعبة الدموية.

نشر الأمير الجزائري التسامح والتي استقاها من الدين الإسلامي بين الأفراد؛ إذ يقول:" وأنا بدوري لن آخذ بقانون غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن والقرآن وحده"... [1]. وبيّن أنّها جوهر الدين عكس فلاسفة الغرب الذين ولدت عندهم فكرة التسامح خارج الدين؛ بل ضده كرد فعل لائكي علماني على التعصب الصراعات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت.

فلسفة الاختلاف عند الأمير تجد كامل مرجعيتها في عقيدته في وحدة الوجود التي هي وحدة تأخذ، وهي أيضا اختلاف وتعدد... وحدة من ناحية الذات، واختلاف من حيث تباين وتعدد الأسماء والصفات الإلهية، فالاختلاف عنده لا ينفي وحدة الهوية بل يقوم ويتجدد بها.

لقب الأمير بناصر الدين، وصلاح الدين الأيوبي في حنكته وفطنته، إذ تشير المصادر التاريخية بكونه دائم التفكير والتأمل، ماهر في أعماله" لاعب شطرنج ممتاز فهو يشهد لمتقنه بالعقل يرى الأمير أن الشطرنج مثال حكمي ووضع علمي يجلب به حسن الرأي ويزداد العقل"، "يلاحظ الظواهر الطبيعية بحواسه المجردة أو بمناظريه المقربة والمبكرة فهو الفنان الذي يترك الظاهر التماسا للباطن ويجاور عالم الشهادة للغوص في عالم الغيب."... [2]

مشروع الهوية التي يقترحه الأمير هو مشروع ديني يتجاوز إديولوجيا الأعراف، والإثنيات والقوميات يتخطى دونما الهوية التي تنطلق من الانتساب إلى مركزيات الجغرافيا أو إلى التاريخ، أو إلى اللغة. ترفض هويته المقترحة الحصر والتحديد في وطن أو في دولة، أو في جنس أو لسان، فهوية الأمير هي هوية صوفية مطلقة مرتبطة بالله، ولا يمكن القبض عليها أو تحديدها بصفة نهائية، لأنّها نسب

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص52.
[2]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأثرها في أدبه، ص(120 -121).

وإضافات وشبكات ومواقف من العلاقات المتحولة المرتحلة في صيرورة دائمة باتجاه هذا الواحد الحق المطلق؛ المتجلي في جميع الخلق والظاهر في جميع العقائد والملل والنحل والديانات.

يبدو تنظير الأمير وأفكاره مثالية وغارقة في التجريد والخيال. ويتعذر تطبيقها العملي في دنيا صراع المصالح الإرادات، لكن يكفي لرفع هذا النقد حينما نعلم أن الأمير قد عاش حقيقة هذه الأفكار وطبقها في حياته العملية واعتراف له بذلك حتى مخالفيه وأعدائه.

اعترف أعدائه بهويته الوطنية :" لم يكن من المستغرب أن يحبه شعبه ويحترمه أعداؤه من المسلمين والمسيحيين على حدّ السواء"...[1]

في جهة أخرى أوضح هويته الجماعية في شعره بقوله:

أنَا عرشٌ أنَا فرشُ وجَحِيمٌ أنَا خُلْدٌ

أنَا كمٌّ أنَا كَيْفٌ أنَا وجدُ أنَا فقدٌ

أنَا كونٌ ذاك كَوْنِي أنَا وَحْدِي أنَا فردٌ...[2]

تبرز هوية الأمير الجماعية عندما تكرر الضمير الجماعي"أنا" في أبياته عشرين مرة. إعلانا عاما ونسبته إلى كونه الذي أصبح مملكته؛ وذلك لتوليه مصير الشعب في قيادتهم نحو تقرير مصيرهم وتحقيق الهوية التي بدأ المستعمر إذابتها شيئا فشيئا.

بيّنت كل من مؤلفات الأمير عبد القادر فكره الرائد، وما كان العدوّ يضمر من حقد وكراهية لشخصيته؛ لأنها أفصحت بحق عن قيمة الرجل، فلجأ إلى سياسة الترغيب يكمن ذلك في عقد الاتفاقيات؛ قصد وضع خطة القضاء على هذا الخطر الذي هدد وجوده، فكان التخاذل والخيانة سببا في نفيه، وقد تطرقت إلى المكيدة التي دبرت له من أجل إبعاده ووقوعه في يد الاستعمار، والأمر الآخر

[1]: وهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر ، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة دط الجزائر،1996،ص74

[2]: محمد السيد محمد علي الوزير الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها على أدبه، ص123.

هو الأخطر؛ لأن ذلك اجتاز الأمير عبد القادر إلى قيمه الأساسية وهي العقيدة فكثر القيل والقال وتلاشت الحقيقة بفعل الآراء المختلفة وأسبابها أين اختلط الحابل بالنابل، وبفعل طول الزمان وانقضاء السنوات، تعثرت الآراء الحقيقية والتي تنصف الأمير عبد القادر.والأمر الذي نقصده هو العلاقة الملفقة بين الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية، وهو ضرب في مقتل.

إنّ المحرك معروف بما يقدم عليه خاصة إذا استهدف الدين، لأنّه صراع قديم قدم الإنسانية، وهو يؤدي إلى انتشار الفتنة بين الشعوب، ثم بعد ذلك النهاية؛ وهذا ما كانت ترمي إليه الجمعية الماسونية أو هو وجهها الحقيقي المكسو بالبراءة وحب الخير للإنسانية. لقد حاولت هذه الجمعية استمالة الأمير أثناء وجوده في السجن بالعطايا والتكريم بالأوسمة، وزيارته من قبل شخصيات مرموقة لها صلة بالماسونية عندما وجهت له رسالات شكر على حفظ دماء أهل دمشق المختلفة عقائدهم،والرسائل التي وجهت له تعبيرا عن امتنانها لأنه أسكت فتنة دمشق.

طعن المناوئون في شخصية الأمير السمحة بأدلة واهية. وأثارت زوبعة كبيرة بين مؤيد، ومعارض حول عظمة الرجل وصفاء عقيدته. درس هذه القضية علماء وباحثون من كل جوانبها، وتوصلوا إلى أنّ الأمير عبد القادر بعيد كل البعد عن مستوى الشبهات. فكل ما سقاه الباحثون من نصوص حول صلة الأمير عبد القادر بالماسونية تفتقد إلى الأدلة الدامغة وكل ذلك مجرد تخمينات أبداها باحثون هواة. وما قيل عن الأمير عبد القادر والماسونية محاولة من المحاولات التي تستهدف الإسلام " إنّ توحيد الأديان الذي تدعو إليه الماسونية مؤامرة على الأديان وفي مقدمتها الإسلام، ولا يعتقد أن الأمير عبد القادر يرضى بهذا المسخ الديني الذي يهدم كل أسس الإنسانية التي جاءت بها رسالات السماء، فمن غير المعقول تصديق الشبهات التي تذهب إلى تأكيد صلة الأمير عبد القادر بالماسونية، وهي صلة وهمية إفتراضية لا يسندها دليل ، وليس لها تعليل إلا الهذيان الذي يتخبط فيه بعض الباحثين"...[1]

[1]: محمد بوالروايح ، الجدل الفكري حول صلة الأمير عبد القادر بالماسونية، الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، مخبر الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية، العدد3 قسنطينة 2006، ص20.

ويضيف "عبد الوهاب المسيري ت 2008 صاحب الموسوعة الكبيرة التي استغرق في تأليفها ووضعها عدة عقود من الزمن استند فيها إلى كم هائل من المراجع والوثائق، وهو الخبير في الشؤون الصهيونية، لم يجد تفاصيل حول علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية، واكتفى بقوله أما عبد القادر الجزائري فلا توجد تفاصيل حول علاقته بالماسونية، وكل من تطرق إلى هذه القضية هم من الكتاب الهواة، لا دليل لهم على رأيهم"...[1]

الأمير عبد القادر ذو فكر متيقظ، احتك بالمشرق ـ زياراته ـ لينمي معارفه وأفكاره لمواجهة الضعف والتخاذل والاستعباد، وبالغرب بغية الحصول على وسائل الكفاح المسلح ليقاوم أحد أكبر قوى الحلف الأطلسي، وكل من يحاول استعباد الإنسان والقضاء على حريته، وذلك جعله هدف كل مؤامرة تزيف حقيقة كل مفكر إسلامي سعى بحق إلى الحفاظ على عالم إنساني وبناءه على أواصر الأخوة الدينية ومصدره الواحد.

3 ـ البناء الثقافي في دولة الأمير

أربك الاستعماري الحديث البلدان الإسلامية. والجزائر واحدة من هذه البلدان؛ إذ داهمها في الثلث الأول من القرن التاسع عشر وكان نتيجة انهيار الحكم التركي، فاندفعت الهمجية لمحو الحضارات، وإحباط الأرصدة النفسية في الحقول المدنية، والثقافية، والعمرانية، فكان الغزو والسيطرة.

مما مهد لانحطاط الدول الإسلامية سيرها في طريق الركود والتخاذل، والنكوص، والجمود وبذلك تموت ديناميكية الإبداع.

لعل الجزائر من الأقطار الإسلامية التي جعلتها ظروفها تحتفظ بشيء من الحمية، والبأس برجالها الأشراف الذين رفضوا الخضوع والانثناء، ورفعوا لواء الحرية، فمكنهم ذلك الإصرار بلوغ العدوّ والاشتباك معه بعناد بالرغم من التفاوت الكلي في العدّة والعدد؛ لأننا لو تساءلنا حول السبب في هذه المواجهة، لأدركنا تطور الوضع، و كثرة الأحداث الذي عرفتها هذه البقعة النيرة في مطلع القرن التاسع

[1]: إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، ص183.

عشر، ومن اعترافات ضباط عاشوا الفترة، ولازموا مراحل الاجتياح، سجلوا الكثير من المظاهر " عن انتشار التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني انتشارا طيبا حتى غطى المدينة والقرية والجبل"...[1]

" الثقافة كانت تعم المراكز والمد اشر، وأن الجزائريين كانوا على مستوى تعليمي عال، قد يفوق ما كانت عليه بعض بلاد الغرب حينئذ؛ بل وأن تعليمنا كان على مستوى من الحداثة، بحيث كان يشمل العلوم و ما إلى ذلك من المواد العقلية المهيأة للرقي الفكري"....[2]

قد أرسى الإسلام مبدأ التعليم؛ لأنّ حفظ القرآن الكريم هو عمدة التعليم؛ والشأن الديني يسمح بتعلم القراءة والكتابة، ومعرفة الفرائض والواجبات وتنظيم الدولة والحياة في كل الوظائف، حتّم على المسلم التعليم بالضرورة؛ من هنا كان الكُتّاب ركنا أساسيا في الحاضرة، وفي البادية المسلمة على السواء.فالتعلم والتفقه في الدين كان أمرا لازما ولا مناص منه، وحتى الأميّ يجد في المسجد فرضية الصلاة وفيه مجال لسماع الدروس والتعلم، ومعرفة الفرائض بما فيها من استيعاب حدّ كبير من الحساب التطبيقي، الذي يجعله يؤدي ما عليه من عُشُرٍ وزكاة ، وما إلى ذلك.

كان قولهم دائما اقرؤوا ما تيسر من القرآن، وتفقهوا في الدين شعارا عمليا، لا يكاد يخرج عن مبدأ إلزامية التعليم على المسلمين؛ "وبالجملة فإنّ وطننا طيب فيه العلم"...[3]

يتضح أن العلم عمّ مناطق كثيرة من الجزائر لأنّ أفرادها مسلمون. يقدسون ويعرفون قيمته في حياتهم. أثبت المؤرخون أن عدد المتعلمين كانت في تلك الفترة تفوق عددهم في فرنسا.

فالجزائر في عصر الأمير عبد القادر وما قبله بقليل تفيدنا من آثار بعض العلماء . لاسيما الرحالين . عن نوعية ومستوى المعرفة التي كان النّاس يتعاطونها، ولو اخترنا من هؤلاء مثلا شخصية أبي رأس الناصر عالم ابن معسكر تعدّت شهرته نطاق الجزائر ليُضْحي من مثقفي عصره على الخريطة

[1]: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص313
[2]:ينظر المرجع نفسه، ص(315- 316).
[3]: المرجع نفسه، ص317.

الإسلامية، لما قام به من سياحة وتجوال علمي في كثير من البلاد العربية فسنجد كتاباته عن تلك الفترة تفيدنا بما يزكي الكبرياء.

تكمن محددات البيئة الثقافية التي تحرك في نطاقها الأمير:

كانت معسكر معقل الأمير مقرا للبايلك الغربي لندرك الأهمية الحيوية التي قدرتها لها الإدارة التركية يومئذ، كما أن صلات معسكر مع المناطق الوطنية لاسيما المحيطة بها قد ظلت حيّة ونشطة على الدوام تقريبا.

فمعسكر منطقة زناتة تزاوجت دماء أهلها مع سلالات المتوسطي والصحراوي المتعاقبة واستقرار قبائل عربية هلالية ، وقد هيأت الأحداث، والتقلبات السياسية لانفتاح وخلقت توازنا داخليا وخارجيا فأنشأت كيانات سياسية، ولعل الهلالية التي كانت لها حركية كبيرة داخل الجزائر وخارجها ساعدت على إيقاع التطورات التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، ومن هنا شبّ بنو معسكر على وازع الانتشار والسياحة وميّزهم سجايا النبل والفروسية. إذ لا غرابة أن يكون الحصان والصيد والشعر وقرى الضيف من أهم مآثرهم ، ولا عجب أن نجد تلك السجايا تسم شخصية الأمير بعمق و تحدد منازعه الروحية والوجدانية، والمدنية.

كما تميزت البيئة بامتداد ذاتها البدوية، ورواج فنون ، وأذواق، ومواجد، ومهارات جمالية حجازية.ونلفت الانتباه إلى خصية وجدانية واحدة استطاعت البيئة لاسيما معسكر وبلعباس ونحوهما أن ترثها من الجزيرة العربية عن طريق تنقل فضائل من قبيل بني عامر و بني هلال من المشرق إلى بلاد المغرب نقصد بها الشعر العذري؛ وهنا نفتح قوس ونتحدث عن تنقل هذه الفضائل، والتمرس التي تميزت بها القبائل في معسكر وانفردت بها" تلك البيئة بامتداداتها البدوية والحضرية مجالا لبقاء وحياة ألوان من التمرس المعرفي العربي، ولرواج فنون وأذواق، ومواجد، ومهارات جمالية حجازية تنقلت بالتوارث، وتعاطها الإنسان في الأعراف،والتقاليد، والمروي والأشعار..."... [1]

[1]: عشراتي سليمان،الأمير عبد القادر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2 وهران، 2002،ص317

ولد الأمير عبد القادر في بيئة انفرد بالشعر الوجداني العذري. نلمسه بتفحصنا لشعره في معظم قصائده خاصة التي وجهها لزوجته، وأبنائه وهو بالمنفى، وبوجود هذه الخصية فهذا يعني أن الوسط العسكري عرف حياة ثقافية في ميادين مختلفة فاعلة للوسط السكاني.

لاشك في كون الأمير قد ترعرع في كنف العلم، مما تلقاه من أسرته الشريفة، وما أتاحه له الجوّ الثقافي والعلمي الذي كان يسود الجهة، بالإضافة إلى جولاته الطويلة في بلاد المشرق؛ فقد جعلته يغدو شخصية ثقافية، وقيادية؛ إذ كان تكوينه المتعدد واضطلاعه على مجريات العالم الإسلامي يؤهله إلى أن يكون معلما فكريا، وفاعلية ثقافية، وسعها أن تحقق انجازات بوأتها لأن تكون فعلا شخصية مرجعية رائدة؛ إذ أن عمله القيادي لم يكن من العدم، خاصة وهو البارز في تلك الفترة التي تميزت بتحول حضاري الذي لم يعد محصورا بين القبائل؛ بل بات يحدق بالإنسان المسلم في عقر داره، ويهدد صعيده المعرفي، إذن لا بد من التحدي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي، إثر مهاجمته الشرف وتهديد الوجود العربي المسلم.

اتخذ الأمير إستراتيجية ضمنت له النجاح على أصعدة كثيرة، راهنت على انجازات كبرى، بحيث تكفل له من جهة جمع القبائل حول إدارة واحدة، وتضمن الحفاظ على جهدها المستمر بصفة متجددة وصهر الكيان الجزائري، واقتفاء أثر التعليم بأنفسهم، لمواجهة المدّ الاستعماري " كان على الدولة الوطنية الوليدة وإدارتها الناشئة أن تراعي في أهدافها اتجاهين: تخلق أداة هيكلية تحافظ على حيوية وفتوة العراك والجهاد، تبذل الجهد الكامل في نسج لحمة واحدة والمجتمع الجديدين"... [1]، ثم يضيف الكاتب حول تعليم الفئة المجاهدة التي ساهمت في العملية البنائية بان تعلم نفسها بنفسها لبلوغ المطمح ترغيبا وتكييفا مع ثقافة المواجهة من خلال بسط القيم التنظيمية والانضباطية :"أول ثانوية وطنية أنشأت بها على يد الأمير ، ومكتبة بحق هي المكتبة الوطنية فضلا عن دور العبادة والحمامات والحدائق ومسارح الخيل"....[2]

[1]: عشراتي سليمان،الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص321.
[2]: المرجع نفسه، ص323

أراد الأمير أن يجمع شمل القبائل في كيان واحد، ويدفع بجسور المعرفة والثقافة في ميداني السياسة والجهاد، فضلا عن التكوين الديني، ويمحق العصبية التي كانت تفرق أبناء الوطن الواحد، وينشد استزراع القيم النهضوية التي ترمي إلى الحفاظ على الوطن، فكان النسق التجهيزي التعميري ببناء الشريط من المدن لاستقطاب البدو وهنا طرح إشكال الأرض وقيمتها في وسط أبنائها، مما حقق البيعة للأمير لقيادتهم والدفاع عن هذا الوطن.

استطاع الأمير أن يرسم خطوط دولته من تحقيق الاتحاد بين قبائل البلد الواحد بإستراتيجية راشدة استنبتت جذورها من التاريخ الإسلامي كيف لا وهو من النسب الشريف لنبيّ الله محمد صلوات الله عليه وتسليمه، وإتباعه الأصول الدينية في بناء دولته وإرساء أسس هياكلها سواء في تحقيق التعاون والعدل والأمان بين أفراد مجتمعه، وإتباع القوانين الدينية في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية وحتى في الفصل بين المتخاصمين، فمسؤوليته كانت شاملة وعلى يقظة كبيرة.

المبحث الثاني : الأمير ومشروع بناء الدولة الوطنية.

تمهيد:إشكالية البناء

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[1]

هذه الآية الكريمة تبين بوضوح مهمة الإنسان في الأرض، ومسؤوليته اتجاه الوطن الذي يعيش فيه. وبالنظر إلى أعمال المستعمر ليتحكم في الجزائريين أرضا وشعبا، واللذان تعرض للإبادة،كان حتما أن تتعطل كل الأنشطة من أجل حشد القوة الكافية لتلبية داعي الجهاد، وذلك ما جعل الأولوية

[1]: القرآن الكريم، برواية حفص، سورة البقرة، الآية 30.

للعمل الحربي، ومهما كانت الدفاعية في المقام الأول إلا أنها لا تخلو من جانب ثقافي ؛ فقد تم توسيع دائرة التوعية بقيمة الجهاد وضرورة ليشمل بقاع الوطن وهو وجه ثقافي حيوي فاعل.

تمكنت النخبة التي هيأها الأمير من أن تباشر تعلم أبجدية التمدن، والحداثة في مضامين السياسة، والقيادة؛ التي أضحت تتطلبها حياة الكفاح ضمن نظم تأسيسية لكيان الدولة الوطنية.

فالنموذج القيادي للأمير اختلف عن ما كان موجودا، ولا يزال ماثلا في الأذهان، وفي الضمير الأهلي؛ إذ هو أنموذج منفر للإدارة الفالسة والصلات الاجتماعية الجهوية المفككة التي كانت تعمل بها الإدارة التركية، و بالتالي الدولة البائدة أعطت للأمير بعدا آخر للدولة الوطنية الوليدة، والتي راع فيها مرجعين عمل والده ومجهوده الحربي في قيادته للمقاومة، قوة الطريقة القادرية "لقد انبثق المشروع الأميري من مرجعيتين تحملان من القوة العسكرية والرمزية ما أهله ليتموقع كشخصية سياسية فكرية حاملة للواء الجهاد..." ويضيف الكاتب:"المرجعية الأولى انبثقت من مجهوده الحربي الشخصي الذي ساهم فيه خلال الفترة الأولى للمقاومة الجزائرية بقيادة أبيه محي الدين والثانية أخذها وجوبا من قوة الطريقة القادرية ذات الصيت الواسع في الأوساط الشعبية عموما"....[1]

حسّن الأمير عبد القادر ما تركه الأتراك، ببناء نظام سياسي يتكفل بتسيير الشأن العام وإدارته الناشئة، وأن تراعي في أهدافه التجديدية معالم اجتماع جزائري مندمج جديد بعيدا عن منطلق التفكك، وذلك وفق مقصدين اثنين:إدارة بصورة جديدة، ومجتمع سيد متكافل فيما بين أفراده.

بهذه الثنائية البنائية كان البناء المدني يتم متدرجا شاقا وعسيرا " فعمل لتوحيد الصفوف ولحم ما تصدع"...[2]، وكانت النخبة تجد الإطار الحيوي لإبراز كفاءاتها وتفتيق عبقريتها على نطاق عملي ملح في مواجهة ما تركه الأتراك، وما سعت إليه الإدارة الاستعمارية" صرف الأمير همته إلى إنشاء دولة قوية متحدة لها كيانها، ودستورها، ونظامها، وعمل على إصلاح الأحوال وتنظيم الجند "...[3]

[1]: محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات، دار ابن النديم للنشر والتوزيع،ط1 الجزائر، 2009،ص175

[2]: عمر بن قينة، رحالات ورحالون، دار الأمة، ط2، الجزائر،2009، ص16.

[3]: فؤاد صالح السيد، أمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص53.

غاية الأمير تحرير الذهنية للفرد، وتطوير ثقافته، وتزويد الفضاء الأهلي؛ بأسباب وحوافز تدفع به نحو التمدن، للخروج من عقلية البنية القبلية إلى عقلية البنية المدنية، وبناء للفضاء الحضاري الأكثر انفتاحا على العصر لأجل البذل و القتال لصون العشيرة وتحقيق الغلبة على الكفار، فكانت عملية استزراع القيم النهضوية العصرية ترمي إلى توسيع ثقافة الوطن و المواطنة.

تظهر قيمة الأرض والتمسك بها، ولم ترق في ثقافة السلف إلى مستوى قيمة العقيدة وحفظ الدين. فالعقيدة ظلت في خلد السلف مكونا وجوديا حاسما ورأس الأمر، والارتكاز الذي لا يدانيه ارتكاز وقيمة الوطن والأرض لا يقايض فيها مسلم؛ لأن هذه البقعة تشكل هوية الجزائري التي طالما دافع عنها في العصور الغابرة، وهي بالنسبة للاستعمار مرتع لنوازعه، وأحد العناصر المكونة للحضارة.

لم يفصل الأمير عبد القادر بين القطاعين العسكري والمدني، ولا بين المراتب والاعتبارات فالفعل السياسي هو نفسه فعل ثقافي واجتماعي وتنظيمي، والعمل العسكري من صميم الخدمة الثقافية ووجه من وجوه الخدمة العامة التي تنهض بها الأمّة وفي طليعتها قياديتها الجهادية.

البعد القدسي الذي أخذته في الضمائر قيمة من القيم، كالشهادة في سبيل الله لنعرف مدى التجدد الذي ينفذ إلى الذهنية المسلمة، والآفات التي تنفتح أمامها. كان الجزائريون يحرصون على بناء الدولة أساسها الحقّ، والشرعة، والعدالة، فأدى ذلك إلى التوسع في القيم و إدراك الآفات المدنية والسياسية. وبذلك كان على هذا الإنسان أن يواجه الكافر وأن ينازله على صعيد احتلالي صليبي كي يحصل على الوعي الحضاري الجديد، ويأخذ أفعاله الثقافية وحاجته الدنيوية ارتقاء مثمرا، ويكفي التطرق إلى الكيفية التي كانت تساس بها القوات المسلحة في دولة الأمير.

حاول الأمير ترسيخ مبدأ العدالة التي هي أساس الملك والضامن الفعلي والمعنوي لكل تلاحم وكل مشاركة؛ بإخضاع النّاس لمعايير ومرجعيات نفسها. إنّما هي حال تريد أن تجعل النّاس على قدم المساواة؛ لأن آليات الجهاد في دولة الأمير هي آليات ثقافية بدرجة أولى وذلك بسبب وظيفتها

التنظيمية والمناسبة. فالثقافة هي تعليم وتنظيم، ونشر للقيم وارتقاء إيجابي بالنظرة إلى الذات وإلى الآخر واكتساب القدرة على الخلق والمواجهة ليس في الميدان الحربي فقط، ولكن في المجال المدني بالخصوص.

فالبرنامج الذي شرع الأمير في تنفيذه كان وجه متقدما للثقافة الجديدة الذي أفرزتها الجهادية في البيئة الجزائرية. وكذا بناء جسور التقدم والارتقاء المدني، يكفي أن نطلع على مشروعه التأسيسي الذي شرع فيه مباشرة بعد مبايعته" تتضافر عناصر النهضة فنرى عبد القادر وقد جمع بين عدة وظائف ومسؤوليات يمارس وجوها متكاملة للإصلاح حسبما يقتضيه المقام، ويبدل ما استطاع في إرادة الإصلاح على نحو ما ينتهجه...فيقيم المصانع، وأفران الصلب، وينظم الاقتصاد، ويفكر في إصلاح نظام التعليم، وإرسال البعثات لدراسة العلوم الحديثة، ويرسل الوفود للدول العربية.."...[1]

عرفت البلاد تحولا جذريا تأخذ فيه الأمة بأسباب حياتية. كان مجال التصنيع التسليح فضلا عن تنشيط ميادين المالية، والاتجار والدبلوماسية من بين منجزاتها الواعدة. ولكل ذلك جعل المرحلة بمثابة المقدرة في مضمار شق طريق نحو الحداثة، والحداثة، بفضل الثقافة الجهادية.

وشرع في نشر قيم التسامي والانسجام بالتكافل والتضامن، وترجيح قيم الصلاح والبذل والتضحية بالنفس من أجل سعادة الدارين، وكما تعرّض الدرس الديني. والتي تشير إليه الكتب التاريخية إلى أنه كان يلقي دروسا على الطلبة ـ إلى الابتعاد عن الآفات والاختلال، فهو كان يتمتع بالثقة البيانية " وفي الجانب الأدبي المحض، كان شعر عبد القادر حليف خطابته، لأنهما أليق الفنون الأدبية بالفروسية"...وكثيرا ما تسير وصاياه الحربية والإدارية مع الشعر جنبا إلى جنب تدعم العزم داعما وتذكر بما ينفع"...[2]

لقد كانت نظم التسيير بحدّ ذاتها مادة تكوينية، وتثقيفية استخدمتها الدولة الفتية من أجل تقوية الحسّ المدني بين الأهالي فالمراسم المكتوبة و النداءات العمومية عبر الحارات و الأسواق. والرسائل الخطية المحمولة إلى الجهات وزيارات التفقد و المناسبات المعظمة، والأحداث السعيدة والمفرحة، وسائر

[1]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها في أدبه، ص41.
[2]: المرجع نفسه، ص36.

الوقائع كانت تلعب دورا مهما يوسع من الأفق الثقافي الحيوي الذي فتحه الجهاد ضد الكافر أمام الجزائريين، خاصة ونحن نتحدث عن الأمير عبد القادر الذي قاد شعبا، وحركة ثقافية في جميع المستويات من القديم إلى الحديث، فقد كان فارس الإيمان والعلم والعمل.

انتشرت الحركة الثقافية في عهد الأمير، في دولته وفي ظرف زمني غير طويل انتشار منظومة التربية والتعليم" واختار الأمير لمن يتولى مهمة التربية والتعليم رجالا أكفاء مشهورين بتبحرهم في مختلف العلوم لينشروا رايته"... [1]، وتولد السلوك المنضبط بين المجاهدين باهتمام الأمير لحياة الجند بالسهر عليهم شخصيا في تدريبهم وتنظيمهم وقد كلف أحدهم بكتابة رسالة جامعة لكل قوانين الجند من نظام ولباس ورتب وأسماء وعدة وعتاد، واهتم بالقضاء إذ أفرد للقضاء العسكري قاضيا وللمدني قاضيا أخر وكل ذلك وفق الشريعة الإسلامية. كما اهتم الأمير بالعلاقات الدولية وما لها من تأثير إذ تميز بالتمرس في معاملاته الخارجية وذلك طلبا للمساعدة والتأييد من جهة ومن جهة أخرى شارك العالم الجانب الاقتصادي بالاهتمام بالتجارة الخارجية فيما يخص الحبوب والأصواف بموجب المعاهدات التي أبرمها مع الفرنسيين؛ فهو قد سجل عملية الاستيراد والتوريد بصك النقود الخاصة به" أنشأ الأمير دارا لصك النقود وأطلق على عملته اسم المحمدية النصفية، وكتب على المحمدية الآية القرآنية(إِنَّ الدِينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ)، وكتب على النصفية (حسبنا الله نعم الوكيل)"... [2] توسعت مساحة الثقافة الجهادية في التعامل مع الكافر، وشكل ذلك تطورا في مضمار التعامل، والتعرّف على ثقافة الآخر فاستطاع الأمير أن ينتزع منه الاعتراف بالكيان الجزائري لأول دولة جزائرية استمرت سنين على يد الأمير عبد القادر، ولم تقد على هزمه إلا أن الخيانة هزمته.

1. الزمالة

[1]: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، باتنة،2000، ص29

[2]: المرجع نفسه، ص38

لما رأى أن العدوّ قد استولى على المدن والقلاع ظهر له أن يتخذ له "عاصمة كبيرة رحالة"..[1]،"أنشأ الأمير عاصمة متنقلة..بلغ سكانها مائتي ألف نسمة.."[2]

استطاع الأمير أن يرسم المنهج الفريد لدولته، بانطلاقة معقلنة تخدم نشاطه نحو التقدم بعبارة الشاعر العربي القائل:" بأنه لا يجب على المرء أن يمج ما هو معاصر وأن يكتفي بما هو عتيق فعليه أن يدرك أن هذا الماضي كان جديدا وأن هذا الجديد سيصبح ماضيا"... وقال الأمير في مفهوم التقدم: "إنه يعتقد بأن واجب الإنسان هو تطوير ذاته والتطلع دائما إلى اكتمالها وجمالها، وهذا الاعتقاد ينير حياته كي يصبح عقيدة حماسية وفاعلة في مصير البشرية"...[3]

اعتمد الأمير في مسيرته على موروث أجداده وفلسفة عيشهم. على الرحلة والانتقال في ربوع بلاده أو إمارته، ليكون خصما صعب المنال بالنظر إلى تضاريس الجزائر وطبيعة الغازي لها، فتلك تشكل أوّل نقاط ضعفه.فهو قد أنشأ عاصمته المتنقلة من مكان إلى مكان حاملا معه كل تراثه وأركان دولته وبالغا نشاطه السياسي بتفقد أحوال القبائل، ونشر الأمن، والتلاحم بتوحيد القوى الوطنية والقضاء على المناوئين تارة ومواجهة العدوّ ورسم خطوط دولته، وانتشال جزائر جديدة من الفوضى تارة أخرى.

تبنى الأمير عبارة مالبرانش " إنّ للإنسان دائما حركة تجعله يذهب بعيدا"... [4] وتجسدت هذه العبارة في تصور الأمير بإلزامية الجهد والقوة تدعو إليها الفلسفة المعاصرة لبعث الحضارة. فالفكرة تكونت عند الأمير من فكرة دينية " يتفق في الحقيقة مع ظهور فكرة دينية وهي بمثابة المصدر البيداغوجي الأساسي للطاقة الروحية في الإنسان والمفضية للفعالية المجتمعية"... [5]؛ والتي مثلت الطاقة العلمية والصوفية، والثقافية، والأخلاقية عند "ناصر الدين"، فقد لعبت الزمالة التي كانت مركبة الأمير بما تحمله من ذخيرة الدور المهم في تنشيط الثقافة الوطنية وفي لحم أوصالها وتهيئ المجال لميلاد البواكير

[1]: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1،ص480
[2]: حافظ الشيرازي، الموسوعة العربية، ، المجلد السابع، الهيئة العليا للجمهورية السورية، ط1، سوريا 2003،ص588.
[3]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص32-33.
[4]: المرجع نفسه، ص32
[5]: موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، د،م، عنابة، 2006 ص137.

الجمالية والذوقية والجماعية المشتركة، تظم النحاسين، والنجارين، والحدادين، والخبازين لندرك هدى الحيوية الثقافية؛ التي استطاع الجهاد أن يبعثها في ذلك الوسط الذي كان يمارس دورا تنويريا يشع على باقي الجهات الوطنية." كانت تجبي إليها الذخائر وكل ما يلزم الإنسان. وتقصد بالتجارة في صنوف البضائع وما تدعو إليه من الحرف والصنائع...فقد كانت الزمالة والدوائر ومتعلقاتها على أتمّ ما يكون من الانتظام والالتئام المدني"...[1]

لقد كانت الزمالة الرحم، الذي ولد فيه النموذج الثقافي والفنّي، والجمالي الوطني للجزائر المعاصرة، وتميزت بخصوصية ذلك النموذج، والأمير كان مهتما بالأنشطة الثقافية انطلاقا من تكوينه كرجل زاوية كشاعر، كسلطان يحرص على أن يضفي على هيئات ملكه ودوائر دولته كل صبغة تعزز من قيمتها ومن مكانتها بين الأهالي ومن خلال إحياء المواسم و المناسبات الدينية كان يندرج ضمن تفعيل الطاقة الثقافية لجزء من عملية تسيير مدني متكامل.

كانت الزمالة اندماجا ثقافيا، مدت جسورا في كل الميادين كالإنساني. موسيقي الفرقة الأميرية من معلمين أتراك. وكان الأمير يلازم الدرس العمومي والمحاضرة الموجهة ألقاها على الجنود في حال المعركة والتأهب.

كان الأمير يلازم قراءة الفكر والتاريخ، والصحيحين زيادة على القيمة التثقيفية الشرعية الأساسية، ويلازم نشاط تعليم وتثقيف الجند، فلما فتح المدية قضى في مسجدها مدة وهو يدرّس الفقه والتفسير والشعر، فقد درس كتاب "أم البراهين" للسنوسي.

2 . في منفاه

تفرغ سنوات نفيه للتدريس والكتابة، كما اتخذوه مؤذنا كان صوته يرتفع لدى كل صلاة، وكان راهب أمبواز يضرب للنّاس المثل بالأمير و جماعته، وكيف كانوا يحرصون على أداء صلواتهم بصورة منتظمة ودائمة.

[1]: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ص480.

تحسس مظاهر ضعف وقوة العالمين العربي والغربي غداة الاستعمار للجزائر.

من ثنايا الرسائل التي كتبت من قبل الأمير لأجل استمداد القوة والتسلح من الغرب وكذا تحالف الأسبان مع الجزائر، فالأمير قد راسل الملكة إيزابيل الثانية وقادة عسكريين أسبان، وحكام مدينة مليلية يبرز ذلك قيمة العمل السياسي والبروتوكولي الذي برع فيه الأمير" الفعل السياسي والدبلوماسي هو مهمة تعلم أبجدية التعامل مع الآخر والتمرس بعقلية وثقافة وفهم المكونات..." [1]

كان الأمير القائد والدبلوماسي والمفاوض، والقائم بمهام التجارة والتجهيز الحربي. المتصدي لمواجهة كل طارئ، وشهدت فرنسا فوران التطور السياسي، والديمقراطي، والعسكري، والعلمي والتوسعي، في حين الجزائر لم تصل إلى التطور لأنّها وقعت في فك الاستعمار قد جعلها تغدو لقمة صائغة. كانت مصر تتماثل إلى يقظة مشجعة وكانت الأفكار وتطوير الصحة والفلاحة ومفاهيم الديمقراطية والتعليم العام وتعليم المرأة انتهت إلى المجتمع، وكانت دفعات الطلبة قد عادت مثل شخصية الطهطاوي خير دليل على روح التجديد، وشهدت تونس ظهور مشروع إصلاحي جسدته أفكار خير الدين التونسي.

توسعت الحركات السياسية والإيديولوجية بمختلف مشاربها المعاصرة وصنعت شبكات تواصلها وهيأت الظروف لتنفيذ أخطر الخطط في مجال السياسة والإعلام و المال مما يدل على مبادئ عنصرية. فالوضع بين ضفتي المتوسط كانت متفاوتا على صعيد الحضارة و التأهل، ورزنامة المشاريع المستقبلية؛ ففي الجانب المقابل تعصف بقيم ثقافة القرون الوسطى الكنسي، أما حركية واقعنا فكان مرتبطا بالأفراد حيث حمل الأفغاني حملة فارس استبسل ثم مضى ثم ترك كوكبة من التلاميذ و الأتباع كمحمد عبده وابن باديس.

كانت أوروبا تعيش الوازع الإمبراطوري التوسعي وهو الذي كان يحكم مسارها؛ وشخصية بونابرت علامة بارزة لذلك الظهور الغربي الجامح في مرحلة صِدام الحضارات إلى إحياء ماضي روما

[1]: عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر، قراءة في فرادة الريادة والرمز، دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران 2002، ص135.

والسيطرة على البحار وضفافها، ومن جهتنا لا نشك أن الأمير كان رمزا لذلك التحدي الأعزل الذي صمد في وجه العدوان الاجتياحي، وتكيّف معه وسجل بإزائه ما أمكن أن يسجله من صفحات القوة والضعف. ولقد لمسنا في مراسلات الأمير كثيرا من العلامات والقيم والعوامل الفارقة التي كانت تسند الجانبين وتشكل خلفيتهما في مقابلتهما المتصادمة.

3 ـ الأمير واعتراف الغرب بالسبق والامتياز له

كما هو معروف فالرسائل فنّ نثري قديم، ازدهر منذ إنشاء المكاتبات الديوانية، واتسعت رقعته في الخلافة الإسلامية، من الخلفاء إلى الأمراء والعكس، كما شهدت انتشارا كبيرا أثناء الفتوحات الإسلامية من نقل للأخبار، وطلب للإمدادات وغيرها من أمور الحرب والسلم، والأمير عبد القادر غير بعيد عن هذا الأسلوب في رسم خطواته نحو السلم أو الحرب؛ سواء بالنسبة لرسائله إلى القادة الفرنسيين؛ التي اتسمت بالطابع السياسي،أو تلك التي كانت موجهة إلى الملوك والوزراء، أين يظهر التأثر بالدين، ونلمس حنكة الأمير في خطها" فالأمير لا يتعلق بالحرب رغم هذا الوصف، وقد عبر عن ذلك في مناسبات كثيرة لكنه حين يضطر لها لا يخاف أو يضعف لأنه يطالب بحق بلاده في الحرية والكرامة، وهذه سمة مشتركة في كافة رسائله للقواد الفرنسيين، أنه يرغب في السلم ولكنه لا يرهب قوة الأعداء"...[1]

رسائل الأمير إلى الملوك رسالة إلى الملكة الأسبانية: نجد الأمير يعمل على الارتفاع بالخطاب العاطفي والشعري إلى مستوى التوظيف الكفاحي سياسيا، ودبلوماسيا فالكتابة السياسية، والتدوين الدبلوماسي المعاصر شق الأمير غماره وشمل بجهده ذاك غرضي المنثور والمنظوم؛ لذا لم يكن بدعا أن نجد جذور القصيدة النضالية العربية المعاصرة تولدت على لسان الأمير في خضم تلك المعركة بغض النظر عن الحالة التي ظهرت فيها من حيث الفنية؛ إذ أن الولادة كانت بدافع الضرورة القصوى.

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص50.

و الأمير قد اقتحم مجال الكتابة التعاملية وشقّ صعيد المخاطبة السياسية وفتح باب التواصل مع الآخر وهذا بتجريب القول في حقل البلاغة و الدبلوماسية.

اصطناع الأمير لمشاعر التودد والانقياد، إنما كان يعبر عن الحقيقة عن وضعية إستراتيجية وجّه نفسه فيها، فهو المنفي المهدد بالمطاردة التي تواصلت صفوفه وتحالفت ضده القوى الخارجية ومصنّفا إرهابيا فلا غرابة من أجل ذلك كله أن يلبس خطابه الخصائص التضرعية، الرجاء، الاستغاثة بل إنّ المنحنى التصوفي ليظهر هنا أيضا في لحمة الخطاب، المادة الشعورية التي راوحت عليها ثقافة المسلمين طيلة قرون الانحطاط.

عن نماذج الرسائل :

- ← إلى إيزابيل الأسبانية.
- ← إلى الملكة الأسبانية.
- ← رسالة إلى باشيكيو وزير الخارجية الأسباني.
- ← إلى السفير الأسباني بباريس.
- ← إلى الحاكم العسكري بمليلية.
- ← رسالة إلى القائد بيجو أثناء المفاوضات...[1]

المبحث الثالث: الأمير في عالم القيم:

إنّ منطلقات الأمير ومرجعياته تتمثل في الحديث عن تراثه، فصورة القيم والإنسان كانت ذات بُعد فلسفي؛ لأنه كان من أنصار أنّ الإنسان له الحق في الحياة من دون مصادرته بعلة الفروق الدينية والاجتماعية والسياسية. والمتميز في شخص الأمير عبد القادر أنّه جمع بين السيف و القرطاس وبين السياسة الإدارية وبين الوطنية والملة المحمدية؛ بين الباطن والظاهر وبين الشريعة المحمدية والحقوق الإنسانية، حيث يشير بعض الكُتّاب إلى طبيعة هذه الشخصيات بقوله" لكن اسمهم وسلطتهم الفكرية

[1]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق،ص46 .

قد بقيا على مرّ الزمن بين قبائل المغرب الأوسط يرثهما الابن عن أبيه، وهم عادة أغنياء من الأعيان والطبقة الراقية كرماء، فضلاء، أتقياء على معرفة حيّدة بالتعاليم الإسلامية، أدوا فريضة الحج، لهم مكانتهم في مجالس الشيوخ الكبار..."[1]

1- القيمة الدينية.

تشبع الأمير بمبادئ الشريعة الإسلامية؛ فقد حفظ القرآن في سن مبكر بالإضافة إلى تعمقه في الأصول الشرعية، فوالده كان قائما على الزاوية القادرية؛ بادئا بتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وقد كان للزاوية غير التعليم إتباع منهج موروث في أدوار مختلفة تخص الأفراد في قضاء حوائجهم"أقام زاويته على التطبيق العلمي للمنهج الصوفي، وقد كان للزاوية غير التعليم منهج موروث لقضاء الحوائج وتحقيق الشكاوي وكف الظالمين، والانتصاف للمظلومين ونحو ذلك مما يشغل أبوابا أو يستقل ببعض كتب القوم وكان يسعى في المصالح عند الحكام"...[2]

نشأته في أسرة محافظة على القيم الإسلامية، تحب العلم وتبجله، أسرة عريقة من حيث النسب الشريف، وذات المكانة المرموقة في الوسط الجزائري والمشرقي، كما اضطلع على جوانب الثقافة العربية من بُعدها الروحي والصوفي؛ فهو قد سافر مع والده للحج وزار عدة دول مشرقية؛ إذ زادت معرفته بالأمور الدينية واللغوية والسياسية، وكذا المنطلقات الفكرية؛ فمعارفه وقناعاته التي اكتسبها بالقراءة العميقة لأمهات الكتب بدافع معرفة حقيقة الله و ماهية الإنسان، وموضوع الوجد والوجود ـ كتب؛ الإحياء لأبي حامد الغزالي، الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض والفتوحات المكية لابن عربي ـ فتكاملت قيمه وكان خير خلف لخير سلف. اتبع الأمير عبد القادر عقيدة الإسلام، فالقرآن مصدر أصول كل العلوم، والحديث النبوي على طريقة النبي لتفهيم وإعادة الكلام حتى يتم الفهم" إن الصفة الطاغية على شخصية عبد القادر هي العقيدة"...[3]

[1]: دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2003، ص21.
[2]: محمد السيد محمد علي الوزير ، مير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، ص 18.
[3]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر ،ص63.

التزم الأمير بالأحكام الشرعية، وسار على خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في إصلاح مجتمعه. وإعطاء كل ذي حق حقه.

تظهر القيمة الدينية في معاملة الأسرى بالنظر إلى طريقة تعامل الأمير لهم، فهو كان يحبذ دخولهم الإسلام بدل محاربهم له، لكن ذلك لا يستدعي الإلزام. فالأمير قد احترم قناعتهم " ذات مرة كان أسير يعرب أمامه عن إرادته البقاء على دين آبائه، شاطره الأمير الرأي بحفاوة مضيفا: إني لأمجد الشجاعة في العقيدة أكثر من الشجاعة في الحرب"...وفي مناسبة أخرى مثُل أمامه جنديان أعربا عن نيتهما في الدخول إلى الإسلام.فسّر الأمير للأمر ولكنه أصر على معرفة دواعيهما مبينا لهما ما سيترتب عن قرارهما هذا: إذا كان قراركما هذا عن حسن نية ... وإن كان سببه الخوف المبالغ فيه فإن الأمر غير ذلك ولا تفعلاه، ولا تخشيا على أنفسكما فلن يمسكما أحد بسوء فأنتما مسيحيان وستظلان كذلك"...[1]

ينظر الأمير عبد القادر بعين الرضا إلى دخول المسيحيين إلى الإسلام، لكن يجب أن يكون ذلك عن قناعة وتصميم ورضا، أما إذا كان ناتجا عن الخوف والتهديد؛ خاصة من كثرة الأقاويل حول غلظة المسلمين وإلصاق بهم أكذوبة العنف والتعصب، فذلك يلغي إسلامهما. و تظهر المعاملة الحسنة التي يعامل الأمير بها الأسرى، وذلك ينم عن إسلامه الحقيقي.

تحدثت سابقا عن تطبيق المنهج الصوفي لدى الأمير عبد القادر، الذي أخذه عن والده باعتباره المعلم الأول، وقبل التطرق لمعنى التصوف وطريقته في فهمه وتطبيق له نشير إلى بعض تعريفات التصوف من قبل بعض العلماء قد ورد لدى ابن خلدون في مقدمته:" أما إذا كان ذلك القدر تدريجيا رياضة بإقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة"...[2]

قال الحريري: "التصوف الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني"، ويقول القصاب:" هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"...[3]

[1]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص101.
[2]: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق المستشرق كاترمير عن طبعة باريس ،1888 ص39.
[3]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوف وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985،ص115.

يظهر من ذلك يظهر ابن خلدون أن التصوف رياضة النفس بتعويدها على أمر معين تدريجيا مثل نظام الطعام على حسب الحاجة، أما الحريري فالتصوف عنده هو إتباع الأخلاق التي مصدرها السنة وترك كل الأخلاق المتردية،والقصاب يربط الأخلاق الكريمة بالرجل الكريم بين أناس كرماء.

والآن نضطلع على رأي الأمير في فهمه للتصوف بقوله:"جهاد النفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا لشيء آخر من غير سبيل الله".... ويضيف بقوله:"أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم حاضرين مع الله تعالى"...[1]

يتبيّن من قول الأمير أن التصوف هو إخضاع النفس لأحكام الله في دواعيه ونواهيه، وبلوغ الإنسان مكانة يرضى الله عنها، وسيره في كل أقواله، وأفعاله وفق شريعة الله ، وذلك في سبيل الله.

ربط الأمير بين التصوف والعمل، وذلك في إطار المسؤولية التي أسديت إليه. لقب بالطاهر وفارس الإيمان لما وضعه لنفسه من نظام كخلوة الدراسة،، والتطهر بالصلاة امتثالا لإرادة الله وفي سبيله، وقسوته على نفسه في الطعام باعتبار الطعام القليل يؤدي إلى صحة أفضل، وأن الشراهة مخالف للشراهة" لم يكن يرغب في أكثر من عصيدة من الشعير أو القمح وشيء من الحليب وبعض التمر فالشراهة في نظره أمر مخالف للآداب"...[2]

اقتفى الأمير خطى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة في طعامهم، فهو يأكل لحاجته متصفا بالقناعة وبساطة حتى في الملابس، بالرغم أنه من أثرياء المنطقة وفي مقدوره التمتع بممتلكاته لكن همه في ذلك أن يكون منارة ترشد الشعب، فلا بد أن يكون أفضل الناس، والقدوة لهم في أحواه وتصرفاته.

لا تشكل هذه الآراء إلا نقطة في بحر القيم الدينية؛ التي كان الأمير يحملها في كل خطوة يخطوها سواء في كونه فرد من أفراد الشعب الجزائري أو باني الدولة الجزائرية الحديثة.

2- القيمة الإنسانية:

تفرد الأمير عبد القادر بميزات عن العظماء في معاملته، وسلوكياته بين القوة واللين، بين الشجاعة والتروي، بين الإقدام وحسن التقدير، وهذا أظهر العبقرية في شخصيته.

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوف وشاعرا، مرجع سابق، ص115.
[2]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص69.

حمل صفات الشخصية الجزائرية متوجها بخطابه الإسلامي والسلفي والنهضوي، فحقق الضمير الجمعي الجزائري؛ يتضح ذلك في إبراز قيمة الإنسان، بغض النظر عن عقيدته ودينه وموطنه وعاداته وتقاليده، فقد رسخ لقيمة إنسانية رفيعة؛ لأن ذلك من صميم خصوصية البادية، وصفه حب الخير وفطرته، وتأثير الطبيعة عليه واعتصامه بتعاليم الدين الإسلامي.

فالأمير أعطى أهمية كبرى لقيمة الإنسان، إذ أصبح يتعامل مع الناس ذوي المبادئ دون مراعاة لدياناتهم، أو أجناسهم، فقد ناصر كثيرا من الشعوب المضطهدة؛ لأنّ الإنسان في القرآن الكريم قائم على علاقتين أساسيتين الأولى الصلة بين الأفراد والشعوب المبنية على التسامح والتعارف، والتآزر والثانية هو انتماء كل الناس إلى أسرة البشرية، التي لا تفاضل بين أفرادها إلا بالعمل الصالح الذي دعانا إليه الله في تنزيله الحكيم لقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ ".....[1]

وقوله أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩ ﴾....[2]

فوجود الإنسان ضروري بالرغم من اختلاف ألوانهم ولهجاتهم وأنظمة سياساتهم، وإيديولوجياتهم كقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾...[3]

[1]: القرآن الكريم، برواية حفص، سورة الحجرات الآية 13.
[2]: القرآن الكريم، برواية حفص، سورة يونس الآية 19.
[3]: القرآن الكريم برواية حفص، سورة المائدة، الآية 48.

فقد جمع الأمير بين تعظيم أمر الله والشفقة على مخلوقاته، فهو يطلق عبارته . الحقوق الإنسانية . لأول مرة قبل التراث الإنساني في مطالب الوثيقة المتعلقة باستقلال الو. أ. م من أنّ كل إنسان خلقوا متساوين، وقبل وثيقة الأمم المتحدة عام 1948، وقبل وثيقة السلم التي كانت يوم 1982/12/16 التي صارت حقوق الإنسان وضعية طبيعية وسياسية ودينية، ومن هنا يظهر مساهمة الأمير عبد القادر في الفكر العالمي وتكوين ذاكرة التسامح الجمعي العالمي.

ارتبطت الفضائل بوظائف الفكر البشري من ذكاء و إرادة، وإحساس؛ فالأمير قد تألق عندما كان يقيم في دمشق بعمله الإنساني، واستطاع أن ينقد البشرية من مجزرة كبيرة كانت سترتكب في حق أناس أبرياء بسبب خطة أحيكت لنوايا سيئة تجاه الشرق الأوسط." فإن مجازر المسيحيين ستتم تحت إمرة الحاكم التركي بدمشق الباشا أحمد"... [1] هذه الأخبار نقلها أحدهم إلى الأمير عبد القادر مبينا الخطر المحدق بالمسيحيين والأتراك من تخطيط الحاكم الباشا أحمد، ومورطا المسلمين فيها وبحنكة الأمير السياسية استطاع أن يتفطن أسلوب الباشا عندما كشف أمره"الباشا أحمد الذي يعدّ رأس الفتنة طمأن الباشا الجميع وأرجأ تنفيذ المخطط"... [2] كان الوضع صعبا. خاصة وأنّ الحكومة طرف فيه؛ إذ أن رجال الدين وأصحاب المناصب رفضوا المساعدة فعمل الأمير على حماية المسيحيين في منزله "منزل عبد القادر قد تحول إلى ملجأ لمئات من المسيحيين".... [3] احتشد المسلمون أمام منزل الأمير. وخاطبهم برزانة ليقلل من غضبهم. وبدليل من القرآن" ألا يقول القرآن لا إكراه في الدين"كما حاول توعيتهم بعملهم الذي يقومون به بأنه دون رجاحة العقل. إلا أن الحشد بقي محاصرا لبيته، فقرر الأمير محاربتهم إذ قال:"أقسم بالله بأننا سنجاهد من أجل قضية مقدسة قداسة القضية التي جاهدنا في سبيلها من قبل هيا يا قاره محمد إليّ بالأسلحة والجواد"...[4]

[1]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص118.
[2]: المرجع ذاته، الصفحة ذاتها.
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4]: المرجع نفسه، ص122.

بمجرد مواجهة الأمير عبد القادر بحماس وقوة هذه الفتنة، فرّ الحشد وتلاشى، دون حلّ المشكلة، فلجأ الأمير إلى خطة أخرى بدعوة المسلمين إحضار المسيحيين أحياء مقابل خمسين فلسا "أمر الأمير بنشر إعلان في المدينة ليكن في علم الجميع أن من يأتيه بمسيحي حيّ سيقبض مبلغا قدره خمسون قرشا"....[1]

بهذا العمل استطاع فارس الإيمان ـ الأمير عبد القادر ـ أن ينقد أكثر من اثنا عشرة ألف شخص ولعل ردود الرأي العام لدليل على العمل الإنساني الجبار؛ الذي قام به الأمير عبد القادر، ويعتبر ذلك اعتراف عمق فكر هذا المنفي عندما واجه هذه الفتنة التي خرق أصحابها القوانين الإلهية، ونسوا عاقبة قتل النفس بغير وجه حقّ،كما أغفلوا البسطاء وانساقوا إلى القسوة والظلم.

أعجب العالم الأمير عبد القادر وسارع إليه بالهدايا والأوسمة؛ إذ يشير كتاب التاريخ بقولهم:" فاعترف له كل رجال أوروبا بالجميل، وأرسلوا إليه الأوسمة الرفيعة.. "[2]، تعبيرا عن تكريم رجل يستحق جائزة السلام التي تمنح الآن لكل من يقوم بالعمل الإنساني والحفاظ على حقوق الإنسان في الحرية والعيش بسلام، فالديانات كلها تحمل هذه القيمة وتنشدها بين العباد.

كما تتضح هذه القيمة جليا أيضا في معاملة الأمير للأسرى؛ فهو قد سار على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في إكرام الأسرى والتزام تسليمهم حسب الاتفاق بقول أحد القادة الفرنسيين مشيد بخصال الأمير ويحيه ويصرح" لقد سلّمنا دون فدية أو شروط"... [3]، وموقفه من نقض العهود في المفاوضات.

3- القيمة التاريخية:

الإنسان خليفة الله في الأرض يعمل على تطوير ذاته، والتطلع دائما نحو تحقيق الكمال في النشاط البشري بالعلم والعمل؛ إذ نجح الأمير عبد القادر في تشكيل الذاكرة الجمعية الجزائرية؛ إذ جمع

[1]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص123.
[2]: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب الجزائر،ط2،1963،ص54.
[3]: المرجع نفسه، ص50.

بين الوجاهة والعلم والفقه، ويتبيّن ذلك من مسيرة الأمير العلمية في صناعة وطنية وتنظيم مجالاتها، بدء من معاملة العلماء الخاصة بتوقيرهم، وإزالة العوائق التي تقف في طريقهم.

فهو كان يشجعهم على العلم والتعليم بتخصيص رواتب للمعلمين، والقضاة، والمفتين وحمايتهم من الظلم، وأعلن كلمة الجهاد التي كانت تطلبهم، فكبرت قيمتهم في عيون المجتمع، وكثر عطاءهم، وتعاضد أغلبهم في صف الجهاد"يعتبر الأمير عبد القادر أول قائد جزائري لذي حاول تأسيس دولة جزائرية عصرية، وعلى إثر المبايعة ...كان الأمير عبد القادر يختار أعوانه السياسيين من طبقة الأشراف، وكان ينحاز للعلماء ورجال الدين"...[1]

أراد الأمير عبد القادر أن يبني دولة قاعدتها الدين الإسلامي ومنهجه، ثم يرسم مجالات الحياة العصرية، لذا حاول جمع العلماء و رجال الرأي؛ الذين تمتعوا بالحماسة والاندفاع كي يحقق حلمه في طرد المستعمر بالانتفاضة الرائدة، والتي بدت أكثر تنظيما وتخطيطا، فضلا عن فرض سلطانه بأنّه صاحب سيادة على جزء كبير من الجزائر .

اتبع المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم، لصدق رسالته والمبادئ السمحة التي يحملها للناس أجمعين، بايعه المسلمون كلهم في جميع أمورهم الدينية، والدنيوية. هذه الميزة الفريدة من نوعها استطاع الأمير عبد القادر أن يحققها في السياسة الشرعية الجزائرية؛ بل في السياسة الشرعية العربية الإسلامية قاطبة إذ يشير الكُتاب " فهي بيعة شرعية دينية لأنها اعتمدت على الشريعة الإسلامية و التاريخ الإسلامي(السلف الصالح)، وهي بيعة صوفية روحية (الطريقة القادرية)، بيعة سياسية تميزت بنظام حكم عربيا وإسلاميا..."[2]

فالأمير قد حقق وجوده في تجمعات مختلفة؛ إذ أنّه جمع أغلب الشرائع الاجتماعية من الطريقة القادرية، وفرض نفسه في الفعاليات الفكرية السائدة كالفقهاء، والمذهبين والعلماء والعرفانيين المتأثرة

[1]: كمال دحومان الحسني، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية الجزائر، دط، ص112.

[2]: أحمد بن رضوان،الأمير عبد القادر واجب الذاكرة وتحديات الساعة، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر 2005، ص40.

بفلسفة الغرب، فهو كان عالما بها، مما ساعده على الخوض فيها، وتحقيق التوافق بين نظامه وحكمه في الوضع الذي عرفته الجزائر، ومن بين ما انتشر فيها من أفكار والتي اغتنمها الاحتلال لتشتيت الجزائريين وتفريقهم؛ لكن الأمير وظف وسائل متعددة من تعليم وإنشاء قنوات الفتوى، والتشاور مع علماء البلدان العربية فاستطاع الإصلاح، والقيادة والتواصل وتوحيد الصفوف للجهاد، والتحرير فكان الضمير الجمعي الجزائري الإسلامي.

للأمير قيمة تاريخية في المسيرة الطويلة بأحداثه ومنجزاته. التي سهر على بلورتها خاصة عندما أصبح الوجه المقاوم، فكانت الحادثة المهمة التي نشد بها الوحدة لشعبه البيعة؛ التي كانت تحمل نزعة الفخر والشرف في ردّ الغزاة" فرأى أن الاهتمام به واجب. وتعيّن عليه شرعا أن يقوم به لأنه مسموع الكلمة نافذ الأمر غير أنه لما كان عاجزا عن القيام بأعبائه، ورأى أن ولده المنوه به قد بلغ أشده حدّه ترشح للإمارة وتأهل لها واستكملت فيه شروطها من الهدى، وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة والفتوة والعلم والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ والتيقظ والارتقاء.."...[1]

ونشير إلى أن الأمير عبد القادر الجزائري قد تلقى تربية إسلامية، وتأدب في أخذه للعلم بفراسته في اللغة العربية، وحفظ القرآن، والسنة النبوية، ونحن في حاجة إلى أن نقتدي به في مجال التربية والتعليم والشموخ به، ومن دراستنا نحاول تقديم مثال لإحيائه في أنفسنا، بعدما لاحظناه يتناقص من مدارسنا، لأننا لا نستطيع قطع الصلة بالقديم لأنه مهما كان قديما إلا أنه كان أصيلا " بالرجوع إلى تاريخ التربية الإسلامية ، وإبراز الأساليب الناجعة التي انبعثت قديما ثم محاولة تطبيقها اليوم أو محاولة تعديلها بما يتفق مع نمو الدراسات النفسية والاجتماعية... نحن في حاجة إلى دراسة القديم والجديد معا بوعي علمي... لأننا بحاجة إلى تعليم أبنائنا..."[2]

[1]: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح ممدوح حقي، ج1مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائر 2007، ص183.

[2]: محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1981،ص7

4- القيمة القيادية

- فلسفته

كان الأمير عبد القادر قائدا جزائريا، وأنموذجا فذا للدولة الجزائرية في الفترة التي سبقت الثورة التحريرية، ممثلا لأسمى سُنّة إسلامية كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه مصدرا لها، قاد المقاومة الجزائرية، هو جمع الرجال تحت راية وإسماع صوت البارود شكل طفرة انبثق عنه جيل جديد نذير ومقاوم للاستعمار لقول صالح خباشة:

لَئِنْ خُضْنَا الجِهَادَ فَمَا ابْتَكَرْنَا لَقَدْ كُنَّا لِثَوْرَتِهِ امْتِدَادَا...[1]

يقصد الشاعر من قوله أن ثورة الأمير ممهدة للثورة المظفرة وامتدادا لها. وصار عمل الأمير جسرا عابرا للزمن، وربط بين الجيلين، فصنع لنفسه مكانة بين قومه وحتى في نفوس الاحتلال؛ إذ اعترف بقيادته العديد من الضباط الفرنسيين، وحاولوا إرضاءه.

إذا أرادنا أن نحلل كلمة قائد بمفهوم بسيط فلا نعني بها القوة فقط إنما القدرة على تحقيق هدف جماعي، استطاع أصحابه أن يقتنعوا بامتياز قائدهم، فالأمير عبد القادر تميّز بالإقدام والتمرس في الفروسية وهذه الصفات تتجانس مع الهدف القدسي، وحاز رتبة الامتياز في مواجهة الاستعمار الحديث.يشير الكُتاب بقولهم إلى هذا المفهوم:" ...فقد تمكن بجهده وبصيرته أن يتفاعل المجتمع من خلال مقوماته الأخلاقية والعرفية، واستطاع أن يسير به نحو النهج الذي يجعل من المجتمع ماهية مترابطة متصدية للعدوان.."...[2]

قام الأمير بتكوين المجتمع الجزائري المتماسك، وتحقيق القوة في مواجهة الإعاقات، إذ كان يمثل رمزا. ولعل ذلك يظهر من حديث الأدباء المهاجرين الذين لم يستطيعوا منع حنينهم للجزائر فراحوا يتغنون ويستحضرون مآثر الأبطال كسيرة الأمير عبد القادر، الذي افتخر به الشعراء الجزائريون" فإنّ

[1]: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص88.
[2]: الأمير عبد القادر، قراءة في فرادة الريادة والرمز، ص37.

سيرة الأمير عبد القادر ترتسم كنموذج باهر لسير قادة المعارك والنضال ضد الاستعمار الفرنسي، فمن بطولات هذا الأمير المجاهد استلهم شعراء هذه المرحلة أحد موضوعاتهم"...[1]

يتبيّن من ذلك أن الكاتب والشاعر عبّر عن عاطفته السامية وحنينه العميق اتجاه وطنه بالحديث عن رجال تميزوا بالقوة والشجاعة في مواجهتهم للاستعمار من جهة وإعادة تاريخ أبطال في حقبة زمنية، إلا أن أفكاره تجول في ذاكرة كل محارب.

الدراسة في نظره تكتسي دلالة أسمى؛ فهي وسيلة لتغذية روحه، وتحسين طبعه، والتقدم في سبيل الكمال الفردي، كما كان الأمير أمثولة عصره برز ذلك من إعجاب الناس بشخصية الفريدة وروحه المنسجمة، والمتزنة "أما صفاته بوصفه استراتيجيا ورجل دولة فقد جعل الناس يلقبونه ب نابليون الصحراء"...[2] ،" ولاشيء أقبح من الإنسان مع ما فضله الله به القدرة على تحصيل الكمال بالعلم"...[3]

إنّ الأمير عبد القادر وجه مشرف، من طينة المخلوقات النادرة، ونموذج للقائد المثالي، كما يظهر من ذلك أن العلم هو السبيل إلى الكمال، مما يجعله واعيا بمسؤولياته تجاه وطنه بصفته رجل وقائد، فهو دائما في الصفوف الأولى في السباق، كما حاز على ثقة وإعجاب من حوله."يمتاز فرسانها بالشجاعة والصمود"..[4]

احتفل الإنتاج الأدبي بثورة نوفمبر المظفرة، سواء كان شعرا أو نثرا وعبر عنها أحسن تعبير، إذ نجد الشعراء يخاطبون الأمير باعتباره القائد الذي رصد أول قاعدة وهي أن الحرية تأخذ بحدّ السيف، والسياسي الذي وضع خطط الهجوم.فالشاعر الجزائري صور مدى ترابط الأحداث بين الفترتين،وامتداد الأفكار التحررية كما يفتخر بكونه من الشعب الذي منه الأمير القائد ، ويدعو المحاربين استلهام البطولة من هذه الأمثولة والقدوة ،ومن أخرى ذكر الاستعمار بهزائمه على يد الأمير"

[1]: محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، ص94.
[2]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص13
[3]: المرجع نفسه، ص23.
[4]: دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ص27

من هذه الذكرى اندلع الشعراء يخاطبون الأمير تارة ليطمئنوه على أن وصاياه قد بلغت وأنّ الأحفاد أصبحوا أشد ضراوة..فانبرى يفاخر الاستعمار بانتسابه وانتساب الشعب الجزائري إلى سلالة المحاربين في طليعتهم الأمير."..."[1] ويقول صالح خرفي:

أميرٌ قادرٌ خاضَ المنايَا وتشهدُ ثورةُ البطلِ الفقيدِ

يَقودُهُ منَ الأشاوِسِ جيشٌ نَصَرَ لهُمْ فِي الحَرْبِ إقدامُ الأُسُودِ

فمَا هيَ أُسْدُهُ هبّتْ سِراعاً إلى بَعْثِ الجَزائِرِ منْ جَديدِ....[2]

وقال فيه مفدي زكريا في الذكرى الثامنة والسبعين لوفاته:

إذا ذَكَرَ التَاريخُ أبْطَال أُمّةٍ يَخِرُ لذكْراك الزَمانُ ويَسجُدُ

وإنْ تذْكرِ الدنْيا زَعيمًا مُخَلَّدا فإنَّكَ في الدنْيا الزَعيمُ المُخَلَّدُ

وسَطَرْتَ للأحْرارِ بالدَّمِ غايةً لها المهجُ الحرى طريقٌ مُعَبَّدُ

فما خمَدَتْ نِيرانُ حَرْبِكَ لحْظَةً وهَيْهَات نيرانُ الجَزائِرِ تَخْمُدُ

هي الثَورَةُ الكُبرى دَلَعْتَ لَهيبَها وما فَتِئَتْ أشْكَالُها تتَجَدَدُ

فَفي كُلِّ فَجٍّ بالجزائرِ رَسَمَها وفي كلِّ شِبْرٍ بالجَزائِر مَشْهَدُ

يُقَدِسُ فيك الشّعبُ أعْظَمَ قائِدٍ هُمامٍ له الأجْيالُ تروي وتَشْهَدُ

حديثُكَ تتلوهُ البنادقُ في الوغى نشيدًا يُغَنيه الزَمانُ وينْشُدُ

وجيشُكَ ـ عبد القادر ـ اليَومَ ظَافِرٌ يُحَطِمُ هَاماتَ الطُغاةِ ويَحْصُدُ

[1]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص 95.
[2]: المرجع نفسه، ص96.

وشعبُكَ مَأْمونُ الخُطى متَماسِكٌ ومغْرِبُكَ الجَبَّارُ قُطْرٌ مُوَحَّدُ...[1]

حث الشاعر الجزائري عن الحماسة الشعب الجزائري، وأظهر بطولة الأمير وأهم المواقع التي كان الفصل فيها له على الاستعمار الفرنسي، كرمز من رموز الثورة الجزائرية إذ يقول صالح أبو عمر:

قفْ علَى مَنْبرِ الخُلودِ وَحَيِّ مِنْهُ رُوحَ الأَمِيرِ عَبدَ القَادِر

حَيِّ رَمزَ الكِّفاحِ مَنْ بَذَلَ النَّفْسَ بِسَاحِ الفِدَا لتَحْيَا الجَزِائر

مَلَكَ الحُبُّ قَلبَهُ فَتَسَامَى مُسْتَمِيتًا فِي حُبِّهِ ومُغَامِر

حبُّ شعبٍ يراهُ جنَّةَ خُلدِ وهُو فيهَا على الأفانينِ طَائر

دفعَتْهُ إلى الوَغَى عزّةُ نَفْسٍ ونفسُ الأَبِيِّ تَأْبَى الصَغَائِر

ويضيف آخر يرثي الأمير من قصيدة مفدي زكريا:

فنَمْ يا أميرَ المؤمنينَ فإنَّنَا بِرُوحِكَ لاسْتِقْلالِنَا نَتَصَعَّدُ

فَنمْ فِي جِوارِ اللهِ تَرْعاكَ عَيْنُهُ ويَرْعَاكَ فِي دارِ الخُلودِ مُحَمَّدُ....[2]

ـ العمل القيادي:

تعبت الجموع الشعبية من اضطراب الأوضاع؛ التي تسبب فيها الكيان التركي، وما زاد الطين بله الاصطدام بغازي آخر؛ دفعه غروره ومصالحه إلى استغلال البلدان في ضعفها، والذي قرر المضي بالاحتلال، فكان لابد من مقاومته وتمسك بالحرية والاستقلال؛ فسعت قبائل المناطق الجزائرية إلى مقاومة الاستعمار لكنها كانت تفتقد إلى العمل المنظم ومسئول يقودها، ويصد هذا الزحف.

[1]: مفدي زكريا، اللهب المقدس الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983،ص(173-174).
[2]: محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، ص(97 -98.).

اجتمعت القبائل لتنظيم الجهاد ضد الفرنسيين الغزاة في إقليم وهران، وكما هو معروف كان محي الدين قد انتقل إليه بعد نزاع بينه وبين الحاكم التركي في منطقة معسكر، وانسحاب ممثل المغرب من تلمسان، أين أصبحت الساحة سانحة للاستعمار" في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام اثنين وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد نقطة تحول في تاريخ المقاومة الجزائرية إذ عقدت القبائل الرئيسية في إقليم وهران اجتماعا طارئا لتنظيم الجهاد ضد الفرنسيين بعد انسحاب ممثل المغرب من تلمسان تحت التهديد الفرنسي"...[1]

بالنظر إلى الوضع المزري للجزائر، بدأت القبائل تبحث عن زعيم، يقودها في هذا الجهاد وينظم صفوفها، قائد يعي الخطر الذي يهدد الكيان وهوية الشعب الجزائري، فعرضت الأمر على والد الأمير محي الدين القائم على الزاوية القادرية، لكنه أشار عليهم باتخاذ ابنه عبد القادر "فأشار باختيار ابنه عبد القادر مشيدا بكفاءته وعزيمته فتمت البيعة الأولى في مسجد معسكر وهو في الرابعة والعشرين كقائد عسكري وزعيم ديني"...[2]

بويع الأمير عبد القادر بعد أن اختير من قبل الجماهير لقيادتهم؛ بعد عقد اجتماع البيعة تحت شجرة الدردار، واتسمت بالشرعية العربية الإسلامية، التي أكسبت الأمير عبد القادر حق جمع مختلف الفئات للجهاد" تعد البيعة قيمة تاريخية، وذات ميزة فريدة من نوعها في السياسة الشرعية الجزائرية، بل الشرعية العربية الإسلامية قاطبة... اعتمدت على السريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي(السلف الصالح)"...[3] ، ومقاومة الاحتلال الأوروبي بتوحيد الصفوف، ولحم ما تصدع، خاصة وقد تفطن الجزائريون للنيات الحقيقية لهذا المستعمر، ومنه بدأ سياسته في خلق اليد الواحدة، وجمع كل القبائل حول كلمة المقاومة، مما قضى على الزعامة الثانوية، وتمرد القبائل على بعضها، وازدياد قوة الأمير، واحتكامه المطلق فأصبح هو الحاكم الوحيد الذي يسيطر على مصير بلاده.

---

[1]: أيت يحياتن يحي ، رموز عمق الجزائر، ،ص15.
[2]: المرجع ذاته، الصفحة ذاتها.
[3]: أحمد بن رضوان، الأمير عبد القادر، واجب الذاكرة وتحديات الساعة، مؤسسة الأمير عبد القادر، ص40.

← ـ مرحلة المقاومة:

غدا الأمير عبد القادر العسكري الوحيد، القائد للجيوش، الذي نظم جيشه، ورسم خططه لمحاربة الاحتلال الفرنسي، واتبع إيديولوجية محكمة عبر مراحل متتالية للضغط، وتكثيف الخناق حوله؛ فكانت مرحلته الأولى قوية ألزم فيها القبائل منع المئونة عن السلطات الاستعمارية" إلزام القبائل النازحة حول المراكز الفرنسية في الغرب قطع تمويلها عن الغزاة.

التشبث بالأرض، والتركيز على حرب العصابات والمفاجآت وعدم المواجهة في ميدان مكشوف فكانت الهزائم المتوالية عظيمة ومدمرة للجيوش الفرنسية.

إقامة جبهات دفاعية موازية للشريط الساحلي لمنع تقدم القوات الاستعمارية، وقطع المواصلات والاستيلاء على المؤن، ومناوشة الاستعمار باستمرار، أما بالنسبة للجبهات الداخلية فقد خطط الأمير هدم مدنها لبسط الاستعمار إلى الأرياف، ومنع اجتياح المدن، وبالنسبة للمدن الأخرى المحصنة جعلها قواعد له عند التراجع وموازية لطرق التجارة، ومناطق العبور"...[1]

وضع الأمير لدولته دستورا لمسيرة التكوين والبناء؛ إذ قسم المهام، وجعل لكل جهة مسؤوليتها. فقد شكل السلطة التنفيذية؛ التي ترأسها رفقة مجموعة من خيرة علماء وشيوخ القبائل، أما السلطة التشريعية، فقد كان مقرها معسكر،اتخذت القرآن الكريم والحديث الشريف، وكتب المذهب المالكي وبعض القوانين، اللوائح الإدارية،و البث بقرارات فقهاء القانون الإسلامي، وقد عهدت إلى مجلس تشريعي واحد لدراسة قضايا الدولة الإسلامية ووزعت الثانوية على مجالس فرعية، وأنشأ الأمير مجلسا للشورى من أحد عشر عضوا من كبار العلماء والفقهاء وقد ترأس نيابة عن الأمير الجلسات قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي المراجي.

أما السلطة القضائية، فقد شكلها من قضاة محليين مدنيين وعسكريين، خصصت لهم رواتب شهرية مع إضافات مالية على مهامهم وواجباتهم الخاصة، وكان تنظيم العدالة شغل الحكومة الدائم؛ لأنه

[1]: يحي أيت يحياتن، رموز من عمق الجزائر ، ص17.

العمل الأساسي لتثبيت سيادتها على كافة أراضيها، وضمان حقوق مواطنيها، وكان القرآن المرجع الوحيد للقضاة المدنيين والعسكريين، الذين كانوا ينتخبون لسنة واحدة قابلة للتجديد مرات عديدة شريطة اجتيازهم امتحان كفاءة وعدم ارتكاب الأخطاء الجسيمة المهينة للوظيفة، وكانت صلاحيات القضاء خاصة بالأحول الشخصية للمدنيين، ويطعن في أحكامها أمام مجلس الشورى، والذي يفصل أيضا في الأمور التي تمس المجتمع والجرائم المتعلقة بأمن الدولة، أين يستشير الأمير عبد القادر الفقهاء ويطلب رأي أهل العلم في فاس و القاهرة.كما عرف المجال العسكري تنظيما محكما، فقد جعل له جيشا بحشد الطاقات البشرية والمادية في سبيل تحديث إمارته، وتطويرها إلى حدّ كبير بفضل الأمن الذي حققه في مقاطعته، ويتشكل جيشه من الجيش النظامي الموجود في الخدمة الفعلية والمتطوع في ثلاث أسلحة والحرس الأميري،الخيالة والقوم الراكبون، المدفعية، المشاة أو المعسكر المحمدي، أما الجيش المساعد غير النظامي، فشكل القسم الأكبر منه جيش الولاية الذي يشكل من القبائل المؤيدة للأمير فكان يسرع للالتحاق بالوحدات النظامية، عندما يدق النفير، وعند الانتهاء يعود للقيام بالمهمات الموكلة إليه في مختلف أنحاء الإمارة كالحفاظ على الأمن والاستقرار،ومواجهة كل تهديد من القوات الاستعمارية بقيادة الأمير، كما اهتم بالعتاد الحربي إذ وظف له رجال يتقنونه منها مصانع للمدافع كتلمسان التي كانت تعد أكبر مصنع للمدافع، ومليانة التي كان بها مصنع للبنادق،وبناء مصانع كفيلة بتطويره الصناعات الموردة للمادة الأولية كالكبريت والنحاس،إذ استعان بالأجانب لصنعه. توالت الانتصارات وبُليَّ الاحتلال بهزائم متعددة، فسارعت السلطات الفرنسية إلى تغيير الحكام والجنرالات القائمة على الجيوش دون جدوى حتى سارعوا إلى عقد الهدنة مع الأمير والاعتراف بسلطته على مقاطعته، ليتفرغ الأمير لتنظيم شؤونه تحضيرا للمرحلة الثانية.إنّ نشاط الأمير العجيب والحيوي وتفكيره الخلاق قد جعله يتغلب على صعوبات، كان يبدو من المستحيل القضاء عليها.

وبعد فترة وجيزة ونتيجة نقض معاهدة تافنة سنة 1839 ركز الفرنسيون على عاصمة الأمير فانتزعوها منه فاضطر الأمير الانسحاب الرجوع إلى الجنوب، أين اشتدّ الخناق علية من المغاربة الذين تحالفوا مع العدوّ، وانتشار الخونة بين صفوفه سهل على الفرنسيين تقليص جيش الأمير وإضعاف قوته، وحفاظ

على الأرواح، ومعرفته استحالة مواصلة المقاومة قرر الاستسلام بشرط خروجه ومن معه من الجزائر، فكانت وجهته إلى سجن أمبواز ثم دمشق لينته به المطاف بها سنة 1883"...[1]

لقب الأمير عبد القادر ألقاب أصحاب المعالي حتى عجزت الكلمات عن تأدية دورها في تصوير عظمته، ونبوغه وارتقائه في تكوين دولة . كان ذلك على أسس رصينة ودرجات الإبداع والتخطيط. وبلغت بعدا ممتازا، اعترف به العام والخاص. وسجلت هذه الشخصية اسمها بحروف من ذهب. إذ بقي إشعاعها يبلغ الآفاق ؛ وأنار دروب الحكام والعلماء والأدباء والمفكرين ، تفطن الرجل لكل شيء وفكر في بلاده، وحدد الهدف وبلغ الغاية. شاءت الأقدار أن يحف به التاريخ ليكون رمزا من رموز المقاومة الوطنية والإسلامية فلقب بـ"ناصر الدين"، "صقر الصحراء" تمجيدا لشجاعته، وإقدامه لقب بفارس الإيمان في معاملته الحسن، وحلّه للمشاكل العقائدية فبلغ بذلك حدود الإنسانية.

توجت القبائل الأمير لقيادة المقاومة، واجتمعت حوله الحشود، لقيادتهم ومحاربة الاحتلال الفرنسي. فبادر إلى وضع إيديولوجية العاصمة المتنقلة والتي سميت "بالزمالة"تحكمها القوانين الشرعية والعسكرية والسياسية. استطاع الأمير أن ينظم دولته وفق أنموذج عصري؛ فالركيزة الأولى التي أرسى عليها مهمته هي الوحدة المطلقة، أو اليد الوحدة بجعل الزعامة فردية ويمثلها الأمير أين يبسط سلطته على كل القبائل، ومحاربة كل التمرد والمعارضين، حتى استتب الأمن داخل دولته ثم انتقل إلى ترشيد الميادين بوضع عدة أجهزة تسهر على السير الحسن للدولة كتشكيل الجهاز التشريعي والذي يتكون من مجلس عام يضم القضاة وخيرة العلماء يهتمون بالقرارات ويهتمون بأمور الدولة أما المشاكل الثانوية فشكلت لها مجالس ثانوية، إضافة إلى الجهاز التنفيذي الذي ترأسه العلماء وشيوخ القبائل، كما اهتم بنشر العدالة، والحفاظ علة حقوق شعبه داخل دولته بتشكيل الجهاز القضائي من مدنيين وعسكريين للبث في أمورهم الشخصية . شكل مجلسا للشورى من القضاة، يترأسه هو وفي حالة غيابه يكلف أكفأهم، وأصبح الأمير عبد القادر خبيرا في اكتشاف تقلبات النفوس في الأجهزة

[1]: أيت يحياتن يحي، رموز عمق الجزائر، ص(22 23 24 25).

ففرض وجوب الانتخاب لتجديدها، وفتح مراكز تسهر على دفع رواتب الموظفين في مختلف الأجهزة والمجالس.أما فيما يخص المجال العسكري أو الحربي فقد نظم الأمير الجيش إلى نظامي وغير نظامي فالأول يتشكل من الحرس الأميري، والخيالة والقوم الراكبون، والمشاة والمدفعية وهم الذين ينتقلون مع الأمير أينما رحل في زمالته، أما الجيش غير النظامي فهو الذي يسهر على أمن المواطنين في كل ركن من الدولة، وحين يطلب يجتمع ويلتحق بالأمير لمساندته في هجومه أو دفاعه.أما الجهاز الحربي فقد سهر الأمير على بناء مصانع للأسلحة و الذخيرة في أهم المدن الخاضعة له ، وخصص لصناعتها أيادي اسبانية، وفرنسية بتوجيه منه ومتابعة دائمة.

اعتمد الأمير على سياسة متقنة في محاربة الاحتلال الفرنسي:

بسياسة العزلة حيث حاول تطويق السلطات الفرنسية من التل والبحر، فهو لجأ إلى قطع المؤن عن الفرنسيين من القبائل، وحرب العصابات، والمفاجآت بالضرب والفرّ دون مواجهتها في مكان مكشوف مما حقق له الانتصار وتكبيده الخسائر الفادحة ونفاذ مئونته سواء من الطعام أو الذخيرة.

حاصرته السلطات الفرنسية من جهة الساحل، بقطع المواصلات والاستيلاء على الإمدادات المرسلة ومناوشتها كل حين.

عمد الأمير إلى هدم كل المدن. التي اجتاحها الاستعمار الفرنسي حتى يحرمه من خيراتها ومؤنها ومنعه من إقامة القواعد بها تسهل الهجوم عليه، مما يدفع الاستعمار إلى الخروج إلى الأرياف أين يتحكم في كيفية القضاء على جيشه وإنهائه.

أما الجهة الداخلية فقد بني فيها حصونا عملاقة بالقرب من الممرات ومناطق العبور ليستطيع مراقبة حركة السلطات الفرنسية، وقطع الطرق على القوافل التجارية والحاملة للمؤن والذخيرة والإمدادات البشرية، كما جعل هذه الحصون للاحتماء أثناء الانسحاب أو التراجع.

إن سياسة الأمير لم تهتم بالحفاظ على حياة الفرد وأمنه بل حتى الجانب النفسي و الاجتماعي؛ إذ رصدت الحفاظ على الحياة الكريمة ونشر المحبة بين شعبه بتحفيزه وتشجيعه على الوقوف كرجل واحد بدفع رواتب الجنود وتكريمهم بإضافات مالية على المهمات الخاصة والحفاظ على السلوك الطيب.

وكان يسهر الأمير على نشر التنظيمات العسكرية وآخر التفصيل عبر النشارات الشهرية، مما يبيّن فطنة الأمير واستبساله في إنشاء جمهوريته وإرشاد مسؤولية القيادة.

"En quelques mois le jeune chef de guerre parvient à rallier 10 000 cavaliers équipés, une force extrêmement mobile, se comporte clairement comme un chef d'État conduisant une guerre, en s'assurant le contrôle de zones agricoles pour nourrir ses chevaux, en entretenant des échanges avec le Maroc pour accéder à des armes et à des munitions et cherche à bloquer les voies de communication d'Oran et de Mostaganem c'est-à-dire les lignes d'approvisionnement de l'armée coloniale. La tactique sur le terrain est celle du harcèlement, facilité par la domination d'une cavalerie efficace….[1].

سجل التاريخ بطولة الأمير عبد القادر وقيادته لجيشه، وتشكيل عاصمته المتنقلة الفريدة من نوعها، والتي أجبرت الجنرالات الفرنسيين على إبرام معاهدات الهدنة معه والاتفاقيات كان يستغلها للتنظيم واستيراد السلاح من مناطق خارجية، وقد سار على النهج عدة سنوات أنهك فيها الاحتلال جيشا وعدة وسعت فرنسا بالإمدادات، لكن الضربة القوية جاءت من إخوانه حيث وضعوا يدهم في يد العدوّ ضانين منه المسالمة فكانت الفاجعة أين اضطر الأمير إلى الاستسلام بعد أن نهك جيشه بفعل الخيانة والدسائس.

لم تقلل هذه النهاية من حنكة وعبقرية الأمير السياسية، والعسكرية والإدارية؛ بل برهنت عن قائد كبير ربط بين الدين والدولة في رسم أسسهما وتجسيدهما على أرض الواقع.

5- القيمة الأدبية

[1]: L Emir Abdelkader face à la conquête française de l'Algérie(1832- 1847).par Bruno Modica étude de Mehdi Benchabane. La cliothéque.http:// clio-cr-clionautes.org.p2.

نجد مجموعة من المصنفات يشيد فيها أصحابها بأدبية الأمير عبد القادر إذ يشير النقاد إلى القيمة الأدبية للرجل سواء في الشعر أو النثر، فمنهم من يعده رائدا في الشعر العربي الحديث، ومنهم من يجعله نموذجا في الثقافة في الفترة الاستعمارية فالحاجري يقول" بأنه الشخصية الثقافية النموذجية إبان الغزو الفرنسي"... [1]. إن القيمة الأدبية التي تميز بها الأمير لم تأت من فراغ؛ بل نتيجة شغفه بالدراسة التي كانت حلم الشباب، واستراحة القائد، وراحة المنفي.

أـ الأمير عبد القادر شاعرا

ارتقت الفنون الشعرية أثناء مراحل حياة الأمير عبد القادر، والنهج الذي انتهجه عندما كان شابا إذ كان ينظم الشعر بالفطرة " ينظم الشعر وهو دون العشرين ولم يسبق له أن تعلم موازين الشعر ومقاييسه"... [2] وقاد المقاومة المقدسة. " كينونة الأمير كانت ممتلئة ومتخمة بالأحداث والوقائع ...ذلك بالضبط هو ما نلاحظه على مبدعات الأمير الشعرية حين نقع على كل مضامين الشعرية الكلاسيكية (الفخر والغزل، والوصف، والمدح) أو في تعرضه لمواقف أحد رجاله والمساجلات الصوفية ....نجد الأمير قد ابتنى لنفسه منهجا ورؤية في نظم الشعر بعده أداة أساسية في تكميلية شخصيته وفي بناء ذائقته الأدبية مما جعل قصائده ضد المستعمر الغازي، وجعلها تكتسي طابعا استراتيجيا زيادة على وظيفتها الشعرية الأدبية"... [3]

يظهر من ذلك أن الأمير عبد القادر ولد في بيئة من الدراسة والورع؛ إذ تحصل على تعليم وافر في كل شؤونه مما جعل منه شابا لامعا، وقد زاد في اتساع علمه تلك الرحلة إلى الديار المقدسة؛ والتي من خلالها زار الأمير العديد من الدول العربية حمل من ثناياها الزاد العلمي وتشبُعه بالمعارف السياسية والاقتصادية واللغوية والدينية. برزت ملكته الشعرية منذ الصغر، ووسط الأوضاع التي شاهدتها الجزائر

[1]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها في أدبه، ص125.
[2]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص37.
[3]: محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر ،رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس العربي، ط2، وهران 2009،ص99.

نمت عبقرية الأمير عبد القادر الأدبية بربط إنتاجه الشعري بالأحداث والتعبير عن معاناة الشعب، وافتخاره بانتصاراته وقوته في مواجهة المستعمر فانبثقت وظيفة الأدب في هذه الفترة الحرجة، له ديوان شعر متعدد الأغراض.

❖ الفخر والحماسة

تميزت قصائد القدامى برسم مقدمة للتفاخر، وحمل النفس على ما تكره لنيل المجد والعظمة، من بين هؤلاء السموأل الذي قال:

إذا المرءُ لمْ يُدَنِسْ في اللُؤْمِ عِرْضَهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَديهِ جَمِيلُ

وإنْ هو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمِها فَلَيْسَ حُسْنُ الثَّناءِ سَبيلُ...[1]

نجح الأمير في جعل شعره قاعدته للفخر وبث الحماسة فيه و شعبه. وهذه الركائز شكل روابط قوية بينه وبين شعبه.

تضمن شعر الأمير موضوعات متعددة؛ كان له الدور الفعال في مقاومة الاستعمار والآفات ونشر الموعظة والعدل وأول ما حلّ في مقدمة أشعاره؛ والتي تمده بالقوة، قد أشرنا إليها في جوانب دراستنا:

1 ـ النسب النبوي

إذا رجعنا إلى كتب التاريخ نجد الأمير عبد القادر من نسب شريف؛ إذ ينتسب إلى الدوحة النبوية الشريفة من الفرع الحسني،التي بوأته منزلة اجتماعية وعلمية، فراح يتغنى ويطلب الشفاعة النبوية بقوله:

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص190.

أبونا رسولُ اللهِ خيرُ الورى طُرًّا فمَنْ ـ في الورى ـ يبْغي يُطَاولُنا قَدْرا

ولاَنَا غَدَا دَيْناً وفَرْضًا مُحَتَمــا على كُلِّ ذِي لُبٍّ به يَأْمَنُ الغَدْرَا...[1]

بحكم الفطرة في كونه ينتسب إلى النسب الشريف، وما تلقاه الأمير عبد القادر من علوم الدين، وسيره على خطى النبيّ صلى الله عليه وسلم، نجده يفتخر ويباهي أعداءه بامتيازه بهذه الميزات، التي تضمن له الفوز والسداد في حياته الدنيوية والأخروية، وبلوغه المراتب العليا؛ لأن هذا الشرف دائم إلى الأبد.

2 . الأصالة الدينية والعربية

يفتخر الأمير عبد القادر بكونه من حماة الدين وأهل العلم. وهم ورثة الأنبياء، في قوله:

لهم لَسَنُ العُلومِ لها احْتِجَـاجٌ وبيضٌ ما يُثَلِّمُها النِّـــــــزَالُ...[2]

افتخر الأمير بعروبته، فهو من أصل عربي نبوي، وتمتعه بالفروسية العربية؛ التي حملت لواء الدفاع عن القومية العربية، والمجد العربي. ونجد من حياة الأمير وسيرته دائما يرحل في طلب الأخلاق الحميدة،. ويترفع عن كل دني، ويتمتع بالحلم والكرم والعدالة، والإرادة القوية في قوله:

لنَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَجَـــالُ ومَنْ فَوقِ السِّمَاكِ لَنَا رِجَـالُ

رَكِبْنَا للمَكَارِمِ كُلِّ هَوْلٍ وَخُضْنَا أَبْحُـرًا وَلَهَا زِجـــــَالُ

رَفَعْنَا ثَوْبَنَا عَنْ كُلِّ لُوءْمٍ وَأَقْوَالي تُصَدِّقُها الفِعَـــــالُ

ثم قال:

وقَدْ سِرْتُ فيهِمْ سيرَة عُمَريَّةٌ وَأَسْقَيْتُ ظَالميهَا الهِدَايَةَ فارْتَوى

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص191.
[2]: المرجع نفسه، ص193.

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا الَّذِي يُنِيرُ الدَّيَاجِي بِالسَّنَا بَعْدَ مَا لَوَى....[1]

سعى الأمير طول حياته من أجل اكتساب العلم الديني مرتويا بطيب المورد،من مجالس العلماء وجولاته وتفحص الكتب القديمة؛ فهو كان دائم الاعتكاف من حين لأخر. خاصة البحث في علوم الحديث فراح يفتخر بجوده العلمي وثقافته الواسعة، كما لا ننسى وهو القائد، الذي حمل جيشه على مقاومة المستعمر الذي داس أرضه الطيب، فغدا أول شاعر مغربي يفتخر ويبدي حماسه في الدفاع عن وطنه وبث روح الكفاح" وقف الأمير عبد القادر شعره في الفخر للدفاع عن كرامة الوطن وإيقاع روح الكفاح في نفوس الشعب، وقد حمل الأمير مسؤولية الإمارة ومسؤولية الرسالة الشعرية"...[2]

قرر الأمير حمل لواء الجهاد المسلح، فاغتنم الفرصة ليتوجه إلى شعبه بالقصائد الشعرية الحماسية قبل المعارك، وتصوير العمل البطولي لجنوده وتمجيدهم مثلما حدث في معركتي خنق النطاح ورأس العين إذ يقول الأمير:

اَلَمْ تَرَ في خَنْقِ النِّطَاحِ نِطَاحَنَا غَدَاةَ التَقَينَا كَمْ شُجَاعٍ لهُمْ لَوَى
وَكَمْ هَامَةٍ ذَاكَ النَهارَ قَدَدْتُهَا بِحدِّ حُسَامِي والقَنَا طَعْنُه شَوىَ....[3]

من خصائص العرب ولوعهم بالخيل والصيد، إذ يعتبر الفرس المرافق والصاحب والونيس للفارس وهو توأمه، ويتجلى هذا المعنى عند الأمير عبد القادر.فهو كان فارسا شجاعا، يحسن الامتطاء والحركة على الفرس، بالإضافة إلى فوزه في السباق وبراعته في الصيد، وحكاياته عن مؤازرة الفرس في حروبه.

وكأننا نلمس فيه شاعر الفتوة والفروسية عنترة بن شداد لندخل عالم الوصف إذ يقدم الأمير في شاعريته صورة المحارب الآخر في حرب الكرامة.

ووجد جانب آخر من الفخر عند الأمير عند ولوجه دار المنفى، أين ميّز بينها وبين الديار العربية مشيرا إلى فضل البادية على الحضر وخصالهم الحميدة ومنبع الطيبة والكرم بقوله:

يا عاذِرًا لامرئٍ قَدْ هَامَ في الحَضَرِ وعَاذِلاً لمحِبِ البَدْوِ وَالقَفْرِ

[1]: محمد فؤاد السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص196.
[2]: المرجع نفسه، ص198
[3]: المرجع نفسه، ص199.

لا تَذْمُمَنَّ بُيُوتًـا خَفَّ مَحْمَلُهَــا وتَمْدَحَنَّ بيُوتَ الطِّينِ والحَجَرِ....[1]

يشير الأمير إلى حياة البدوّ التي امتازت بالكرم وإغاثة الضائع، ومأوى المستغيث، والبدوّ هو مهد الأصالة في الدين واللغة.وديوان الأمير غني بأغراض أخرى نطرق الغزل لنتعرف على أهم موضوعاته.

ـ صورة المرأة في الشعر الأمير

اتصف الأمير برهافة حسّه ورقّة شعوره تجاه المرأة باعتبارها تمثل الحب والاشتياق، الذي كان يعاني منهما الأمير في غربته؛ إذ أنّ الأمير كان عنيفا في الدفاع عن الحق، وقويا في مواجهة العدوّ، وحازما بعنجهية البادية وعنادها؛ إلا أنّه يلين أما سلطان الجمال.

أ . والدته

تلقى الأمير تربية روحية وخلقية، جعلته يرتبط بوالديه، خاصة والدته؛ التي أحبها، وتعلق بها مما أدى إلى ظهور التيار العذري في أشعاره" من هنا تبدو في شعره هذه الطهارة والعفة...[2]

يتفق الأمير عبد القادر في احتواء الغزل على معجم لرقة الشعور ودواعي الإنسانية، وهذا ما لاحظه الكثير من النقاد ودارسي شعره؛ إذ نجد شخصية الراقية في المعاملة والتقدير العالي للمرأة وللحب والجمال.

وفي قصائده الغزلية نجد اللمسة الصوفية متجلية في أبياته والصفة الروحية تطغى على الصورة الكلية، فهو مفتون بالجمال الذي يطبق الأفاق، ويلتفت إلى مواطن الجمال السابغ والخالص من الزيف، وكأنّه في مرحلة عنده لمحبة الجمال المطلق للشعراء العذريين والصوفية.تجسد هذا الجمال في مسؤولية الأم وهي تسهر على رعاية ابنها وتربيته على خطى الإسلام، والطريقة القادرية، فكان التآلف بين الصوفية ونفسية الأمير، كما تطغى فروسية في هذا النحو بالتعبير عن الانبهار من إنسانية

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص208.
[2]: المرجع نفسه، ص217.

المرأة البدوية وهي تأخذ بيد المرأة الحضرية اللواتي كنَّ أسيرات لدى الأمير إثر حربه ضد الغازي الفرنسي." أما النساء فقد كنَّ يرسلن بلا استثناء إلى الزمالة حيث تعتني والدته بهن"....[1]

نستشف من ذلك أن الأمير عبر عن مكنون الجمال في ما رآه من طيب النفس، جمال الصبر ودرجة الكمال في تذوقه اللا محدود .

ب . سلطان الجمال

لا يختلف هذا الغزل عن غيره، فهو يستحضر الجمال بنظرته الذاتية، ويزاوجه بإيقاع الشعر ويرسله ليطلع الأجواء، وهو يعرض علينا حبه للطبيعة. كيف لا وهو مهيأ للتفاؤل والقبول والإقبال على الخير الذي في الوجود، فقد تألقت شاعريته في التغزل بمدينة تلمسان مشيرا إلى أمرين مناخها بقوله:

وَذَا رَوْضَ خَدَّيْهَا تَفَتَّقَ نَورُهُ فلا تَرْضَ عَنْ زَاهِي الرِّيَاضِ عَدَاهاَ...[2]

افتتن الأمير بجمال تلمسان من خضرتها التي تفتقت من مناخها الرائع، كما تعرض أيضا إلى ملمح الصورة الفاتنة، التي تبعث الحسن في درجة من الكمال الطبيعي؛ إذ أن الأمير أشار في مناسبات كثيرة ولعه بالأشياء الطبيعية والبسيطة، يشيد الأمير بقيمة الجمال وما ينطوي عنه من ميزات أهل تلمسان فيقول:

وكَمْ رَائِمٍ رَامَ الجَمَالُ الَّذِي تَرَى فَأَرَادَهُ مِنْهَا لَحْظُهَا وَمَنَاهَا

وَحَاوِلْ لَثْمَ الخَّلِ مِنْ وَرْدِ خَدِّهَا فَضَنَّتْ بِمَا يَبْغِي وَشَطِ مَدَاهَا

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص55.
[2]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، ص151.

وَكْ خَاطِبٍ لَمْ يُدْعَ كُفْءًا لَهَا ولَمْ يَشُمَّ طَرَفًا مِنْ وَشْيِ ذَيْلْ رِدَاهَا...[1]

استحضر الأمير جمال الطبيعة في قصائده سواء تعلق بالطبيعة الجزائرية و الطبيعة العربية. خاض غمار الرحلة، إذ أبدى انبهاره بالديار المقدسة عندما سئل عن أحوال مكة.

طال غزله للمرأة وحفل بحضورها وهو يمثل المحبة والإجلال للمرأة، وانعطف الأمير عبد القادر تلقائيا نحو خصية صدق العطاء في المرأة وتلازمهما خاصة عندما كان بعيدا عن زوجته في المعركة أو المنفى فهو يعبر عن شوقه وألم عنها تغزلا:

إِذَا مَا النَّاسُ رغبُ فِي كُنُوزٍ فَبِنْتُ العَمِّ مُكْتَنِزِ وَزَادِي

وسُلْطَانُ الجَمَالِ لَهَا اعْتِزَازٌ عَلَى ذِي الخَيْلِ وَالرَّجُلِ الجَوَادِ....[2]

ارتفعت النسبة الروحية في شعر الغزل عند الأمير لما كان يعاني من ألم الغربة، فقد بني حبه لزوجته من العفة والحرمان، واتخذ من ذلك التعبير عن شخصيته المتألمة بقوله:

تَرَكْتُ الصَّبَّ مُلْتَهِبًا حَشَاهُ حَلِيفُ شَجِيٌّ يَجُوبُ بِكُلِّ نَادِ

وعن مأساته يقول:

غَرِيقٌ أَسِيرُ السَقْمِ مَكْلُومُ الحَشَا حَرِيقٌ بِنَارِ الهَجْرِ وَ الوَجْدِ وَالصَّدِّ

غَرِيقُ حَرِيقٍ هَلِ سَمِعْتُم بِمِثْلِ ذَا؟ فَفِي القَلْبِ نَارُ والِمِيَاهُ عَلَى الخَدِّ

وعن الفراق يقول:

أَقُولُ لِمَحْبوبٍ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِي عَلِيلاً بِأَوْجَاعِ الفُرَاقِ وبِالبُعْدِ

[1]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، مرجع سابق، ص151.
[2]: المرجع نفسه، ص145.

أَلاَ !هَلْ لِهَذَا البَينَ مِنْ آخرٍ؟ فَقَدْ تَطَاوَلَ حَتَّى خِلْتُ هذَا إلَى اللَّحْدِ...[1]

وما نلمسه في شعر الغزل عند الأمير عمق إنسانيته بتوظيف معنى الحب واشتياقه إلى زوجته فقد ولج علم التناقض في التعبير عن حالته المعذبة وتدلل المحبوب، في مقارنة بين ما يحس به الشاعر وما تشعر به زوجته وأبناؤه،كما يبيِّن حالته وتداعيات المأساة التي يعيشها، والليل الطويل، أين يرتسم طيفها الجميل، فهو يدخل في حوار مع هذا الطيف يعاتبه ويسأله الوفاء والوصل باحثا عن دواء الحبّ وساعة الفرج، والخلاص من الوجد والألم.

إن شعر الأمير عبد القادر مرآة عصره، وهو بمثابة صفحة عن حياة الجزائر، عرفنا قداسة الوطن عنده، ومكارم أخلاقه، وجماليات الرجل الفارس الإنساني المحب، قد جمع شعره معتركات حياته من الصغر وهو ابن البادية إلى الكبر وهو ابن الحاضرة، شعره ذو قيمة حضارية بحماسته ونسيبه ودواعي الصوفية فيه، شكل الشاعر المغربيّ المطلق في عصره، وبداية لشعراء آخرين، خلده شعره في كل محطاته الاجتماعية والسياسية والإنسانية، والشخصية، والعلمية والصوفية.

ب ـ الأمير عبد القادر ناثرا

أرسل محي الدين ولده عبد القادر لدراسة العلوم العربية والدينية في وهران " في السنة 1821 للميلاد عندما بلغ أربع عشرة سنة أرسله والده إلى مدرسة وهران التي كانت بإشراف أحمد بن خوجا فبقي فيها سنتين يتعلم العلوم العربية والدينية، فجد في تحصيلها وطالع كتب الفلاسفة ودروس الفقه والحديث وأصول الشريعة على يد أستاذه أحمد بن طاهر البطيوي قاضي أرزيو"...[2]

سهر محي الدين على تعليم ولده تعليما جيّدا، بحيث هيأه وعلمه المبادئ الأولى ثم أرسله إلى وهران ليكمل ويتمم هذه الدراسة على يد أجلاء العلم ورواده في مختلف العلوم الذين اشتهروا في هذه الولاية، فالأمير لم يضيع فرصته وثابر في تلقي العلوم.

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص218،219.
[2]: المرجع نفسه ص35.

وبعد انقضاء سنتين عاد الأمير إلى القيطنة وساعد والده في تدريس الطلبة في زاوية العائلة، ويشرح آيات القرآن الكريم " وبعد عودته بدأ يلقي الدروس في جامع الأسرة حيث كان يعقب ويفسر أصعب الآيات و الشواهد وأعمقها"...[1]

نلاحظ أن الأمير أصبح مدرسا للقرآن، في السادس عشرة من عمره، فذلك يبين أنّه قد ملك ناصية اللغة، وفنون القول، فمهد ذلك للفنون النثرية عند الأمير.

إنّ المكانة العلمية التي وصل إليها محي الدين أدت به إلى الإقامة الجبرية في مدينة وهران خشية التجمهر حول الرجلين، فكانت إقامتهما مدة سنتين، أين قضاها كل منهما في المذاكرة والدراسة ولما انقضت المدة قررا الحج بعد السماح لهما من قبل حاكم وهران.

توجه محي الدين وولده إلى البقاع المقدسة للحج. وهي رحلة تكوين وتجهيز لخوض حرب المصير ضد قوة عسكرية، أبت الرحيل دون أخذ الثمن.

تحمل الرحلة تجربة الرجل، الشخصية " وهو ينقل لنا خبرته بالحياة والأشخاص والبلدان وعن التاريخ "...[2]

مارس الأمير فنّا من فنون النثر. وهي الرحلة التي قام بها رفقة والده، جابا دول عربية بعد تأدية فريضة الحجّ، أين تلقى التكوين الثقافي، فأخذ يدون مراحل هذه الرحلة بتسجيلها التاريخي لأمور شتى وهو في مقتبل العمر.

اطلع الأمير على فنون نثرية قبل اعتلائه عرش الملك، وهي حسن القول في توجهه إلى الطلاب والمريدين لتزويدهم بالعلم والتفسير والشرح؛ فذلك يستلزم براعة القائل وحسن توظيف اللغة في تقيم المادة العلمية، إضافة إلى ذلك فهو قد ارتحل إلى خارج وطنه لتأدية فريضة الحج رفقة والده، ثم من بعد ذلك زارا عدة دول عربية استطلعا منها أحوال الناس ونمط عيشهم، والالتقاء بشخصيات مهمة كمحمد علي باشا في القاهرة، وتحليقهما بالجوامع الكبيرة والاستزادة من علمائها كجامع دمشق الكبير، وزيارة أضرحة الطريقة القادرية ببغداد وعدة دول أخرى. لقد أتاحت هذه الرحلة للأمير فرصة الاضطلاع على سير حياة الحكم والإدارة السياسية والاجتماعية وسير الحركة العمرانية، والتطورات

[1]: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص36.
[2]: عمر بن قينة، رحلات ورحّالون، في النثر العربي الجزائري الحديث، ص29.

العصرية التي ارتسمت في ذهنه؛ إذ أشرف على كتابة مذكراته وتسجيل خطوات جولاته، وما ميزها من أحداث وشواهد ووقائع؛ في وصف تونس:"أعجبنا تأنقنا وشغلنا ترنقا وبعد اطلاعنا على مساجدها البهية وأشواقها الشهية قلنا إنّها والله لهية"...[1]

أدرك الأمير من رحلته إلى المشرق القيمة الحضارية الحديثة. وزاد ذلك من إصراره على تكثيف الدراسة والتفقه في جميع الميادين، درس كتب المشاهير في عهود قديمة، وتعمق في الفقه والحديث والفلك، والجغرافيا، وفنون اللغة والبلاغة، وأصول علم الكلام.

بعد انعقاد البيعة بين أشراف وأعيان القبائل؛ التي توّجت الأمير قيادة البلاد والسير بها قدما نحو الحرية والاستقلال، فهذا اليوم التاريخي تم اختيار الأمير عبد القادر القائد الأوحد للمقاومة، ونشر راية الجهاد، فبدأ في تنظيم الصفوف وحشد الجيوش، وتشكيل الهيكل التي تمثل أسس الدولة الحديثة.

استغل الأمير عبد القادر رصيده الفكري والعلمي في إرساء شريعة دولته وحكومتها. فكان شغله الشاغل توحيد الشعب الجزائري يدا واحدة، وكبح التمرد بتوظيف الكلمة القوية.

ـ الخطابة والرسائل:

يشير الركيبي أن الخطابة باتت تقليدا ، وتميزت بالتكلف، واقتصرت على المناسبات الدينية،كما عرفت الجمود والضعف" باتت الخطابة تقليدا أكثر منه إبداعا وفنا"...[2]

ويضيف أن هذا الفن عرف طريق التغيير بفضل الأمير عبد القادر، وبعض المثقفين، الذين ملكوا ناصية القول ودور الخطابة في مواجهة الاستعمار" تستمر الخطابة على هذا النحو في الجزائر بعد الاحتلال لولا ظهور الأمير عبد القادر وبعض المثقفين الذين ملكوا ناصية القول وأدركوا خطر الخطابة في الدعوة إلى الجهاد"...[3]

تخلصت الخطابة من التكلف، والأساليب القديمة بارتباطها بالهدف الجديد، الذي خطت لأجله، فهي عدّت وسيلة فاعلة في حالة استنفار القوى، وحشد الهمم لتحرير الجزائر؛ نرجع بذلك

[1]: عمر بن قينة، رحلات ورحّالون، في النثر العربي الجزائري الحديث، مرجع سابق،ص46.
[2]: عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص16.
[3]: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى عهد النبيّ صلوات الله عليه وسلامه حين أعطى الإسلام كل الاهتمام بالخطابة لكونها وسيلة من وسائل إنهاض الهمم للدعوة الإسلامية. وربما نستطيع أن نقول عنه تناصا بين مهامي زمنين مختلفين.

بعد أن تمت للأمير البيعة، كان لابد له أن يتوجه إلى جيشه بكلمة ليقوي فيهم الهمة والاستعداد لعهد جديد، وينمي فيهم الثقة حتى أصبح يتحكم في هذا الفنّ في كل مناسبة" خطب يوم الإمارة خطبة الولاية والعهد يتصرف في الخطب المنبرية للجماعة تصرفه في الحديث والخطط الحربية ومحاورته مجالس الشورى ومراسلات الموالين والخارجين"...[1]

اكتسب الأمير مهارة في فنّ القول بالموازاة بالمهارة الحربية، فهو قد أحسن التصرف بالخطب بحضور العلماء وأولي الذكر ليؤازروه في مهمته فنال المنزلة الرفيعة عند الجماهير، وذلك نتيجة ملازمة الأمير لشعبة في توجيهه وتعليمه.

باعتبار خطبة الجمعة التي كان يتخذها هدفا تعليميا، فهو يتجه إليهم يرتجل الفكر والأسلوب الراقي حسب المقام أو الحال. وقد كان قبل الشروع في مباغتة عسكرية يتوجه إلى جموع الجيش بخطابه المحمس المصحوب بالانفعال المبهج، ويدعم قوله بأبيات شعرية " استرسل الأمير ذات يوم في خطبة الجمعة بالمسجد الكبير ـ معسكر ـ وبعد حين لمح شيوخ بني عامر بين الجموع فوجه إليهم نداء وظل يخاطبهم لأنهم كانوا قد امتنعوا عن أداء الضرائب حتى يستأنف القتال، ثم انتهت الخطبة باستجابتهم وأدائهم ما عليهم من المال"....[2]

نجد الأمير بعد هذا الواقع المتغير يختار كلماته وتعبيره لينفذ منها إلى الهدف المنشود، فعندما توجه إلى الجموع داعيا إياهم إلى التكاتف؛ ذكّره بأغراض الاحتلال، وسياسته المتسببة في اضطراب الأحوال، وواجبنا نحو الوطن . فالأمير في إحدى خطبه :" "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" ويضيف" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"ثم يقول "وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا وصدقناهم فغدروا وصبارناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم فلا

[1]: محمد السيد محمد علي الوزير،الأمير عبد القادر الجزائري وأثره في ثقافته، ص34.
[2]:المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نلبث أن نراهم قد فتكو بنا على حين غفلة" فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل وأزيلوا من قلوبكم دواعي الجوف والوجل "...[1]

الحماسة لدى الأمير مهمة في مواجهة العدوّ. لذلك كان يتوجه إلى جموعه بقوة وحماسة اعتمد على القاعدة الدينية، في توجيههم ووعظهم.لذا فالخطابة أدت وظيفتها في خدمة القضايا الوطنية الدينية منها والسياسية،والاجتماعية،كما تميز بثقته البيانية مثلما كانت ثقته باللياقة العسكرية.

والرسائل فنّ كتابي عرفه العرب المسلمون في العصور القديمة، منذ بداية الكتابة الديوانية، وهي عدة أشكال، منها ما ترتبط بالدولة، ومنها تكون شخصية، والأمير ليس ببعيد عن هذا الفنّ الذي وظفه لخدمة القضايا الوطنية، واتخذت شكلا مميزا لأسلوبها السهل وخلوها من التكلف " فهو في هذه الرسائل قد خطا بالنثر خطوة واسعة حرره فيها من الأسلوب العتيق ومن الركاكة وجعل منه وسيلة للتعبير عن الأفكار الحديثة "...[2] (ملاحق ص209،210)...[3]

لرسائل الأمير دور في الحفاظ على الحق الجزائري. كما ساهم في تطورها من حيث ترقية موضوعها، وأسلوبها، فالأمير كتب الرسائل مثلما يتكلم بإيجاز، بعيدا عن السجع، وتقليد القدامى متأنقا في ألفاظه بمرونة ولين.وبهذا نجد الرسائل السياسية تلك التي توجه به إلى الفرنسيين في المعاهدات والمفاوضات كالتي بعث بها إلى الجنرالات ك بيجو ردا على رسالة معاهدة الصلح المقدمة من قبله نذكر قوله:" بعد المقدمة ...ودولتكم تدعي أنها أول دولة في العالم تحب الإنصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به ففعلها هذا يكذب دعواها ويبطل مدعيها. وأنتم وغيركم من رجالكم نراكم . دائما . تساعدونها على الاعتداء والاغتصاب وتبدون أنفسكم في ذلك ابتغاء مرضاتها" وبعد أن يسوق أمثلة مما يرتكبه الجنود الفرنسيون من تخريب وتدمير وما يتعرضون له أيضا من قتل فإن الأمير يظهر شجاعته ويسخر من أساليبهم"...[4]

[1]: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري وأثره في ثقافته، مرجع سابق، ص 18،19.
[2]: المرجع نفسه، ص46.
[3]: بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف،ص(71/70،137/136)
[4]: : محمد السيد محمد علي الوزير،الأمير عبد القادر الجزائري وأثره في ثقافته، ص50.

يحبذ الأمير السلام على الحروب ويبغض الأعمال التي يقوم بها الاستعمار ثم يتظاهر بالعدل والمحبة. يوضح الأمير أنه متفطن إلى هذه الأساليب، ومستعد لمواجهته دون تردد فالرسالة واضحة المقصد سهلة الألفاظ وموجزة العبارة دون تكلف وبأسلوب مباشر.

لقد تطورت الخطابة والرسالة في عهد الأمير عبد القادر، وذلك لأنهما أدتا وظيفتهما وارتبطتا بالواقع، وبعد عرفت مرحلة الركود إلى أن ظهرت النهضة الحديثة على يد ابن باديس وجمعية العلماء.

6 – القيمة الحضارية:

بن نبي عن الحضارة فيقول:" الحضارة هي إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ فيبني نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته... وتتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل فيحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى...[1]

أُسند إلى الأمير عبد القادر مهام السلطان. عمل على تجسيد فكرة وحدة التراب الجزائري وتوحيد الصفوف؛ لأجل مواجهة العدوّ الذي يهدد وجوده وهويته.فاتخذته بعض الدول اسما على ولاياتها، وهذا ما حصل لإحدى مدن الولايات الأمريكية.(ملاحق ص211)..[2]

فمن شروط الحضارة حضور القابل للتحضر الذي يمتلك القدرة المعرفية، والإمكانات العلمية اللازمة لأجل توظيف ذلك في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والثقافية في وقت وأرضية محددين؛ فالأمير عبد القادر الجزائري تعلم وتحصن بالقرآن الكريم والسنة النبوية ككل مسلم في البلاد الإسلامية. ثم أتمم تعليمه في شتى العلوم على يد شيوخ أجلاء داخل الوطن وخارجه، وكان يذاكر في

[1]: بونوار نادية، إشكالية الصراع الحضاري، الموريات مجلة دورية في علوم اللغة والنقد والأدب والقانون والإدارة والاقتصاد والتجارة، العدد الثالث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ديسمبر 2012، ص90.

[2]: بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف،ص75 عن مجلة الواحة الإماراتية ص8.

كل وقت، ومما زاده معرفة واضطلاعا الرحلات التي قام بها مع والده أثناء رحلتي الحج؛ إذ أنه استطاع أن يطور فكره ورأيته لمستقبل العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة.

كون الأمير عبد القادر الجزائري نفسه لمواجهة المستعمر الفرنسي انطلاقا من الزاوية التي رسخت فيه حبه للعلم، وتمسكه بقيمه، وتربيته الدينية، وواجبه نحو وطنه.

استطاع الأمير عبد القادر أ يؤصل في بناء دولته وفق المنهج الإسلامي، ابتداء من بيعة القبائل له سلطانا وقائدا، والذي سمح له بتوحيد صفوف المواطنين وتهيئتهم، وتكوينهم ثم قيادتهم في مواجهة لإثبات هويتهم.

حقق مكانته بين صفوف الجزائريين إذ استطاع أن يرغم الفرنسيين على الاعتراف بكيان الجزائر ووجوده؛ إذ قاده إلى إبرام المعاهدات المتتالية باسم الدولة الجزائرية، فبسط الأمير سلطته وعمل على تنظيم مجالاته في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم، وأنشأ عُملة خاصة به، وألف علاقات ودية ودبلوماسية مع مجموعة من الدول العربية والأوروبية وجعل مجالا للعمراني قصد الدفاع العسكري كما اهتم بترقية الحياة الاجتماعية، وتنظيمها بالاهتمام بمجال القضاء وفق الشريعة الإسلامية، ورسم للبلاد راية استوحاها من التقاليد الشعبية رمزا للدولة "اتخذ علما.. وهو قطعة من القماش الأبيض تتوسطها يد مفتوحة والبياض رمز الطهارة والجدّة والصفاء واليد الخماسية للتعود من الحسود.."...[1]

أدرك الدارس الأجنبي عبر ما توصل إليه حقائق قوة الأمير، وأعجب بعبقريته. فحاول تحليل فكره حتى في أمور بسيطة، لأنها أثبتت عظمته وتأثيره.

وحتى لما نفي خارج البلاد؛ حيث لم يضيع سنواته؛ بل قضايا في المذاكرة، والتعليم، وشارك في إنقاذ البشرية من حرب أهلية بدمشق؛ والتي تناقلتها كل الأوساط الإعلامية حتى الآن في تحليل التاريخ الحديث ومحالة قراءة الذهنية وتفسير نظرياتها.

[1]: شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، د،ط،م الجزائر، 2004، ص07.

جاب الأمير عبد القادر البلاد العربية، وزار بعض البقاع الغربية. لكن ارتأت الجزائر أن تستعيد ابنها البار وتعانقه أرضه وتدفئه تربتها. وتتشرف الجزائر بهذا الرمز في كل مكان وزمان، لأنه حي فينا. استرجعت الجزائر جثمانه، ودفنته تخليدا لعمله الجليل وهي تنعم بالاستقلال والحرية.(ملاحق ص212/211)...[1] ولازالت حتى الآن تتناوله الفضائيات؛ تحلل وتناقش مسيرته العجيبة.

[1]: بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف،ص(357/356)،ص212/211

خـــــــاتمة

خاتمة:

شهد المجتمع الجزائري ما يمكن تسميته "بالصدمة الثقافية"، جراء دخول الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الجزائر، واحتكاك ثقافته وحضارته بالثقافة الغربية الحديثة، وانخراطه في مسيرة التحديث والتغيير.

ولقد كانت لهذه التغيرات التي طرأت على المجتمع، انعكاسات على بنية وحجم المجتمع الجزائري ، وعلى منظومة العلاقات بداخله، وعلى هويته الوطنية، وقيمه الدينية والاجتماعية.

فالاستعمار منذ احتلاله للجزائر، وهو يحاول محو الصفة العربية الإسلامية، وطمس الشخصية الجزائرية، ورسم الصورة الفرنسية في كل المجالات؛ في الإدارة بوضع سياسة جديدة، وإرساء تعليم حكومي فرنسي للفرنسيين والمجنسين، والاستيلاء على كل مواقع الإنتاج، وتجريد المواطن الجزائري من كل حقوقه إلا الذين يمتثلون لسياسته، قصد القضاء على هوية الفرد الجزائري.

على صعيد القيم الدينية والاجتماعية؛ فقد ساهمت تلك التغيرات في إدخال بعض التعديلات عليها، لاسيما فيما يخص تصور هذه القيم، ودرجة تجسيدها واقعيا. بالرغم من تأثر المجتمع الجزائري بهذا التحديث، سواء في بنيته وفي علاقاته الداخلية، واختلال قيمه الدينية والاجتماعية وتماثلهما إلى الضعف؛ التي سادتها انتشار الأمية والجهل والآفات، والفقر... حاول المجتمع التمسّك بعناصر ثقافته التقليدية في جميع هذه المجالات .

ويعد البحث في أسباب استمرار الهوية الجزائرية، والمحافظة على القيم الدينية والاجتماعية بالمقابل بقاء معدلات الأمية، ومعدلات التشريد والفقر مرتفعة، بالموازاة عرف المشرق ظهور الأفكار التحررية، ورواد الإصلاح التي امتدت إلى أرض الجزائر على يد مصلحين جزائريين؛ اقتفوا أثره بعد هجرتهم ورحلتهم الكثيرة إلى المشرق، وظهرت الفكرة المجسدة في صراع بين المكافح والاستعمار وسارت في طريقها إلى التجريد والكينونة.

نحاول في هذه الدراسة عرض بعض جوانب الوعي الفكري في المحافظة على الهوية الجزائرية والقيم العربية الإسلامية؛ من عمل رجال خلّدوا تاريخ الجزائر الحديثة، والذي جسدوه على أرض الواقع، في مرحلتي العصر الحديث بدءا من فترة الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، إلى فترة النهضة الإصلاحية والأدبية. نتج عن ذلك الكفاح المسلح الذي جسدته الثورة الجزائرية الكبرى فكان الاستقلال والنصر؛ إذ ساهمت الأول في ولادة أخرى.

نأمل أن يكون البحث قد قدم إسهاما في مجال البحث العلمي حول قيم الفكر الحضاري للجزائر في فترة اتسمت بالركود، ثم سارت في طريقها إلى الحركية، وهي من ألمع فترات الجزائر الحضارية، خاصة في إرساء أول دولة جزائرية كيانا وروحا. والأمل، كل الأمل أن تكون مساهمتنا ولو بقليل نحو دراسات أخرى حول الموضوع.

ومن هذه الأسطر التي ارتسمت على صفحات هذا البحث، يمكن أن نستخلص بعض النتائج والتي نجملها في هذه النقاط:

1. وجود الإنسان الفعلي يستدعي وجود القيم؛ التي تشكل لديه الهوية الثقافية والتربية، والمنهج في مواجهة إشكالية الحضارة.
2. اهتمّ المجتمع العربي الإسلامي في الوطن العربي الإسلامي عامة، والجزائر خاصة بمنظومة القيم، المستمدة من تراثه العربي، والإسلامي، والثقافي، والحضاري.
3. إنّ تنظيم المجتمع وحياته وحركته تتوقف على نظام الأفكار، واستقرارها لتشكل جزءا هاما من أدوات التطور، لكن ذلك اصطدم بالاستعمار؛ الذي أحدث تغييرا في عالم الأفكار والقيم، وبفعل القوة انساق المجتمع المستعمَر في طريق التخلف والتقليد، لكن ذلك لم يدم طويلا؛ إذ عرف الفكر استقلال الرؤية، والمنهج في بناء الذات، والتواجد من جديد.
4. حدث التواجد إثر انتشار الحركة الإصلاحية والدفاعية، بدء من عمل الأمير عبد القادر الجزائري؛ الذي انتفض ردا على استعمارية العدوّ الفرنسي للجزائر وسياسته الاستيطانية. وسوف نترك الإشارة إلى مساهمته في النقاط الأخيرة وذلك حسب تسلسل البحث.
5. تطرق إلى بعض رواد الإصلاح الجزائريين وتكوينهم ـ دور الإنسان في بناء حضارته ـ والأسس الذين وقفوا عليها لحمل لواء الإصلاح، والسبل التي وظفوها للارتقاء بهذا العمل والوصول إلى النتائج المرجوة.
6. إستراتيجية رواد الإصلاح ـ الفكرة الدينية ـ شهادة تظل مفيدة، وضرورية لاستئناف البناء الحضاري وفق منهج إسلامي يؤكد على مطابقة الفكر والسلوك والأداء.

7. كانت الحركة الإصلاحية مناخا مناسبا؛ لبعث الوعي، والفكر في أوساط الشعب الجزائري بإعادة هيكلة سياسة التربية والتعليم، وبناء المدارس، ومراكز العلم، وتصحيح المناهج، وفتح الآفاق لاستكمال التعليم بالخارج، وفتح الأبواب أمام الإبداع وتحمّل المسؤولية.

8. ركّز المصلحون على صناعة الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، في تعليمها، وفكرها وأدبها؛ بإحياء التراث العربي الإسلامي، والمحافظة على مقوماتها من لغة ودين وعروبة وربط التاريخ والحضارة السابقين بالأجيال اللاحقة.

9. شهدت الجزائر بالحركة الإصلاحية نهضة فكرية، بتطور وسائلها كولوج عالم الصحافة، وفتح مجال الإبداع أمام الأقلام الوطنية. وانتشرت المطابع والجرائد والمجلات، التي كانت تعبر في مضمونها عن قضايا الفكر والثقافة والأدب وتواجه المكائد والبدع التي تلوث قيم الشخصية الجزائرية.

10. زاد تطور الحركة الإصلاحية ارتشافها من الأفكار الإصلاحية المشرقية، وذلك بإرساء جسور الترابط الفكري والعلمي والحضاري عبر الرحلات التعليمية، والبعثات العلمية ومراسلات التشاور بين أبناء الوطن العربي.

11. للحركة الإصلاحية دور بعث النهضة الأدبية؛ إذ كثر الإنتاج الأدبي التي استخدمت الكلمة للحفاظ على القيم ومقاومة الاستعمار، المطالبة بالحقوق والحرية والاستقلال من جهة، ودفع عجلة الإبداع والتأليف وخلق الأجناس الأدبية من جهة أخرى.

12. لهذه النهضة الإصلاحية والأدبية جذور؛ فهي امتداد لفكر تألق مبدعوه. إذ عرف عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ازدهار الحياة العلمية وتوّج بغرس بذرة المقاومة وجمع الشعب الجزائري في روح وشخصية واحدة. وصنع هويتها، ووجودها في دولة جزائرية حديثة.

13. نجح الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء أول دولة جزائرية حديثة بقيادة شعبه يدا واحدة، وقلبا واحد، وإنشاء كافة مجالاتها، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق مناهج وقوانين مصدرها العقيدة الإسلامية، وقيم الرسالة المحمدية.

14. أظهر الأمير عبد القادر الجزائري تفطنه، وحنكته في إدراك الحل الاستراتيجي في مقاومة العدوّ، وذلك ما انبثق في الثورة التحريرية الكبرى المسلحة" ما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة".

15. الأمير عبد القادر الجزائري قائد سياسي محنك بشهادة العام والخاص، ومفكر رسم خطوط دولته على آليات، وقوانين استمدها من الشريعة الإسلامية، نتيجة تربيته الصوفية تعليمه، ودراسته، واحتكاكا بالعلماء، والمفكرين، والقادة من أنحاء العالم العربي وشخصيات غربية، بالإضافة إلى إنتاجه الأدبي ومواقفه تجاه المسلمين وغيرهم .

16. الأمير عبد القادر الجزائري رمز من رموز المسيرة الحضارية في القرن التاسع عشر أنشأ منظومة القيم في الوطن، بقيادة تيار المقاومة الفكرية والسياسية تارة، وخارج الوطن بقيادة تيار الإنسانية وروح التسامح الديني، فأرّخ الباحثون خطواته في بناء الحضارة.

17. الأمير عبد القادر الجزائري أعجوبة عصره، انبثق عن مسيرته عيون الفكر في تدارس سيرته، وآثاره الشعرية والنثرية، وكذا بعث المناقشات حول نسبة بعض مؤلفاته، وولوجه عالم التصوف، وكذا منهجه في فقه التعامل الإنساني.

18. الأمير عبد القادر الجزائري قيمة لمجموعة من القيم، نفى قابلية المسلم للاستعمار وأكّد على قابليته للتطور، عندما قاد وصنع من شعبه المستعمر كيانا واحدا، وطور فكره فوقف وقفة رجل واحد للدفاع عن وطنه وعقيدته، وعلى أرض أخرى حمل لواء الحق والعلم وأسس بهما قانون التسامح والتعايش السلمي، ورفع صوت الإنسان الذي كرمه الله. فاستحق عناية كل باحث في التنقيب عن خفايا هذا الرجل الذي أنار عصره وبقي اسمه يتردد على ألسنة العام والخاص والعربي والأجنبي، ويتربع على صفحات الكتب، والدراسات، وتناولته الفضائيات تحليلا لحياته الفكرية، والثقافية، والأدبية والعسكرية. ولأنه رمز من رموز الجزائر والإنسانية جمعاء.

الملاحق

[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

هشام الغزاوي

تقرير خبرة فنية

دمشق الشام 21 جمادى الأولى 1420هـ
1 أيلول-سبتمبر 1999م

مقدمة:

(1) إنني، الخبير المحلّف هشام الغزاوي، بشؤون الوثائق، لدى وزارة العدل السورية، خلال 28 عامًا، من 1952-1979م، أكتب هذا التقرير بخط يدي أمام الرأي العام العربي والإسلامي، وأمام التاريخ والأجيال القادمة، شاكرًا سموّ الأميرة "بديعة الحسني الجزائري" بدمشق الشام لتقديمها لي ما لديها من وثائق تاريخية ثمينة بخط الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله؛ لمقارنتها بوثيقة قد نُشِرَتْ "صورتُها" في مجلة: "مسالك" "*İTİNÉRAİRES*" في العدد 2 جانفي-جوان (كانون الثاني-حزيران) 1998م. في الصفحة 24 تحت عنوان: الموقف 180. والمجلة المذكورة هي بالأصل: سداسية الصدور سنويًا في الجزائر عن "مؤسسة الأمير عبد القادر"، ورئيس تحريرها المسؤول: الدكتور شيخ بو عمران، وذلك بمساهمة: "وزارة الشؤون الدينية-وجامعة الجزائر". ويرأس مؤسسة الأمير عبد القادر السيد "ڤريس الجزائري".

وأُبادر، من تلقائي، بالقيام بحلف اليمين القانونية-أمام الله-لأداء خبرتي الفنية بصدقٍ وأمانةٍ ودقّة، داعيًا الله تعالى أن يجعل كلَّ واحدٍ وواحدةٍ منّا الأداة التي تدحض الباطل الزهوق، مهما أُهمِل فَصالَ وجال، وانطلى على الناس أو على غير أهل الاختصاص عبر الزمان والمكان؛

(2) خطورة التزييف أو التلفيق أو الخديعة في الوثائق التاريخية: تبدو جليّةً وبالغة الأثر على تاريخ الإنسانية، وعلى تاريخ الأمم وأمجادها.. وإنّ شيوع أخبارٍ سيّئةٍ ومخزيةٍ مثلًا عن "هارون الرشيد" الذي كان يحجّ سَنَةً، ويغزو في سبيل الله سنة.. يحطّم رونقَ أمجادنا، ويُلغي إمكان اعتزازنا برجالنا وعظمائنا فلا ننتج المزيد من الرجال والعظماء؛ بل يَفتح الأبواب أمام الخَلَف كي يكونَ مثل السلف في الصورة الفاسدة التي نتصوّرها بأذهاننا، وبأنفسنا.. أو يكونَ في الخلف مَن يستفيض الإجرام في الفساد في الأرض والبحر.. فيمضيَ في التيه، وكأنه لم يفعل شيئًا ضالًّا أو مستنكرًا سوى: "المألوف والمعروف، والمشهور والقديم.. والمتكرر"...

• وقد عانت أمتنا الإسلامية المعاصرة، في أوائل التسعينات، أزمةً انطلقَتْ من لدنّا، ومن بين أيدينا، وعلى نفقتنا.. وبإشراف عالم تركيّ برتبة بروفسور دكتور قد تخصّص في التاريخ من جامعاتنا العربية بمصر، ويرأس إحدى منظمات "مؤتمر العالم الإسلاميّ" في استانبول المجيدة؛ فجابهتُه بأقصى ما أستطيع من

-1-

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص185.

الوثيقة 2 بمراسلة الأمير الخير الحوات مع الأمير الغزواني

المولد وهو — صلى الله على سيدنا محمد وآله

1 الوزير المعظم والجناب الفخم ومدبر امور الامم الجامع بين مرتبتي العلم والعلم امير الامراء القائم
2 السيد خير الدين باشا ادام الله السكام التابع والتابين بالمقام فانا بخير والحمد لله ورجوه والده ان
3 تكونوا انتم كذلك هذا وانه بلغنا خبر وصول البيعة الشرفية واركاد بلدير الى الحضرة ملتقين
4 الى محكوستا الله يدي امري ما يشاء به الملقى ازداد ويعضد اثره ويمهد الاثر كما يحبون
5 عاجلنا وايكم ظاهرون ان شاء الله بنجاح وادبهم وكيف لا وهذا امجاد دولة لم تزل وما تزال سامي
6 الفاخرة ومجلى الشارد ومورد اهزيا للصادر والوارد ومع ذلك فعلى كتابنا هذا من
7 تقديم الهناء الى مقامها الاسمى والتنويه الناوعه الى جنابها السني بان تتعلم بلطفه
8 فتلطم من عوادي الدهر وتستفزهم من شوك الكدر والغير وبانهم ما مر بوا عشهم زاد الوالد الماجد
9 فخير ما وكارت فلوبهم زادنا بطير هذا واشراقا بالكم الله عين اقاما لها واسكنه
10 عدة اماثلها فيرغب اليكم المساعدة بجميل ما املوه وبلوغ ما سالوه بعد الحاقنا عدة الوزراء
11 الوفد وتبرا الموسم واللوه المعنف واراه ما اشير وقا عليهم بالتوجه الى هذه الاقطار فعسى
12 الله ان يبلغهم بلوغ اماله وكان ذلك ان عوضوا لنا السيد محمد بن العربي ما هل
13 علينا وكان وده البيا زادا وهو يقرئ من فؤاد كم السنيه وسجاياكم البهيه ما ملأ القلوب
14 هيبة والصدور مسرة فالمرجو منكم ومن سنن همتكم ان تاهلوه بعين العميه وتعاملوه
15 معاملة تناسبه فانه بذلك جدير والله ولي التيسير والسداد

الخليفة
عبد القادر الحسني

-6-

الوثيقة 2 بمراسلة الأمير الخير الحوات مع الأمير الغزواني

المولد وهو — صلى الله على سيدنا محمد وآله

1 نستوهب الله جلت اسماؤه ومتوالات الالاء ان يديم الدولة الباذخ فخارها الشامخ
2 على الفهم منارها بيفاء حضرة مدبر شئونها بصائب آرائه منسي ذكر وزرائها الاولى
3 بوابور الآبه من تزينت بوجوده الايام وخلع عليها ملابس العز والاحترام الحامي
4 لحوزته هن نطوى المعسورين الرحب بصوارم سطوته جموع المعتدين الوزير الاعظم
5 والمشير الافخم امير الامراء مجناب الله السيد مصطفى لازالت عيون السعادة اليه راميه
6 وضوء السيادة اليه وامضه ورجعت عليه كؤه مخرجة العود باسمة من زهر البشر
7 بكل موعود اما بعد تقديص مقامه العالي وجنابه المتلالي بتحيات يتنسم
8 عبيرها من نوافج مسك الوداد وتسليمات يعبق نشر طيبها بكل واد ويتعطر به
9 كل ناد ورجع دعاء موجبه القبول لانه بانفاس المحبة موصول مغفور مكتوبكم
10 الشريف المشتمل على ذكر الخطاب اللطيف بمشاهدنا من انواره معاني بهيه
11 وارتشفنا منه كؤوس الغاظ شهيه وليحظ علمكم الشريف اننا من الواجبين لكم
12 على مرضية الولاء الراجبين الى الله تعالى الكف الطلب والالتجاء ان يديم لتلك الحضرة
13 السامية العز والاجلال واجتلاء وجوه التهاني ووجود الامال وان يسقيها مويلا
14 وطلاء ويجعل لها على اعدائها غلبة واستيلاء ملغية اليها الاعلياء بالمفاليد
15 خادمة لها الايام والليالي بعز عتيد وفتح جديد بمنه وكرمه حضا وفواهنيزا الاقاليم
16 بحضور الامر السامي بانجاز الموعود والوفاء بالامر المعهود جزاكم الله احسن
17 جزآبه وكان لكم يدا كان يدا ولياً به واشكد ان هذا من الاعلان الصالحة والمقاصد
18 الناجحة التي تبادر قبولها وتتسلسل الى الملا الاعلى موصولها واما قضية
19 السيد عمر الجودي ورميه ما العزو عيها مقبول ومقتضى السياسة فيها معروف
20 غير مجهول ونحن من دابنا الاتباع لا على وجه الاختلاب والامتثال للامر
21 به السنة وحض عليه الكتاب بل كان المشروع لم يحيل على الحليل ممن لنا
22 فضل الحوله على كل حال هاطل والله مسؤول كل مآيل وسؤال كل سابل ودمتم
23 محفوظين وبرعاية الله ملحوظين والسلام

المخلص الراجي
عبد القادر
الحسني

١٢٨٣
في ٩ في الفرع الجواب

7

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص191/190.

ARCHIVES GÉNÉRALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

الوثيقة 4
بمراسلة الخبير الخلف
هشام القروي

الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

مازرض معتبر المباسم معطر الرياح النواسم فدر الحمد الربيع فصوغه برود الحضرة وجعل
اشراقه للاتمم ضوء وازاهيره تتيه على الكواكب وتختال بخلع المغانم السوالب
بابهى من اهداء سلام وتحيات عطاء ورفع ادعيه وبث اشبه الى حضرة سيادة
من سبوغ مخمار الوزارة العليه ورفع من الامارة العضه ورفع الرايه وبلغ من
الاحسان الغايه بطارت مباهاته كل مطار وتغنى بها راكب البيداء وهادي القطار
سعادة الوزير الاكبر والامير الاشهر السيد مصطفى ابرحت الايام بوجوده باسمه
ورياح اقباله بالمسرة تاتمه اما بعد فالباعث على تسطيرها والحامل على وشيها وتحبيرها
المحافظة على المودة والوفا بحيث الايكون من نشرا بها مارأى وصفا والمامول
من تكون السيادة كذلك سالكة في محافظتها احسن المسالك هذا والسنة
الافاغ والمهاجرين تاجة بطريقكم لم تزل تلهج بخصالكم الحميدة ومزاياكم العديدة
التي جل فورها وسار مسير الشمس ذكرها ولما تكررت لنا وفودهم عليكم بالغيب أرسالا
كما تذاهب صبا اوشمال الرجب علينا ان نعلمكم بكل انهم من الانقطاع الى جنابكم
والتحيز الى جنابكم وأن اذكركم بامر الهم نذكرة حسنة لنعاملوهم بمقتضاها
المعاملة المستحسنة جريا على ما الفوه من إيضالكم واحسانكم وابقاء لما
تعودوه من اجمالكم وامتنانكم ولاشك ان هذا من الله تعالى من الاعمال الصالحة
السنيه والمساعي الناجحة البهيه ويسا دنكم اقبال الله المرتوف بوجاهه
وشرفه المسكوب الى برد اثمنه وطرفه ولن ازال العالي بجنابكم ومقداركم المنيع على
الدعاء لكم باوفات الاجابه والاماني المستطابه ودمتم

الراجي الخلص
عبد القادر الحسني

١٢٨٨
في ١٤ شوال

-8-

الوثيقة 4
بمراسلة الخبير الخلف
هشام القروي

الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة تاج الصدور والمحاليا حاويا لنوامي المكارم والعالي الوزير الاسطع
والمستشار الافخم امير الامرا هيبتا ومحل انعطفه السيد مصطفى لازال واري
زند السعد قويس الشرف والحمد امابعد اصدا سلام فخم الضبا ملاطفة
الردن مسيرة من وجه الخمس الى حضرة العليه جان القديس الروحي
اذا تعذر عليه اللفي ملاشك ان كتابه بفهوم مقامه ويعيد مرامه بالترجمه
من فالص وده والانباء من استمرار على كريم عهده ولما ورد علينا
اخبارنا السيد احمد بن المكي واخوته راجعين من وجهتهم الحجازيه الى
المراطن التونسيه انتهزنا الفرصة بالجنابكم كتابا هذا فيما ما يواجب
صدق العهد واحتمال الابقتضيات الوده ثم بالضرع ورد علينا كتاب من
مرض ولينا السيد مصطفى بالسيد محمد الصغير العفني مخبرا بانتظلت
به عليه الدولة العثمانية العادفيد بواسطة على همتكم السنية المطبوعه
من انها ملكت له الارض التي كانت اهنت البر باستغلالها فبنج بخ
ذاك مال رابح وعمل صالح فحررنا بسببه الى جنابكم العالي من المنوبين
ولحسن صنيعكم من الشاكرين وكيف وقد تخلقتم باخلاق الانصار
ورضيتم بما رضعوا به من الايثار وهب المهاجرين فنسئل الله ان يمتع
المسلمين بطول بقائكم ويوالي اسباب دوام عزكم وارتقائكم بمنه وفضله

والسلام
في ٢٣ صفر الخير ١٢٨٧

الراجي المخلص
عبد القادر الحسني

بجاه نبي الرحمة

-9-

[1]: بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص 193/192.

الوثيقة 5
بمراسلة الخبير المحلف
صلاح الفرياني

الحمد لله حق حمده ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ان ابهى ما سطرته سوابق الاقلام وميادين القروس وحاكته دفاتين الجهام
من المعاني التي تبتهج بها النفوس رجع سلام يتأرج عبيرا ويشرق بصدى
المودة منيرا الى حضرة من شهد له الزمان انه وحيده وفريد عصبته
السياسية وفريده من سارت الركبان بثنائه وشملت الخواطر محبة علاه
السيد خير الدين باشا اطال الله في طاعته عمره واعز بتقواه فوزه وزخر
بتوفيقه امره لا يفرغ باب امل الا وولجه ولا يعن الى ما تذكره النفوس الا وحيه
اما بعد فطالما سالت البكم النفوس منا وجنحت وزجرت الطائر الميمون
الفاتكم كلما سنحت ثم لما بلغنا خبر مروركم الى الاستانة العلية حدثنا
لعلة الآن يجود اسعاد الاسعاد من هذه الامنية باسنى هدية فيتنفس
البيان ويصدق الاثر العيان فجزيكم نجحات الافذاذ الباهرة الى حسنات
المواطن المباركة الطاهرة فتتبركون بالمشاهد النبوية الزاهرة
وتتنسمون عرف انباسها العاطرة وتتمتعون بمشاهدة طلعتكم البهيجة
النواظر وتنشرح بطيب مبالكهتكم الشهية الخواطر وتترفعون بمعرفتكم
من صفاح العلم الى العيان وبمخاطبتكم من وشي الاقلام الى مذاكرة اللسان
وحينئذ تتمكن النفوس من صقالها والانس من وصل مقالها وتنشد
ان ذنوب الدهر مغفورة ان كان لغياك له عذرا وحاشاه انه ليساعد
الفور على حصول هذا الوطر بافتضى الامر تفويض هذه الوكلة الى حضرتكم
تعريفا للجميل معكم واجراء لعهود المودة بيني وبينكم وان مكاتبة الحق
عوض من لقياه اذا تعذر للقاء واستوعدا الاتباه اذا انقطعت الاتباه
وعلى كل حال فمزيدكم لا تخمد لدى نار ولا تأفل شموسه وانوار وادعيتي
الصالحة لا تزال دانيا وانتيتي لا ابرح ابتهل لها بابا بابا ولله الامر من قبل
ومن بعد وله الحكم في القرب والبعد ودمتم محفوظين

الراجي الفقير
عبد القادر الحسني

١٥ شوال ١٢٨٨

-٩٥-

الوثيقة 6
بمراسلة الخبير المحلف
صلاح الفرياني

تعليمة الخبير الفراوي:

هذه الرسالة في صفحة واحدة: 11 سطرا
قد فقدت في التصوير عن الأصل شطرها الطولاني
الأيمن. ويتضح الأسلوب المغربي في الكتابة
بكل هذه الوثائق المتطابقة تمام المطابقة،
مع بعضها بعضا - رغم التفاوت الزمني - وذلك
من حيث الشكل العام، وجزئيات الكتابة،
وعبارات "المخلص - الداعي - عبد القادر الحسني"
ووحدة الخاتم الأسفل الأسود؛ فالوثائق
الست صادرة كلها بخط يد الأمير عبد القادر
رحمه الله ومختومة بخاتمه، وصالحة فنيا كمه
أجل المضاهاة عليها مع أية وثيقة يدّعى
صدورها عنه، والمميزات الفردية فيها
وفيرة جدا بما يزيد عن التسع بكثير، مما
نلخصه بالجداول القادمة.

الخبير المحلف
دمشق في
١-٩-١٩٩٩م
صلاح الفرياني

* لا يظهر خاتم (أرشيف الحكومة التونسية) هنا
لسبب نقصان الشطر الأيمن بكامله، وقبل أن
أفصلها لوجودها باسم الوثيقة (6) مما درسته، كانت
قطعة واحدة مع الوثيقة (5) التي يظهر عليها خاتم
أرشيف الحكومة التونسية.

تقديم السطر

1 رابع رحال الى سيد السماكين
2 ضم رالملاذ الاعصم صحبا ذا سم
3 للى المكارم تشاء ربارين شيمه
4 ه امتطاء هذا التميمات فاح نشرها
5 نفضع مدى بها فاب المرجو
6 ومحسوبيته علينا وحبا انه
7 امرل رفيضا بفضائكم وعميم
8 السعيد وتشملوهم بتفضلاتكم
9 الى جنابكم الرفيع العلى
10 اجمه والمساعي الناجحه
11 وبيفيلم للفضل غيثا كريما

المخلص الداعي
عبد القادر الحسني

ARCHIVES NATIONALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص195/194.

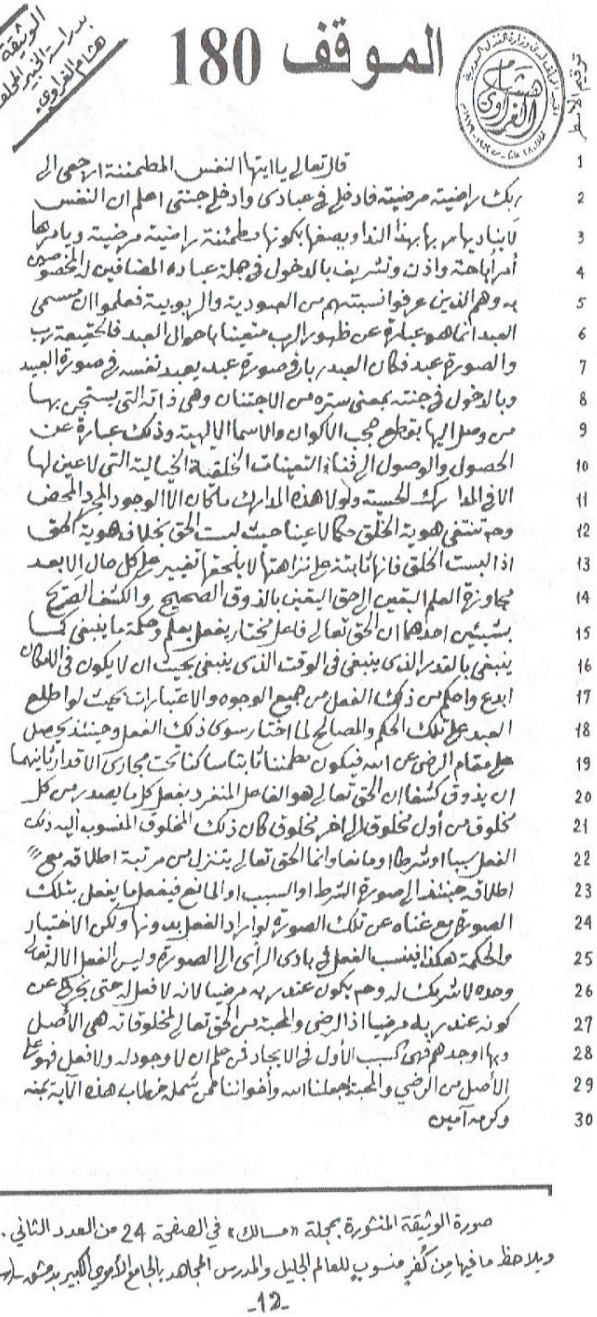

الوثيقة 7 بخط الأمير عبد القادر

الموقف 180

قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اعلم ان النفس
لابد ياسر بها بهذا النداء بصفة كونها مطمئنة راضية مرضية ويأمرها
أمر اباهة واذن وتشريف بالدخول في جملة عباده المضافين المخصوصين
به وهم الذين عرفوا نسبتهم من العبودية والربوبية فعلموا ان مسمى
العبد انما هو عبارة عن ظهور الرب متعينا باحوال العبد فالحقيقة رب
والصورة عبد فكان العبد رباً في صورة عبد يعبد نفسه في صورة العبد
وبالدخول في جنته بمعنى ستره من الاجنان وهي ذاته التي يستجن بها
من وصل اليها بقطع حجب الاكوان والاسماء الالهية وذلك عبارة عن
الحصول والوصول الى فناء التعينات الخلقية الخيالية التي لا عين لها
الا في المدارك الحسية ولولا هذه المدارك ما كان الا الوجود الحق المحض
وهو تنتفي هوية الخلق حكما لا عينا حيث لست الحق بخلاف هوية الخلق
اذ البست الخلق فانما ابنته على ما هو لا بتغير على ما لا يتغير على كل حال الابد
مجاوزة العلم اليقين الحق اليقين بالذوق الصحيح والكشف الصريح
بشيئين احدهما ان الحق تعالى فاعل مختار يفعل بعلم وحكمة ما ينبغي كما
ينبغي بالقدر الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي بحيث ان لا يكون في الامكان
ابدع واحكم من ذلك الفعل من جميع الوجوه والاعتبارات بحيث لو اطلع
العبد على تلك الحكم والمصالح لما اختار سوى ذلك الفعل وحينئذ يحصل
على مقام الرضى عن الله فيكون مطمئنا ثابتا ساكنا تحت مجاري الاقدار يانيها
ان يذوق كشفا ان الحق تعالى هو الفاعل المنفرد بفعل كل ما يصدر من كل
مخلوق من أول مخلوق الى اخر مخلوق كان ذلك المخلوق المنسوب اليه ذلك
الفعل سببا او شرطا وما نحن واياه الحق تعالى ينتزل من مرتبة اطلاقه مع
اطلاق حينئذ الى صورة الشرط او السبب او المانع فيفعل ما يفعل بذلك
الصورة مع غناه عن تلك الصورة لوارد الفعل بيد ونا ولكن الاختيار
والحكمة هكذا فينسب الفعل في بادي الرأي الى الصورة وليس الفعل الا لله تعالى
وحده لا شريك له وهم يكون عند ربه مرضيا لانه لا فعل له حتى يحكم عن
كونه عند ربه مرضيا اذ الرضى والمحبة من الحق تعالى للمخلوقات هي الأصل
وبها اوجدهم وهي كسبب الأول في الايجاد فمن حيث ان لا وجود له والافعل فهو على
الأصل من الرضى والمحبة جعلنا الله واخواننا ممن يسمع خطاب هذه الآية بحقه
وكرمه آمين

صورة الوثيقة المنشورة بمجلة «مسالك» في الصفحة 24 من العدد الثاني.
ويلاحظ ما فيها من كُفر منسوب للعالم الجليل والمدرس المجاهد بالجامع الأموي الكبير بدمشق (سطر 7)

ب- خصائص خط الأمير عبد القادر التي عثتُ في جوّ دراستها لأكثر من أسبوع في انصراف كامل، كي أحدّد: كيف كان يكتب، كما لو كنتُ معه، رحمه الله؛ وما هي الأمور التي يتميّز بها عن سائر العرب، ممّا يستحيل "تصادفه" بالأدلة التسعة مع عربيّ آخر؛ وأسجّل ذلك فيما يأتي مع إجراء المضاهاة الفنيّة مع كلّ واحدة منها بخط الوثيقة المزعومة بمجلة "مسالك"، وصورتها في الصفحة السابقة بصفة الوثيقة رقم 7 تُغني عن الرجوع للمجلة المذكورة، والصورة التي طبعتُها وترجمتُها للفرنسية بمقابلها؛ وذكرتُ تحت الترجمة الفرنسية في الصفحة 22 Fr. أنها مأخوذة من الكتابات الروحية (كتاب المواقف) للأمير عبد القادر - مقدّمة ومترجمة عن العربية من قبل "ميشيل شودكيويتش" - باريس/ سُوي 1988 - كما يلي بالفرنسية أسفل عنوان "الموقف 180" ونصّ الترجمة الفرنسية للوثيقة المخطوطة بخط اليد:

Extrait des Ecrit spirituels (Kitab al-Mawâqif) de L'Emir Abd el-Kader, présentés et traduits de l'arabe Par: Michel Chodkiewicz (Paris, Seuil, 1988).

• والكلام الشنيع في تلك الترجمة الفرنسية للموقف 180؛ ويعني أنّ "العبدَ ربٌ والربَّ عبد، وكلاهما سيّان، وكلٌ منهما يعبد نفسه"؛ هو كما يلي نقلاً عن المجلة: "مسالك" P.22 fr:

Il s'agit là de ceux qui connaissent leur véritable relation à la servitude et à la Seigneurie, c'est-à-dire de ceux qui savent qu'en nommant le "serviteur" on ne désigne pas autre chose qu'une manifestation particulière du Seigneur telle que la conditionnent les caractéristiques du serviteur: la Réalité essentielle est: "Seigneur"; la forme extérieure est: "Serviteur". le serviteur est un "Seigneur" manifesté sous la forme d'un "Serviteur", et, sous l'apparence de l'adorateur, c'est lui-même qui s'adore Lui-même. etc..

لأهمّ الخصائص، ومضاهاتها:

1 في الشكل العام للخط ونوعه: إنّ الوثائق المدروسة من رقم 1 إلى 6 والثابت كونها بخط يد الأمير عبد القادر الجزائري، والمحفوظة بخزائن التاريخي المعروف، بالتواتر، يتّضح منها أنه كان رحمه الله، يكتب بالخط المغربيّ (المستعمل في المغرب العربيّ كلّه بما فيه المغرب والجزائر كرصيد عزيز بادٍ لدينا من حضارتنا المجيدة في الأندلس)؛ ومميزاته الرئيسية عن الخط المشرقيّ (المتأثر بجيلين من الفارسيّ والرقعيّ التركيّ)، هي أن "الفاء" بالخط المغربيّ نقطتها من تحتها، أمّا "القاف" فلها نقطة وحيدة من فوقها بدلاً عن النقطتين..

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص197/196.

[1]: بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص199/198.

ومنخفضة عن مسار السطر بما يضاهي حرف الراء هكذا: كلمة كذلك بالخط المشرقي نراها بخط الأمير عبد القادر بالوثيقة 1 السطر 3 كزلك وكلمة "الكدر" يكتبها في السطر 8 الكدر وكلمة "المساعدة" في السطر 10 : المساعره وكلمة "ولدنا" في السطر 12 هكذا عوض ولدنا .. وكلمة "بذلك" السطر 15 من الوثيقة 1 أيضًا جاءت بزلك جدير الخ.

وهذا الدليل الفني منعدم في الوثيقة الملفقة رقم 7 فالطريقة المشرقية فيها واضحة كما يلي: "بهذا النهار" السطر 3 "بالدخول" السطر 4 "العبد" السطر 6 (مرتان)، ومرات كثيرة في كامل الوثيقة 7 وكلمة: و"الدخول" السطر 8 "المدارك" السطر 11 (مرتان) الخ..

لذلك فإن هذا الدليل الفني في التنافر وعدم التطابق مع خط الأمير عبد القادر يؤيد النتائج التي ذكرناها في الدليل الأول ثم الثاني.

4 حرف "اللام/ألف" المتصل بما قبله يكتبه الأمير عبد القادر في وثائقه المعتمدة في الضاحية بصورة متميزة وكأنه حرف عد باللاتينية، ولننظر آخر كلمة بخطه في الوثيقة 1 وهي "والسلام" وذلك باستعمال المكبرات العادية فنراها هكذا:

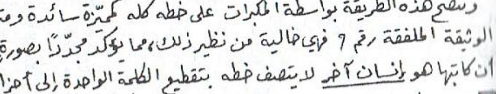

ارتفع قلمه هنا حين الكتابة ثم عاد فتابع بالطريقة تزيينية سريعة فجاءت رفيعة بالنسبة لما قبلها، ومن شأن الكتابة السريعة تقليل الخبر الواصل للورق

- وفي السطر السابع لهذه الملحمة بالوثيقة رقم 1 وردت كلمة "تلاحظوه" فكتبها رحمه الله على الأسلوب ذاته فجاءت: تلاهظوه بينما نجد طريقة كتابة "اللام/ألف" في الوثيقة الملفقة على الأمير عبد القادر مخالفة تمامًا لاختلاف الشخص الكاتب.. تنظر الوثيقة 7 السطر 8 "الدجتنان" جاءت "اللام/ألف" هكذا: الاجتنان والسطر 9 الاكوان والاسما (أي الأكوان والأسماء) والسطر 26 "لا نفعل" (أي لأنه لا نفعل).. مما يجب كتابته بالخط المغربي كما في الوثيقة 5 المعتمدة بخط يد الأمير عبد القادر السطر 9 كما يلي:

الرآن	الإسعاد	الامنية
(الآن)	(الإسعاد)	(الأمنية)

5 نقطة النون الأخيرة (منفصلة أو متصلة) جاءت في الوثيقة الملفقة رقم 7 بطريقة الخط الرقعي التركي هكذا (ن) ولاحظناها بكلمة الاجتنان المذكورة آنفا والوثيقة 7 مليئة بهذه الطريقة في السطر 2: "ان"، والسطر 4: "واذن"، والسطر 5: "الذين" "ان" والسطر 8: "من" وكذلك السطر 9؛ أمّا في السطر 24 فإننا نرى "ولكن" و في السطر الأخير "آمين" وكذلك مفقودة النظير بخط الأمير عبد القادر في الوثائق الستّ، فالنون لديه لا تحمل نقطة أبدًا وبالتالي ليس بأخرها أيّ اعوجاج متصل بها للدلالة على نقطة النون؛ الزاوية الزيتية.

- تنظر الوثيقة رقم 1 السطر 5: "ان شاء الله" وكذلك في السطر 7 عند عبارة: "الى جنابها الأسنى بأن تشملهم": "بان تشملهم" و في السطر 8: "من" "ثم" مرشرك" وفي السطر 14 "ومن"

وكذلك بالسطر 14 "ان تلاهظوه بعين". إذن: "لا نقطة للنون الأخيرة بخط الأمير عبد القادر" مما يقطع بأن الوثيقة الملفقة رقم 7 ليست بخط الأمير عبد القادر بل هي بخط إنسان آخر.

6 من طبيعة كتابة الأمير عبد القادر، مما درسته في خطه، اعتياده على تقطيع معظم الكلمات وعدم رغبته بكتابتها قطعة واحدة، ثم الارتفاع بالقلم عن الورق من أجل التنقيط، ولعل ذلك قد تأصّل لديه من عهد طفولته حينما كان يتأنى بتشكيل الكلمة بعدّة أجزاء عصوبة بتنقيطها اللازم؛ أو يكون ذلك ناجمًا فنيًا عن نقصان الحبر بقلمه فيرفعه عن الورق لتغذيته بالحبر ثم المتابعة فيظهر التجزيء واضحًا كمميّزة من مميزات خطه المنظور به الدماغ، وليس من اليد، لدى كل كاتب في العالم. ولنأخذ مثالًا لذلك كلمة "المساعدة" الواردة في الوثيقة 10 فنرى أنه كتبها مجزّأة على مراحل هكذا:

المساعره في نيل ما املوه وبلوغ ما سالوه الخ..

وتتضح هذه الطريقة بواسطة المكبرات على خطه كله كميّزة سائدة ومتأصّلة. أمّا الوثيقة الملفقة رقم 7 فهي خالية من نظير ذلك، مما يؤكد مجدّدًا بصورة قاطعة على أن كاتبها هو إنسان آخر لا يتصف خطه بتقطيع الكلمة الواحدة إلى أجزاء.

7 التنقيط الذي نراه مع الخط النسخي الذي شاع نسخ المصاحف به على نسخ في العالم الإسلامي هو تنقيط منفرد تبعة الخط المغربي والأندلسي. ولنأخذ مثالًا لذلك في الوثيقة رقم 3 بخط الأمير عبد القادر السطر 11 عند عبارة "مسير الشمس" فنرى أنه كتب النقاط كما يلي: مسير الشمس ذكرها ولا نجد خطه النقاط المدمجة على الطريقة الرقعيّة التي شاعت في العهد العثماني التركي في مصر وسائر المشرق، وذلك بتوحيد النقطتين هكذا: "النقطتان"، أو ربط نقطة النون الأخيرة مع الحرف نفسه مشكّلة جزءًا منه لا يتجزأ، أو بتوحيد النقاط الثلاث هكذا، على شكل رأس زاوية بدلًا من: أمّا خط كاتب الوثيقة الملفقة رقم 7 فالتنقيط المزدوج لديه عامّ بهذا الشكل (=) والتنقيط المثلث لديه ليس على شكل رأس زاوية (٨) بل هو هكذا (ڪ) أي باعتماد النقطتين المدمجتين والحاوية نقطة ثالثة فوقهما: (تنظر الوثيقة 7 بكاملها في نظرة عامّة، وتُشاهد النقاط الثلاثة في الأسطر: 4 بكلمة "تشريف" التي كتبها هكذا: وتشريف. والسطر 15 بكلمة "بشيئين" فكتبها: بشيئين. والسطر 22 بكلمة "أو شرطًا" فكتبها: او شرطا (الخ) مما يقطع باختلاف كاتب الوثيقة الملفقة 7 عن سموّ الأمير العالم المجاهد الذي درسنا خطه في الوثائق الستّ الأولى).

8 كلمة "بحيث" في الوثيقة رقم 7 السطر 16 تكاد تكون بالخط الفارسي في تركيبها العام هكذا بحيث، ونرى نظيرتها في خط الأمير عبد القادر بطريقة أخرى مخالفة تمامًا أي هكذا بحيث وذلك في الوثيقة 3 السطر 8 مما يُحتّم اختلاف شخص كاتب الوثيقة 7 عن شخص الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله ورضي عنه.

[1]:بديعة الحسني، حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص201/200.

9 جاءت كلمة "آمين" بآخر الوثيقة الملفقة رقم 7 لتفضح حقيقتها بصورة جاسمة حيث كان شكلها: "آمين" بارتفاع سن الياء عن مستوى السطر قليلاً تنفيذاً للخط الرقعي الذي وضعه لنا الأتراك - جزاهم الله عنّا كل خير - وظهرت بهذه الكلمة شارة المدّ التي شاعت مع الأسف في العصر التركي لتحلّ محلّ الهمزة التي تتبعها ألف .. وبدوره رقابة من العرب ولا اعتراض، فصارت كلمة "القرءان" ← القرآن وكلمة ءَامَنَ ← آمَنَ .. وكلمة ءَامِين ← آمين ؛ ولم تصل هذه البدعة الباطلة للأمير عبد القادر فظل يكتب كلمة "وامين" على طريقة الكتبة الأولى التي كُتِبَ بها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونشاهد ذلك في نهاية الوثيقة رقم 2 بخط الأمير عبد القادر: "وامين". مما يقطع مجدّداً بأنّ كاتبَ الوثيقة 7 ليس الأمير عبد القادر الجزائري أبداً.

* * *

10 الكاف الأخيرة في الكلمات: جاءت في الوثيقة 7 الملفقة هكذا ربك على الطريقة الرقعية الفارسية التركية؛ وطريقة الأمير عبد القادر في نظائرها مخالفة تماماً حيث يكتبها هكذا: كزلك أي بدونه همزة وبقاعدة أخرى تؤكد اختلاف كاتب الوثيقة 7 عن شخص الأمير عبد القادر نزّهه الله مما يُنسب إليه في مجلته التي أُنشئت لجهله..

(تنظر الوثيقة 1 السطر 3 و 6 بكلمة: "ذلك" والسطر 15 - وتنظر الوثيقة 2 السطر 8 والسطر 17 عند كلمة "ولا شك" التي جاءت هكذا بخط الأمير عبد القادر "ولا شكـ" - وتنظر الوثيقة 3 بالسطر 9 عند كلمة "المالك" التي جاءت هكذا: "المسالكـ").

11 ويكتبُ العرب والأتراك العثمانيون الـ "كاف/ألف" هكذا: "فكان" كما في السطر 7 من الوثيقة الملفقة رقم 7 وفي السطر 16 بكلمة "الامكان" والسطر 21 بكلمة "كان".. ولا نجد نظيراً لذلك في الوثائق الستّ الصادرة بخط الأمير عبد القادر.. بل نجد طريقةً ثابتةً أخرى هكذا: "كانت" بالوثيقة 4 السطر 12 - و: "كان" بالوثيقة 5 السطر 16 - و "المكارم" بالوثيقة 6، السطر 3. وهذا دليل قاطع مؤيّد جديد لكل ما سبق من أدلة مع نتائجها.

12 الهاء بأول الكلمة: نجدها في الوثيقة الملفقة بالخط الرقعي الذي أحدثه الأتراك مشكولة فتراه هكذا: ها بالأسطر 3-5-6-12-27-28 الخ.. بينما جاء هذا الحرف بصورة ثابتة متكرّرة بخط سموّ الأمير عبد القادر هكذا: الوهر بالوثيقة 1 السطر 8 و: دهذا بالوثيقة 2 السطر 17 - وفي الوثيقة 3 بالسطرين 2 و 3 و 5 و 15 الخ.. كما يكتب الأمير عبد القادر هذا الحرف ذاته بطريقة أخرى ثابتة لديه، وغير نادرة الممارسة، هكذا: "نستوهب الله" كما نرى بالوثيقة 2 أول كلمة بالسطر الأول.. وكرر ذلك بالسطر 11 من ذات الوثيقة 1 بكلمة شهيّة هكذا "شهير" وبالسطر 15 عند كلمة "هذا" أي بإضعاف ظهور العقدة الصغرى بحرف الهاء. ثم يعاد فاستعمل الطريقة (الأكثر شيوعاً لديه) بذات الوثيقة 2 السطر 17 بكلمة "دهذا". ويضاف هذا الدليل الفني لما سبق تأييداً وتأكيداً للنتائج.

13 حرف العين؛ في بداية الكلمة: يكاد يتميّز بطريقة كتابته كلّ عربيّ لوحده عن غيره

بسبب اهتمالك تنويع الشكل العام للعين ع وجزئياتها بطرق مختلفة، حتى يمكن أن يراجع كل عربيّ نفسه مسائلاً: كيف يكتبها وكيف تظهر تحت التكبير الشديد لدراسة الشكل الأكثر ثباتاً ورسوخاً في الدماغ.. ففي خط الأمير عبد القادر رحمه الله نلاحظ في الوثيقة 2 طريقته الثابتة في كتابة حرف العين بأول الكلمة بالأسطر 16-15-14 و 12 و 10 و 9 و 8 و 7 و 6 و 5 و 2 و 1 و 26-27-28 ويضاف هذا التنافر المهم كدليل فنيّ مؤيّد لكل ما سبق في الأدلة ونتائجها.

• ولئن تجاوزنا في الأدلة الفنية مقدار التسعة اللازمة الكافية للجزم بالنتائج بكل يقين، فوصلنا للدليل الثالث عشر مع انفتاح الباب للمزيد فيما لو تابعنا؛ ومع ملاحظة وجود أدلة عديدة في الواقع ضمن الدليل الواحد كما في الدليل الفني الأول؛ فإننا قصدنا ذلك، فلا يقولنّ قائل: "هذه مسألة تحتاج لأهل الاختصاص" بعد أن صار كل عربيّ من أهل الاختصاص خلال هذا العرض المفصّل الذي يُغني عن أيّة خبرة فنية أخرى، إلّا إذا اقتضت أصول المحاكمات بالجمهورية الجزائرية شيئاً من الشكليات عند النظر بهذه القضية أمام القضاء من أجل الحق العام، ومن أجل كلّ مسلم قد تضرر أو سوف يتضرر من جراء هذا الاستهتار الجري، بحق التاريخ وبحقّ سمو الأمير عبد القادر الجزائري رضي الله عنه.

النتيجة الأخيرة:

أولاً: إنّ الوثيقة التي نشرتها مجلة "مسالك" في الصفحة 24 من العدد الثاني عام 1998 تحت عنوان الموقف 180 بالإضافة لترجمتها للفرنسية في الصفحة 22 Itinéraires ليست صادرة عن الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله وليست بخطّ يده، وهي ملفّقة ومدسوسة عليه في مصدرها الحالي، وهي بخط إنسان مشرقيّ (مصريّ) من أواخر العهد العثماني.

ثانياً: وبالتالي فإن سمو الأمير عبد القادر رحمه الله بريء ممّا يُنسب إليه فيها ... ويُعتبر من أقدم على هذه الفرية "متجرّئاً على الملك في وسيلة إعلام ذات صفة رسمية تصدر باسم الأمير نفسه"، يُعتبر مع كل من عاونه بذلك جهةً مفرِّطة تفتري على التاريخ وعلى أمجاد أمتنا، قبل الافتراء على شخص الأمير من داخل مؤسسته المقامة لإحياء أمجاده باسم "مالك" وليس باسم "مساوئ".

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص203/202.

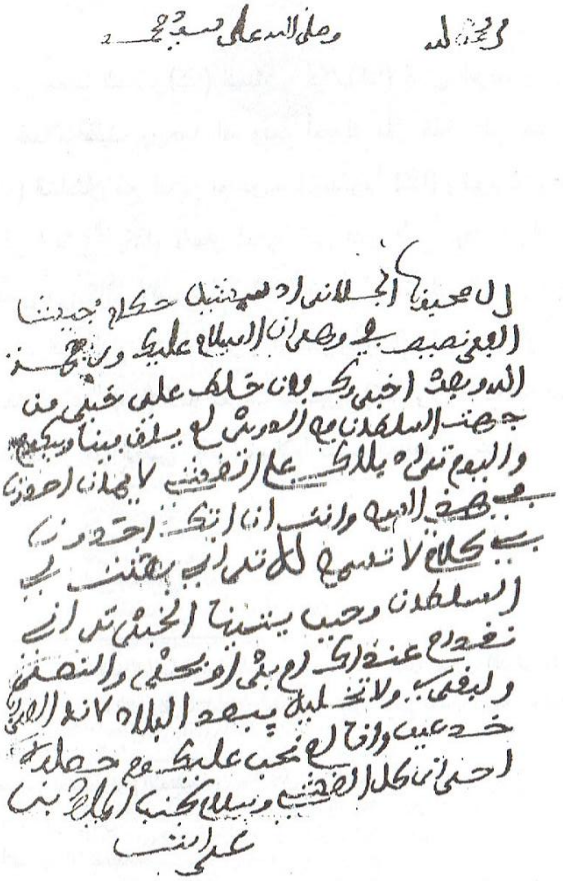

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله ءامين إلى عظيم القسسين والرهبان وأمير الجنود الفرنصوية بوهران دي مشيل السلام على من اتبع الهدى وبعد: وصلنا مكتوبك[1] وما وقع لمن جاورك عند خروجكم للحشيش ونحن ما نظن بكم الخدعة أو مخالفة الكلمة. ومحبنا القايد الميلود بن عراش، والوكيل محبنا الحاج الحبيب يدبران على الحشيش لكم، نأمرهم نحن بذلك، ولتعلم أن غزونا طايفة الدوائر[2] وكنا أول مرة خرجنا بنية أن نرد كل قبيلة لبلدها[3] فهربوا منا واتبعناهم وتركوا الخيام في أيدينا، ولما اشتغل الجيش بلم السعي وأخذوه، ورجعوا على الجيش فوقعت الهزيمة ورجعنا سالمين لله الحمد، وها نحن خارجون إن شاء الله بعد العيد في شأنهم، والله المعين. ونحن على العهد والميثاق والوفاء بما عقدناه معكم، ولا نرضى إلا ما يسرك وترضيه، ولا نحب لك ما ينغص من جانبنا وحرمتنا عندك، 5 ذي الحجة الحرام في1249 [4] بأمر مولانا نصره الله ءامين.

والنواحي كلها من تلمسان إلى هنا على سمعنا وطاعتنا إلا هؤلاء البغات[5] (كذا) وقد ارتحلوا ونزلوا الملعب وراء تلمسان بكثير، وأنت ما يخصك تشاونا عليه والسلام.

1 - بتاريخ 14 أفريل 1834.

2 - وهي مع الزمالة تشكل قبائل المخزن التي كانت في خدمة الحكم العثماني بشمال مدينة معسكر وبنواحي مدينة وهران وكان على رأسها مصطفى بن اسماعيل وابن أخيه المزاري. وإذا كانت مواقف هذا الأخير متقلبة بين تأييد الأمير تارة والخروج ضده تارة أخرى، فإن موقف مصطفى بن اسماعيل ظل إلى النهاية عدائيا، وقبائل المخزن هذه قوية، بحكم طبيعة دورها في الماضي، بما تتميز به من انضباط عسكري وتمرس على الحرب والقتال.

3 --كان خروج الأمير عبد القادر ضد الدوائر لمنعهم من الهجوم على قبائل بني عامر فتمكن في بداية الأمر من إبعادهم، لكن أثناء الليل فاجؤوه بمعسكره على وادي تيزي عند بني وزان، وتمكنوا من إلحاق هزيمة بجيشه، في حين لم يتمكن هو من الإفلات إلا بأعجوبة.

4 - الموافق ليوم 15 أفريل 1834.

5 -طائفة الدوائر.

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص71/70.

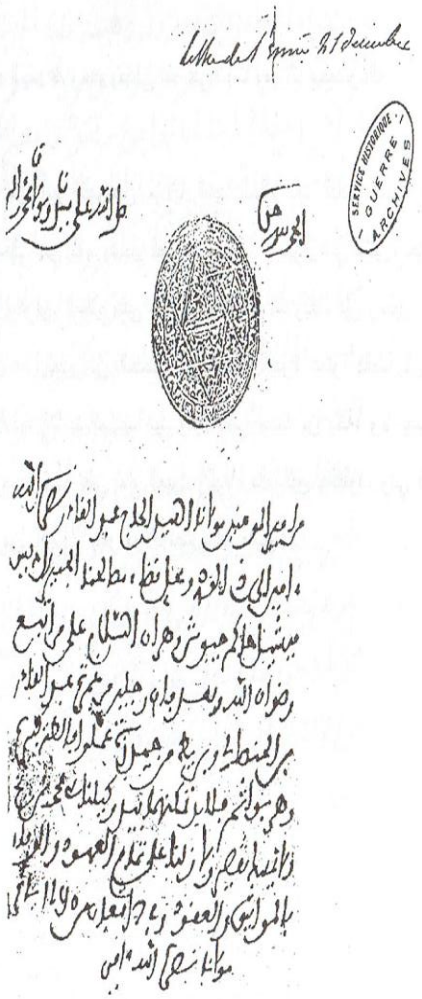

136

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

من أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر نصره الله ءامين إلى عظيم الجنود الفرنصوية بوهران الجنيرال دي ميشيل، السلام على من اتبع أرشد السبيل ورحمة الله وبعد فإن ضيافكم[1] حلو ببلدنا وهم عندنا في أحسن اكرام عملا بوصيتك وجبرا لخاطرك وتأسيسا لمودتك ولا زالوا حتى نسرحهم في أمان الله بحوله وقوته، هذا وأن بعض الناس يستخفون في بيع الصوف[2] ثم ببلدكم دون اذننا سرقة وخفية عن أمرنا، فمن و صل بها هنالكم تمكنه ليد وكيلنا سي محمد بن بخ يبلغه لنا مكتوفا موثقا، ولا زلنا على المودة والوفاء بالمواثيق والعهود وفي[3] عشر شعبان من 1250، بأمر مولانا نصره الله ءامين ءامين.

1- والمراد بها الكولونيل جومو يوسكي Jomoisky والكونت بولوسكيPoloski وهما بولونيان زارا المنطقة وتقابلا مع الأمير، وقد زودهما برسالة إلى الوالي العام دارلون وفيها يقول له، بناء على تقرير عبد الله عصبون بتاريخ 28 ديسمبر بأن الله قد بعثه (الوالي العام) ليعيد السلم والسعادة إلى بلده (الامير) وبأن أمله الأكبر هو أن يراه، و هو الرجل العاقل، عاملا على دعم الخير الذي يربط بينهما.

2- وقد رد دي ميشيل بسرعة بتاريخ 22 ديسمبر مذكرا الأمير بالمعاهدة التي تنص على حرية التجارة بين الأمتين.

3- لم نستطع قراءة الرقم الأول ونفترض أن يكون 7 .فتكون بذلك قد كتبت في 19 أو 20 ديسمبر 1834.

137

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص136/137.

[1]

الشعب

اليوم ٦ صفحات

الثمن ٢٥ سنتيما

الاشتراكات

تأسست في ١١ ديسمبر ١٩٦٢

إدارة المحرر

MARDI 5 JUILLET 1966

السنة الرابعة ـ العدد ١١٠١

الثلاثاء ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هـ ـ الموافق ٥ يوليو سنة ١٩٦٦ م

وقفات خالدة عاشها بلادنا

اختزنت فيها الأمة الماضي بروعة الحاضر وآمال المستقبل

آلاف المواطنين ازدحم بهم مطار الدار البيضاء لتحية رفات البطل الغائب

هناك لحظات خالدة في تاريخ الشعوب، تكرس لها الجهود وتجند لها الطاقات من أجل إحيا ذكراها على مر الزمن، وقد عرفت الجزائر يوم أمس تلك اللحظة، باستقبالها لرفات أول من حمل لواء الكفاح والمقاومة، وأول من رفض أن يعيش تحت السيطرة الأجنبية، الأمير عبد القادر الذي لقن قوات الاستعمار دروسا في البطولة، شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء.. خمس وقائق عاشتها هذه البلاد، فائدة وشعبا، إجلالا وتحية لرفات ذلك القائد العظيم، الذي تحقق أمله في العودة إلى أرض الوطن، بعد غيبة طويلة، إلى هذا الشعب على نفسه أن يلتزم خلالها حريته واستقلاله انتزاعا، بعد التضحيات وحرب تحريرية عظيمة..

قبل نزول الطائرة

حفلات رهيبة..

[1]:بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص 356- 357.

قطعات رمزية من مختلف أنواع الأسلحة في الجيش العربي السوري لدى تشييع رفات الأمير عبد القادر من دمشق إلى الجزائر

أَنزِلوا في العيـون أو فـي الحنايـا، يـا جنـودَ الأميـر، هـذي البقايـا
أيُّ قبـرٍ يـضمُّها وَهْـيَ أُفـقٌ مـن معـالي وقِمَّـةٌ مـن سـجايا
مِن عُلاهـا استمدَّ جـيشُ بـلادي ذلـك العـزمَ يـومَ خـاض المنايـا
فَـدَعُوها منـارةً، مِـن سَـناها يتلقَّـى الهُـدى جميـعُ البرايـا
هـي ليـست كمـا سـمعتم رُفاتـاً بـل تُراثـاً مقدَّسـاً وَعطايـا

وقال مخاطباً روح الأمير:

أَرجِعِ الطرْفَ عَبـر هـذي البطـاحِ لن ترى، يـا أميـرُ غيـرَ النجـاحِ
ذهـب الغاصـبون. لا دو ميـشيل، لا دورليـان، ولا صـليلُ الـسلاحِ
مـات بيجـو وألـفُ بيجـو وأُودَى كـلُّ جـيشٍ رمَتـهُ هُـوجُ الريـاحِ
غِبْتَ لكن بَقِيتَ فـي كـلِّ شـخص مـاثلاً فـي القلـوب والأرواحِ
لم تَغِبْ عن عيـونهم فـي مكـانٍ، كلُّ شِـبرٍ ظنُّـوهُ (خنـقَ النطـاحِ)
أنتَ فـي كـلِّ ثـائرٍ كنـتَ تحيـا عبقريّـاً محنَّكـاً فـي الكِفـاحِ

[1]:بديعة الحسني الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص354/355.

8 الشرق الأوسط

الجمعة ١٢ ذي القعدة ١٤١٢ - الموافق ١٦ مارس ١٩٩٢م

مجلة عربية

«القادر» مدينة أمريكية تحتفل سنويا ببطل الجزائر

الجزائر - ابن الكاس: لا يزال سكان مدينة «القادر» بولاية آيوا الأمريكية يحتفلون سنويا منذ منتصف القرن الماضي بذكرى تسمية مدينتهم باسم المقاتل العربي الشهير الأمير عبد القادر الجزائري.

في صيف صيف عام ١٨٤٩م ذهب الفلاحون الأمريكيون، الذكور، ١٥ يوما لإقامة تأسيس مدينتهم وتسميتها باسم الأمير عبد القادر. كان الاحتفال بهذا الحدث يعيزات المهمة الكلامية والحياة الريفية التي يعيشها سكان المنطقة، في تلك الحقبة أسسوا فيها المزارات في الشوارع ومدرسة الفروسية وبيع الأسهم الأولية للمدينة، وفرض صور الأمير عبد القادر في شوارع المدينة. وقد حضر الاحتفال مسؤولون من مدينة ميسكر في ولاية رأس الأمير التي تقع على بعد ٢٦١ غرب العاصمة الجزائرية. قالت أبرز هؤلاء المسؤولين السيدة الماني ميسانيلا «القادر» الأمريكية وصل وجهها عرضها السنوي، وكل رئيس بلدية التي تنتمي شيف المدينة بهذه المناسبة «احتفال مدينتنا الصغيرة دائما باحتفالها باسم الأمير إميلي مكلفها دوما فخورين بكونهم «قاريين»، لأن الأمير أثبت عبر مواقفه شجاعة وفخرا وشرفا متناهي النظير. كما أشادت مواقف العدالة والحرية من الذرية والاستقلال عبر مدة من زمن بعد سافت سيوسلا ونضو الولايات المتحدة الأمريكية.

قصة بطولة وشعور مشترك

كل «جون لينس» و «نيومبوتو نيمز» «سيمنت بيتاج» أول من أقام في مستعمرة تادينة «القادر» وهم ملاك أراض معروفون في كاس ولاية آيوا. وتشير الوثائق التاريخية التي دارك متحف المدينة وحافظة بيعطط في كل المرة التسمية جاءت أساسا من «فخر» الذي كان قد بدأ الأعمال بالأمير عبد القادر وبطولته التي واجه بها الاحتلال الفرنسي منذ دخوله الجزائر عام ١٨٣٠. وكان يتابع أخباره بفخر بالغ واهتمام كبير.

وتتوفر في مدينة القادر قطعة كل قرب التي تحتفظ من ضمن المنطق تزدهر في الولايات المتحدة الأمريكية، بفضل موقعها الثابتة بالقميص التي تضمن أنشطة واقلة للصلع والخصائص في أحسن الأوقات، فتصبح الجهة مجيبي الذكاء يعرف بالمنطقة، سالفا على تنويع المحدودات الزراعية وتكثيفها لاسيما الذرة والشمندر السوفر. كما تعتبرها أيضا أولية للقادر والذرة الغذائية التي «عشنت دون البقاء وما جاورها باعتبارها قاعدة من النمو المتواصل.

ويشعد كتاب التاريخ الأمريكي أن «جاء نهار ونومعين وصباح الأمير عبد القادر تابع من تلقائهم وحسهم القوي الذكاء للاستلهام، ويحتفظ جوّاً الكتب أن واقع متعلقاً أيضاً في القرن الماضي، حيث كان الفرنسيون وجمهرة السكان مستاءين من ملك الأراضي البريطانيين. الذين تملّوا «وسمّوا أنفسهم الزراع الأصليّين. عليهم، وكان تعمر لمن وجهاً سيوسيون بالزمن على شراء الملكروع [...] إلى الريفيين حتى تبقى صعباً مرتبطة وبعيدة من زرع السنين. إلى آخر التعاهد بعمل قانون الأرض الذي يقضي على الباقي أجهزة الدائمة من أوربا.

وقد سمّي «القادريين» للاستقلال يوماً بعد يوم. فوجدوا في ملحمة الأمير عبد القادر الجزائري للاستقلال فرصتين توحدا من المتلقين عن أسلافهم كتمة البريطانيين. وإزاء اضطهام الطويل للمقاومة الجزائرية منذ «نوفمبر ١٨٣٠م تاريخ تدويله إلى دخوله واستسلامه. وكان «القادريون» يتسلمون أخباره من داخل سجونه

الأمير عبد القادر الجزائري

القادر - مدينة أخذت بطولة الأمير

منظر من «القادر» الجزائرية

حيثما في كنف الكرامة والسلام. وإنهكن تأمرون بأن يتسوا أن الأمير تمكن أخلاقية فتحول أمريكا القيام بعضلق من هذا مضاعف في تلك العدالة. وتقدمه على الترويسة المقدم شكراً بالشعب بعرف أحد أفراد بشجاعته وتسامحه وإعداد فيه من قرأ الطبيعية، والتعبير قريوم عن إخلاصنا وامتدادنا الكامل لموقوف التي جلعت الشعب الجزائري.

نواة بين «القادر» و «مسكر»

يشعد بتكلك «القادر» بجميل أسبه بنوعه زرقاوي. وهو من مواليد مدينة ميسكر، ولكن ميولها سلبياً في سنوات ثورتها للتنمية الجزائر، لأن العمل بعوده في تحصيل بسبب التعارف والعداء بين مدينتي «ميسكر» الجزائرية و«القادر» الأمريكية. وكانت بداية الرحلة، عندما اكتشف فرحال أدى زيارته إلى الولايات المتحدة في فصل ١٩٨٣، إلى مدينة ولاية آيوا سعيت باسم قائد المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي منذ قرن الغرب. وقد لاحت جهود الصيد زرقاوي بتقريب مسؤولي المدينتين من بعضهم، بزيارة رئيس بلدية «القادر» ملوم مهارة، وزوجته والعمالية من مسيوولي بلديته إلى ميسكر في يناير من العام ١٩٨١، فاستقبلهم السكان بحفاوة كبيرة. وفي اليوم الموالي، والتقا أعضاء المجلس المحلية رأس الأمير ليطل بعباءة وأحد «القادر» تقريباً في أرجاء المدينة. يزجوه الأمير في كل مكان. وكانت بدايات تقصير لقاء الشعوب».

وفي شهر مايو من نفس العام زار ميسكر وفد مكون من ثلاث بمسؤولين هنى الزيارة في مدينة «القادر» وكان ضمن الوفد رئيس المجلس البلدي حفيد الأمير الذي ترأس قبل ذلك بعدة عدداً من العمليات الدولية كان أخرها التنفيذ المالية لمتدفية والزراعة، كما كان السيد بنو عمر رزقاوي «مفتش العلاقة بين المدينتين من بين الحضور. وأنه شعفت فترة رئاسة «نورديفر» لبلدية «القادر» التي استمرت حتى عام ١٩٨٨ ملعاً فيها للمبادلات التجارية والسوحات الثقافية الخاصة بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري وأعماله وكل ما يتعلق بحياته. كشخص وكرجل دولة ومقاتل وقيد. وتمكن البيسكريون بمضمنه المراسلات من جمع بعض الوثائق التي كتبت عن الأمير وكذا التي كتبها هو بنفسه، وهي اليوم «محفوظة بدار الأمير» بوسط مدينة «القادر» ويمكن لكل من الحضور المدينة الاطلاع عليها لتعرف بمآثر أعمال الأسطورة. وأشدة تأثر «القادريين» وتلهفهم بمعرفة قدر شباب من الكشافة للعلمية جمع مبلغ ٧٠ ألف دولار أمريكي لإقامة، تجهزا علمية بفرنسة أقوال ومعسكرات لنداء وقدومها هدية لمدينة ميسكر مسقط رأس الأمير عبد القادر. وكان هذا دليل عمل على الصداقة والتوأمة بين المدينتين

---

[1]:بديعة الحسني الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص75.

المصـــادر والمراجـــــع

ـ القرآن الكريم برواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. . ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق المستشرق الفرنسي كاتر مير، المجلد الأول، طبعة باريس، لبنان 1888.
2. ابن زايد عمار، النقد الأدبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.
3. ابن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة سعود للباطين للإبداع الشعري، 2000
4. إسماعيل عز الدين، الأمير عبد القادر الجزائري، دار العودة بيروت لبنان، 1975.
5. . أيت يحياتن يحي، رموز من عمق الجزائر، دار السهل، الجزائر 2001.
6. بناسي أحمد، المدخل في فكر مالك بن نبي، منشورات الجاحظية ، الجزائر 2006.
7. بوزواوي محمد، معجم المصطلحات الفلسفية، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر،د،ط، 2009.
8. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2005
9. الحسني بديعة

ـ الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة الجزائر 2008.

ـ وما بدلوا تبديلا، المطبعة العلمية، دمشق،ط1، 2002.

10. الحسني الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، شرح، زكريا صيام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988.
11. الحسني الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة إلى الفرنسيين، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

12. الحسني الأمير عبد القادر، تحقيق مجموعة من المؤلفين، مذكرات الأمير عبد القادر، دار الأمة، الجزائر، ط1 2007

13. الحسني الأمير عبد القادر، المواقف في بعض إشارات القرآن الأسرار والمعارف، حققه عبد الباقي مفتاح، دار الهدى الجزائر،ج1،ج2 ط1، 2005.

14. الحسني محمد بن عبد القادر،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،شرح ممدوح حقي،ج2، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2009.

15. دحومان شريف كمال الحسيني، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر،ط1، 2009.

16. دردار فتحي، الأمير عبد القادر، الجزائر2001.

17. سحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر2008.

18. الشيرازي حافظ، الموسوعة العربية، المجلد السابع، الهيئة العليا للجمهورية السورية، سوريا،ط1، 2003.

19. صالح السيد فؤاد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط، 1985.

20. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب العالمي، لبنان ج2، 1994.

21. عشراتي سليمان الأمير عبد القادر قراءة في فرادة الريادة والرمز، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ط2، 2002.

22. عويدات أحمد، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، المجلد الأول، بيروت، لبنان،ط2، 2001.

23. مجموعة من اللغويين، منجد اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق،ش،م،م بيروت لبنان، ط2، 2001.

24. مجموعة من المؤلفين، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، الجزائر،ط1، 2010.

25. مجموعة من المؤلفين، معجم علم السياسة، ترجمة هيتم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات، والنشر والتوزيع، لبنان،ط1، 2005.

26. مجموعة من المؤلفين، معجم علم النفس والتحليل النفسي، إشراف فرج عبد القادر طه، دار النهضة العربية، لبنان ط1.

27. الموسى نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، دار الشروق، الأردن،ط1، 2007.

28. مياسي إبراهيم ، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، دار هومة، الجزائر،دط، 2011.

29. نوفل يوسف حسن، موسوعة الشعر العربي الحديث و المعاصر، مؤسسة المختار، مصر،ط1 2005.

30. السيد على الوزير محمد، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثره في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،دط، 1986.

31. وهبة مراد، المعجم الفلسفي، باب القاف، دار قباء الحديثة، القاهرة،دط، 2007.

ثانيا- المراجع:

1. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، مذكرات الكلونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

2. برنيان أندري، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط 1984.

3. بن سحنون محمد، أداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ط2، 1981.

4. بن سمينة محمد.

ـ أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1، ج2.

ـ في الأدب العربي الحديث بالجزائر، الفنون الأدبية في آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبعة الكاهنة، جامعة الجزائر،2003.

5. بن قينة عمر.

ـ رحالات ورحالون في النثر العربي الحديث،دار الأمة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2، 2009.

ـ صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط 1993.

6. بن نبي.

– شروط النهضة ، دار الفكر، دمشق،دط، 1976.

– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر،دمشق،دط، 2000.

– مشكلة الثقافة، دار الفكر،دمشق،دط، 2000.

7. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،ج1، الجزائر،دط، 2002.

8. بويجرة محمد بشير، رائد الشعر العربي الحديث، دار القدس العربي،وهران،ط2 2009.

9. بيرنت وهان كارل، الأمير عبد القادر، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة الجزائر، 1996.

10. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعدالله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط3، 2004.

11. الجابري محمد صالح

ـ الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل، الجزائر،دط،2009.

ـ مسألة الهوية العروبة والإسلام.. والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان، ط2 1997.

ـ النشاط العلمي والفكر للمهاجرين الجزائريين بتونس، العربية للكتاب، الجزائر 19883.

12. الحسني محمد الهادي، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه

13. خرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، مطابع الشروق، لبنان.

14. دبوز محمد على، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دار الفكر الإسلامي، ج2، الجزائر، ط1971،1.

15. دودو أبو العيد، كتب وشخصيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،دط 1970.

16. الربيعي صاحب، دور الفكر في السياسة والمجتمع، صفحات للدراسة والنشر، دمشق ط1، 2007.

17. الركيبي عبد الله

ـ تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

ـ فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر1986.

18. زروال محمد، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر1994.

19. الزيود ماجد،الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والإشهار، لبنان، ط1، 2006.

20. السباعي مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، دمشق،ط3، 1970.

21. سعد الله أبو القاسم

ـ تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي ج7 الجزائر، ط1998،1.

ـ الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر،ج1، الجزائر،ط6، 2009

22. سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة 2009.

23. شريبط أحمد شريبط، دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، المكتبة الوطنية الجزائر، 2007.

24. شريط عبد الله، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، دار موفم للنشر، الجزائر،دط 2008.

25. الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2006.

26. الطيبي محمد، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات دار النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2009.

27. عشراتي سليمان.

ـ الشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2002.

28. غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية، والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى الجزائر 2011.

29. قرزادي حياة، الصحافة السياسية، طاكسيج كوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2008.

30. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر 1994.

31. لحرش موسى، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية عنابة 2006.

32. مؤنس حسين، الحضارة دراسة في أصولها، وعوامل قيامها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،ط1، 1978.

33. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، دار الكتاب الجزائر،ط2، 1963.

34. مرتاض عبد المالك، الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر،دط، 2009.

35. مسلم محمد،، الهوية والعولمة، دار الغرب، وهران.

36. مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء الجزائر 2003.

37. مكي رقيق علاء الدين، أحاديث في الفكر والأدب والفن، دار موفم للنشر، الجزائر،دط، 2009.

38. الميلي محمد ،ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

39. هلال عمار.

ـ أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1062)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1990.

ـ العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

ثالثا. المجلات

1. مجلة جامعة الجزائر للاتصال، فصلية العدد05، شتاء 1991.

2. مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة في العلوم الإنسانية، نظرية القيمة عند ابن خلدون، العدد الأول، نوفمبر 2001.

3. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العدد13، فيفري 2003، قسنطينة.

4. مجلة سنة الجزائر في فرنسا،العدد 6، دار الرايس حميدو، الجزائر، أفريل . ماي 2003.

5. مجلة مسالك، سداسية، مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري، عدد خاص، فيفري 2012.(في إطار تلمسان عاصمة الثقافة العربية الإسلامية)

6. مجلة الموريات، دورية في علوم اللغة والنقد والأدب والقانون والإدارة، والتجارة، العدد الثالث، جامعة تلمسان، ديسمبر 2012.

7. ملتقى دولي، الأمير عبد القادر واجب الذاكرة وتحديات الساعة، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر يومي 26/25 ماي2005.

8. الندوة العلمية، الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، منشورات مخبر الأبحاث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد03، قسنطينة2006.

رابعا ـ رسائل الدكتوراه ومذكرات.

أ – الدكتوراه:

1. حباب محمد نور الدين إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005.

2. أحمد دكار، فكر الراغب الأصفهاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2001/2000.

3. مكيوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية، في الفنون كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2008/2007.

4. ملياني محمد، أزمة الإنسان العربي في الخطاب السردي، كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 2013/2012.

ب –الماجستير:

1. بالأعرج عبد الرحمن، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007م2008.

2. بحري نبيل، التفكير النقدي عند تلميذ المدرسة الأساسية، في علوم التربية، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، 1996.

3. بلهاشمي أمينة، الرمز في الأدب الجزائري الحديث، رمز الحب والكراهية عند بعض الشعراء الجزائريين المحدثين،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2011/2010.

4. حماش الحسين، تأثير التربية الأسرية على الدور الاجتماعي للشباب، في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1993.

5. صديق فضيلة، القيم التربوية في شعر الطفولة، في الأدب العربي، جامعة تلمسان، 2001/2000.

6. عاشوري أحمد، التنشئة الأسرية والهوية الدينية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 1997/1996.

7. عالي حسين، الهوية الدينية والنخبة السياسية، حزب جبهة التحرير الوطني أنموذجا، معهد علم النفس ، الجزائر، 1996.

8. فرعون حمو، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر، في الأنتروبولوجيا، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2010/2009.

9. لونيسي رابح، الفكر القومي عند ساطع الحصري، وأثره على الحركات القومية العربية الحديثة، في التاريخ الحديث، والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1996.

ج ـ مذكرات:

1. مذكرة ليسانس، الأمير عبد القاد شاعرا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2010/2009.

خامسا ـ المواقع الإلكترونية:

1.الحالة الثقافية والفكرية في الجزائر قبل الاحتلال، المكتبة الإسلامية
www.library.islaweb.net

2. الجرجاني،التعريفات عن شبكة المشكاة، نت

3.عبد المجيد نوسي، نظام القيمة في السيميوطيقا

www.minculture.gov.mer

4. L'Emir Abdelkader. Face à la conquête française de L Algérie (1832-1847).http:// clio- cr.clionautes.org.

الفهـــــــرس

فهرس الموضوعات

إهداء

كلمة شكر

مقدمة.....أ.ب.ج

المدخل:الهوية والتفكير.....01 .21

الفصل الأول: هوية الجزائر وماهية القيم والفكر والحضارة

المبحث الأول: هوية الجزائر.....22

1 – قبل الإسلام.....22

2 – انتشار الإسلام في الجزائر.....26

المبحث الثاني: ماهية القيمة.....46

1 – لسانيا.....49

2 – فلسفيا.....55

3 – في علم الاجتماع.....57

4 – في علم النفس.....62

المبحث الثالث: ماهية الفكر الحضاري.....63

أ – الفكر.....63

1 – فلسفيا.....65

2 – في علم الاجتماع.....67

ب – مفهوم الحضارة.....68
1 – عند عبد الرحمن بن خلدون.....68
2 – عند مالك بن نبي.....70

الفصل الثاني:الفكر الحضاري في الجزائر الحديثة

المبحث الأول: الموجة النهضوية.....72
1 –الإمام عبد الحميد بن باديس.....73
أ –العلم والقوة.....72
ب – العمل الإصلاحي.....75
2 – الشيخ البشير الإبراهيمي.....82
أ – ريادته في الثقافة العربية.....82
ب –جهوده الإصلاحية.....84
3 –مالك بن نبي.....87
المبحث الثاني:العمل الصحفي.....91
1 – ظهور الصحافة.....91
2 – حركية الصحافة.....94
المبحث الثالث: الأدب الجزائري الحديث.....99
1 – تمهيد:الأدب ومكانته في الجزائر.....99
2 – أقسام الأدب الجزائري.....102
أ – الشعر واتجاهاته.....102

ب – النثر.....106

1 – الخطب والرسائل.....107

2 – القصة والرواية والمسرح.....115

الفصل الثالث: قراءة في قيم الفكر الحضاري لدى الأمير عبد القادر الجزائري

المبحث الأول: آثار الأمير عبد القادر الجزائري.....122

1 – مؤلفاته.....122

أ – نظم الشعر.....126

ب – مؤلفاته النثرية.....127

1 – المواقف.....128

2 – ذكر العاقل وتنبيه الغافل.....139

3 – مذكرات الأمير عبد القادر.....140

4 – الرحلة.....142

2 – فكر الأمير عبد القادر الجزائري.....143

3 – البناء الثقافي لدولة الأمير عبد القادر الجزائري.....149

المبحث الثاني:الأمير ومشروع بناء الدولة الجزائري.....153

تمهيد: إشكالية البناء.....153

1 – الزمالة.....157

2 – في منفاه.....159

3 – الأمير والاعتراف بالسبق والامتياز من الغرب.....161

المبحث الثالث: الأمير عبد القادر الجزائري في عالم القيم.....162

1 – القيمة الدينية.....163

2 – القيمة الإنسانية.....165

3 – القيمة التاريخية.....168

4 – القيمة القيادية.....171

5 – القيمة الأدبية.....180

أ – الأمير عبد القادر شاعرا.....180

ب – الأمير عبد القادر ناثرا.....188

6 – القيمة الحضارية.....193

خاتمة.....196

ملاحق.....200

قائمة المصادر والمراجع.....214

ملخص الرسالة:

استطاع رواد الجزائر في العصر الحديث صناعة الفكر الحضاري بالسير على خطى العلماء، واعتمادا على القيم المستمدة من الدين الإسلامي، وتقاليد الأمة وتاريخها المجيد وحملوا بذلك المشعل وقادوا أمتهم إلى المستقبل المبهر، وحافظوا على وجودها وعزّتها.
الكلمات المفتاحية: الفكر – الحضارة – القيم – الجزائر– العصر الحديث.

Résumé

Dans l'ère contemporain, les pionniers de l'Algérie ont pu crée la pensée civilisée en suivant les pas des savants et par l'adoption de valeurs dérivées de la religion Islamique, des traditions, et de l'histoire glorieuse de la nation. Et ils ont mené leur pays à un futur propice qu'ils ont protégé son existence et sa dignité

Mots clés : La pensée – La civilisation– Les valeurs– L'Algérie– L'ère contemporain.

.

Abstract:

The pioneers of Algeria managed in the contemporary era, making cultural through, walking in the footstep of scholars and by adopting Islamic religion value, and traditions our glorious nation history. They have taken the nation to it brilliant future and they have also contributed in protecting it existence and keeping it glorious dignity.

Keywords: thought culture– values– civilization– Algeria– The contemporary era.

مما لا شك فيه أن المتتبع للحياة العلمية والأدبية ، والأوساط الجامعية يدرك تماما دور النشاط الفكري في ترقية مستوى حاملي الشهادات. إذ يحملنا ذلك النشاط على دفع عجلة النهضة، وفق أسس ومناهج مدروسة.

ونحن بحاجة إلى تنشيط الفكر .يتم وفق تنظيم ملتقيات وطنية ودولية في الجامعة ، والمراكز السياحية إلى جانب التظاهرات الثقافية، والمنتديات، والمناسبات والأعياد الوطنية؛ فذلك يفتح المجال للالتقاء والتحاور، وتبادل الأفكار. فنخطو قدما نحو حل مشكلة الحضارة.

إن الاطلاع على التاريخ الحافل بالأحداث، وتتبع مسيرة الرواد والمفكرين المليئة بالتجارب والأخبار والمحن، يحدث انتعاشا في فكر الفرد شيئا فشيئا؛ ويمدّ أواصل التفاعل والتواصل الحضاري بين السابق والحاضر، ولأنّ ذلك الضروري من أولوياتنا نحن بالدرجة الأولى قبل غيرنا. لأجل ذلك وغيره اخترت العنوان:

" **قيم الفكر الحضاري الجزائري في العصر الحديث**" الأمير عبد القادر أنموذجا.

إنّ دراسة الفكر الحضاري في المجتمع العربي عامة والجزائر خاصة من أولويات كل باحث عربي للمساهمة في استرجاع مجد الدولة العربية الإسلامية السليم، وإبعاد كل نجس ألصق بها، وتحليل أسباب سقوطها .

توالت الدراسات من علماء أجلاء اعتمدوا على آراء الأولين. فسار البحث بدء من واضع للمقدمة إلى راسم للنهضة، عبر التحليل والتدارس لإظهار القيمة الكبيرة للحضارة العربية الإسلامية وفكرها.

مساهمتنا متواضعة اعتمدت على دراسات سابقة للكشف عن التناقضات الحاصلة بين النظرية وتطبيقها، ومعرفة المشاكل التي تمس الجوانب المحيطة بالإنسان العربي المسلم(الاجتماعية، الثقافية الاقتصادية الحضارية...)، وما حصل له خاصة وقد شهد له بالمكانة، والسلطة في فترات مضت هذا كله يجعلنا نرصد المظاهر والوسائل التي وقف عليها بغية استعادة مكانته، والخروج من دائرة الصراع الفكري متفوقا، وقابلا للتحضر، ولعل ما يثير اهتمامنا أكثر هو الولوج إلى منظومة القيم التي أثمرت فكرا متميزا، ولازالت القاعدة الأساسية للعمل والتطور من جهة، واعتبرها الباحثون لغزا محفزا للارتقاء من جهة أخرى. فنجدهم يبحثون، وينقبون عن السّر الفكري الذي رفع أمّة نامية إلى مصاف الدول المتقدمة . سمح ذلك لها بكسر القيود، والانفلات من أنياب الجهل والظلم ثم رسم

طريقها نحو النهضة، وأيضا لتبيين مدى تأثير الفكر الجزائري والصدى الذي أحدثه في العالم العربي والغربي، عبر عالمية الشخصيات الجزائرية ؛ التي وضعت خطوط النهضة الحديثة في مختلف المجالات. وهذا لازال إلى يومنا مجالا للبحث، لاكتشاف ما هو خفي وغامض.

وقد اعتزمت طرح الإشكالات التالية:

1 . فيما تمثلت قيم الفكر الحضاري الجزائري ؟

2 . كيف أثر الفكر الجزائري في الحضارة الإسلامية؟

3 . ما مدى الفكر الجزائري؟

من بين المراجع التي اعتمدت عليها "الموجز في تاريخ الجزائر" ليحي بوعزيز، و"تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله؛ لإبراز محددات الأرضية الجزائرية على مستوى مختلف الأصعدة، التي سنحت لها ببداية نهضتها، بالإضافة إلى "أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس" لمحمد بن سمينة و"ابن باديس وعروبة الجزائر" لمحمد الميلي، و"تاريخ الصحافة العربية" لمفدي زكريا للكشف عن نهضة الجزائر ومسارها نحو الحضارة على يد أبطال خلدت أسماؤهم فضاء فترات متعاقبة. أما الفصل الثالث فقد جمع مجموعة من الكتب التي اهتمت بالأمير عبد القادر وريادته في الفكر والأدب أهمها " الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا" لفؤاد صالح السيد "الأمير عبد القادر ثقافته وأثرها على أدبه" لمحمد السيد علي الوزير، و"رموز من عمق الجزائر" ليحي يحياتن، وغيرها كثير تمثل صورة هذا الفكر.

والمنهج المتبع في عملية البحث لا نستطيع الجزم به؛ لأن طبيعة الموضوع وتحولاته هما اللذان فرضا إتباع المنهج الوصفي تارة، والاستقرائي تارة أخرى؛ وربما مناهج أخرى، وذلك من قراءة نصوص المراجع المدعمة لآرائنا وشرحنا .

من الأهداف الرئيسة للبحث بيان وجود قيم للفكر الجزائري، والكشف عن أسماء لازالت ترن في الأفق وعابرة للزمن، وعلى أساسها بنت مجسمات ووضعت سياسات، وخلدت أفكارا جوهرية سواء في استقراء طبيعة الوضع العربي بعد الاستعمار الحديث، وطرحت إشكاليات الحضارة والثقافة تحليلا وبناء للنظريات، وإثباتا للكثيرين قوة الأمة الجزائرية فكريا وحضاريا.

وقد اتبعت خطة بحث مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وأرجو أن أحقق الأهداف المقصودة، فافتتحتها بمقدمة شرحت فيها موضوع بحثي وكل جوانبه، ثم مدخل أردت فيه إبراز أحد ركائز الكينونة والوجود، ألا وهي الهوية وعلاقتها بالتفكير سواء كان ثقافيا، سياسيا، وبفكرة العولمة

إذ على ضوء ما جاء في آراء العلماء والفلاسفة فإنّ مفهوم الهوية هو ذلك الإحساس الداخلي المطمئن للإنسان على أنّه هو نفسه في الزمان والمكان، وعلى أنّه منسجم مع نفسه باستمرار مهما تعددت واختلفت الأمكنة الاجتماعية، وعلى أنّه معترف به بما هو عليه من قبل الآخرين الذين يمثلون المحيط المادي والاجتماعي، والثقافي المحلي، والإقليمي، والدولي؛ فالهوية هي الوظيفة الديناميكية للإنسان، وهي جوهر وجوده في الحياة؛ لأنّها تمكنه من التوازن والبقاء والاستمرار داخل المحيط الذي يوجد فيه، وتتجلى في الممارسات التي ينتجها الدين والمجتمع والمدرسة، وتتوسطها الأسرة والأصدقاء وما يحدث من حوار مشكلا الهوية وتنمو مع نمونا، وما يمدنا المجتمع من المواد كاللغة، والثقافة والاتصال الذي يربط بين أفراده.

عندما نتحدث عن الهوية، فهي هوية الفرد، أو المجتمع، وكذا الثقافة هي مرتبطة بالفرد والمجتمع ومتجذرة فيهما أكثر من العلم، فهذه الثقافة نشأت مع الفرد من ولادته، فقد اكتسبها من نمط عيشه واحتكاكه بالمجتمع، فكونت لديه مخزون من التراث والتقاليد والعادات، والأعراف والمعارف، مما يطبع على شخصيته، وينميها، وتدعم هذه المكونات تفكير الفرد ونظرته إلى الحياة، مما يسطر أسلوب ومنهجية عيشه بفضل مقوماته التي مصدرها الدين واللغة؛ إذ يساهم الفرد في بناء حياته ومجتمعه يشهد بذلك التاريخ، وواقع بناء الحضارة. والهوية عرضة لمخاطر حديثة، وهو ما يقر به الباحثون، كوجود خطر العولمة على الهوية العربية الإسلامية لأنها شكل من أشكال الاستعمار، وهي امتداد لاستيلاء الشمال على الجنوب، بحجة الأحلاف العسكرية والمؤسسات الاقتصادية، والتعاون الاقتصادي، والبحث عن الأسواق، وهي نوع من تكنولوجية السيطرة المتخفية بعباءة العولمة.

أفردت في الفصل الأول مبحثين، أولهما حول هُوية الجزائر عبر تاريخها في فترات قديمة، وصولا إلى العصر الحديث.

إن الفكرة واضحة عن قيمة هذا البلد ، الذي عاش يناضل شعبه من أجل إثبات وجوده في العالم، فقد تملكني الإعجاب والانبهار وأنا أقرأ سطور الكتب التي يروي كُتّابها التاريخ المجيد ؛ إذ إنّ الإنسان البربري تميز بشخصية قوية، ونشطة بالرغم من تعرضه لعدة تغيرات فلغته تأثرت بلغات كثيرة؛ بسبب مجاورة البربر لعدة أمم، والقبائل التي استوطنت بلادهم فظهرت عدة لهجات و تلك الرسوم المختلفة الأشكال، والمحدودة العدد ؛ إذ يستحيل تدوين الكتب بها فحاولت عدة شخصيات تطوير الخط البربري؛ ليكون صالحا للتدوين، وتنمية الثقافة البربرية . وتميز الشعب البربري بحضارة

مرموقة، فقد سطع نجمه وظهر للعيان ومما زاد في تطور هذه الأمة قدوم الشعب الفينيقي للتجارة فأسسوا مراكزا كثيرة للتجارة...جعلوا مدينة قرطاجة عاصمة لهم، و شيدوا مدارسا لتعليم اللغة الفينيقية، كما شهدت الجزائر الغزو الاستعماري سعيا وراء التوسع والبحث عن رؤوس الأموال إلا أنّ السكان واجهوه ودافعوا عن بلادهم؛ لأجل صيانة الروح والهوية البربرية، والحفاظ على الميراث القيمي للشخصية القومية، والوصول إلى التحرير من التخريب الاستعماري ، وقد ورثت الأجيال العصامية تلك السبل التي أكسبتهم قوة الجهاد والعبقرية في الدفاع عن الدولة، وطورت العدة وفنيات القتال، وأقامت لنفسها نظاما للمواجهة.

وبعد انتشار الفتوحات الإسلامية في المغرب، رحب البربر بالدين الإسلامي، لأنهم لاحظوا الفرق بين هذا الدين وما عاشوه من ضَلا ل تحت وطأة الديانات الوثنية، وغيرها كالتي فرضتها عليهم الدول المستعمِرة من مذاهب دينية مسيحية ، وما لحق بهم من المهانة والإقصاء فأدركوا حين اعتنقوا الإسلام حقائق لامست نوازع الحرية والعتق التي ورثوها عن بداوتهم، وفطرتهم . أخلص البربر إلى هذا الدين وطوروا علاقة الجزائر الثقافية والاقتصادية بالمشرق وساهم الجزائريون في بعث قيم الشريعة الإسلامية واتبعوا منهاجها، وقد عرفت الجزائر استقلالا سياسيا، وتشكلت دويلات متعددة.

من هذه الدويلات الرستمية التي برزت فيها تيهرت كأول عاصمة حضارية مستقلة عن المشرق الإسلامي، استقطبت علماء من جهات متعددة من البلاد الإسلا مية، وكانت مركزا ثقافيا مشهورا بفضل دور الحكام الرستميين في الحياة الفكرية الكبيرة، وما قاموا به من جهود في نشر العلم وبناء المساجد وجلب الكتب من المشرق.وقد كان الإباضيون من المهتمين باللغة العربية كلغة رسمية . من خلال إتقان رسمها ونطقها الجيّد. وسعوا إلى تعريب البربر، فأصبح علماء الدولة الرستمية يناظرون فقهاء العرب في قواعد الأصول...وعلم الكلام. اهتموا بالعلم وقضايا الفكر والثقافة والمجال الديني والمذهبي، والفلسفة فتركوا بصماتهم واضحة ساهمت كروافد للمستقبل، وهو ما يفخر به الشعب الجزائري ويعتز به شباب اليوم ويتخذه قدوة وهو يخطوا الخطوات العملاقة في مجال البناء والتشييد وليس ذلك بعزيز على الشعب الجزائري .

إن المراكز الثقافية الحضارية ببجاية في فترة الحماديين شاركت بمجهودها الكبيرة في بناء معالم الحضارة العربية الإسلامية، وإرسائها، وأطلقت العنان للعلوم والإبداعات في مجالات مختلفة ومتنوعة ، وأنارت

لأوروبا الطريق واقتفت سبيلا للتخلص من كابوس الكنيسة الديني وجبروت الباباوات، وقد أشرنا إلى عينة تشكل جزء صغيرا من الكثير لنبين عراقة الحضارة الإسلامية بالجزائر في مرحلة من مراحلها. تمسك المرابطون بالإسلام لأنهم وجدوا فيه الخلاص من الوثنية ؛ التي أفرزت فوضى الظلم والاستعباد ونشرت المبادئ السامية بين أفراد المجتمع القبلي ، ولعل ما فعله زعماء قبيلة صنهاجة عندما لحقوا بالعلماء طلبا للعلم خير دليل على الوعي الذي اخترق قلوب وعقل هؤلاء الأشخاص ووقاهم بقيمة الإسلام وصدق الفقهاء.أما الشيء الثاني الذي نستخلص هو محبة هؤلاء الأفراد للعلم، وبذل الجهد للحصول عليه؛ حيث التجئوا إلى المشرق للتزود به ثم العودة لتعليم أهل الديار والبحث عن العلماء للتفقه ومساعدتهم في نشر الإسلام، والإرشاد والنصح، والتهذيب، فضلا عن اعتباره منهجا في الحياة.

تطورت الحياة في فترة الموحدين ، و شمل هذا التطور مجالاتها العلمية والأدبية، والاقتصادية والسياسية. بالإضافة إلى الاهتمام بالإسلام والحفاظ على مبادئه. وعرفت الدولة الحفصية حركة نشيطة في الصناعة خاصة صناعة السفن والعتاد الحربي ، وكذا تميز الجزائريين بالخبرة في ميدان البحرية العسكرية، واكتسابهم فنيات التخطيط والتنفيذ في مجابهة الأعداء والغزاة . ولم يخل عهد الإمارة من النشاطات في الميدان الحضاري، فازدهرت التجارة الداخلية والخارجية مع أوروبا ومصر والسودان وعرف العمران تقنيات البناء الإسلامي الأنيق، ورقت الحركة الفكرية والثقافية، وما شرّف هذه الإمارة وجود المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون.

ومن الإمارات التي رسخت مكانة الجزائر في أذهان العرب والغرب دولة بني عبد الواد الزيانية التي نشأت على أرض تلمسان، فكانت عاصمة الجزائر لأكثر من ثلاثة قرون فشكلت بذلك مقصد العلماء ونالت إعجاب التجار، وذوي الصناعات، وأثارت فضول الرحالة لزيارتها.

ارتقت الدولة الجزائرية في عهد العثمانيين ؛ إذ عرفت تنظيما إداريا وسياسيا، فقد ك انت تمثل اسطنبول الصغرى، تختلف عنها إلا في تفاصيل صغيرة . إنّ الدولة العثمانية بقدومها إلى أرض الجزائر بدأت في تنظيم المجتمع لأنها اشتركت مع الجزائر في فهمهما العميقين ونظرتهما إلى الجهاد وإحساسهما المشترك لمحاربة العدوّ سواء داخل الحدود أو خارجها. بالرغم من انتشار الكثير من السلبيات إلا أنها شهدت رقيا في بعض الميادين كالتجارة والصناعة،والعمران وانتشار التعليم.

وفي المبحث الثاني تطرقت إلى مفهوم القيم والفكر والحضارة والتي ارتبطت بهذه الدولة وفق ما أُفرد في المعاجم والكتب؛ إذ أنّ القيمة من الحكايات الشعبية وجود موضوع سحري يسعف الذات الفاعلة في رحلتها للبحث عن موضوع مهم، و الوجود السيميوطيقي بصفته ذات فاعلة يحدث قيمة بعلاقته بموضوع القيمة الذي يوجد بالفضاء الأكسيولوجي، والقيمة لسانيا هو الجدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات ذاتية، اقتصادية، جمالية، رياضية . واختلفت القيمة فلسفيا وفي علم النفس بين العلماء حسب انطلاقاتهم الفكرية واكتسابا تهم، وبين الموجود والمرغوب، بين الثابت وبين ما يستدعي وجوده أو يجب إتباعه لضرورة مطلوبة. ارتبط الإنسان بالفكر كونه أساس سلوكه وحياته الاجتماعية واعتماده على العلم.ويتفق كل من ابن خلدون وبن نبي بارتباط الحضارة والفكر في نشوءها وأفولها.

و الفصل الثاني انطوى فيه ثلاثة مباحث؛ خصصت الأول لعرض الفكر الحضاري في الجزائر في فترتها الحديثة إبان الاستعمار الفرنسي، حيث تطرقت إلى حركية النهضة وروادها، واخترت ابن باديس، الذي كان قامةً من قوام الجزائر، عاش خمسين سنة قضى منها ثلاثين سنة في التعليم والتوعية، جابه الاستعمار بإلقاء ثلاثة عشر درسا في اليوم بمختلف مراكز العلم، شعاره الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا؛ فكان مربيا، ومعلما، وخطيبا، وإعلاميا، وسياسيا، وشاعرا، فاستحق لقب العلامة والمفكر؛ شكل عمله صراعا فكريا بين المكافح و الاستعمار.

والبشير الإبراهيمي الذي واصل عمل ابن باديس؛ إذ شكل الخطوة الأولى المتمثلة في نشر العلم والمعرفة، ومقاومة الجهل والجمود وأولى أهداف المنهج التربوي أما الخطوة الثانية فقد كانت إبراز حقهم في الدفاع عن وطنهم، ومحاولة التعايش مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قصد تخطيها عن طريق مجموعة من الوسائل كالمطبعة الجزائرية، وما أصدرته من جرائد ومجلات وتأسيس حركات وجمعيات، ومنتديات هدفها نشر الوعي بالقضية، ومد جسور التحضر.

يرى بن نبي أنّ القيم الجوهرية للحضارة هي الإنسان والتراب والزمن، وفق فكرة دينية، التي تحقق للإنسان الرفعة الروحية والسياسة الفنية في الرقعة الجغرافية، باختيار الوقت واللحظة المهمة.

ثم أفردت في المبحث الثاني دور الصحافة في فترتين؛ إذ شكلت الجرائد والمجلات القوة الضاغطة؛ التي ولدت انفجار الثورة التحريرية، بعد فشل الأحزاب السياسية، حيث حققت الالتفاف حول هدف واحد وهو تحقيق السيادة الوطنية، ولأنها شملت الإذاعة والتلفاز، فقد نقلت الواقع

السياسي والاجتماعي للقضية الجزائرية وتدويلها، وعالجت في نهاية الفصل الأدب الجزائري الحديث حيث تناولت مكانة الأدب ومراحله، وأشكاله في مواجهة الاستعمار ونشر الوعي وإبراز أعمال الأدباء ودورهم في تطوير الحياة، فتميز الأدب بالصدق وإبراز المشاعر إزاء كل موضوع، وعبرت عن وعي وفكر الفئة الجزائرية.

وتطرقت في الفصل الثالث إلى قراءة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري؛ فمن الجوانب الهامة والملامح التي ميزت الأمير عبد القادر ولادته في أسرة شريفة ومتمكنة حتى أصبح شابا يافعا ذكيا. سار على نهج العلماء محبا للعلم وشغوفا بالدراسة، فقد أظهر براعة في صغره بتمكنه القراءة والكتابة كما أتم حفظ القرآن الكريم بتفوق، ثم درس كل أشكال العلوم العقلية والنقلية، ونظّم حياته وقت للدراسة، وآخر للنشاط الرياضي بالخيل والرماية فكان الفرس يلازمه في جولاته. وحتى وقت فراغه يقضيه في مصاحبة والده، والاضطلاع على أحوال الناس في الجزائر. عندما شاءت الأقدار أن يذهب للحج معه، فتح أمامه مجال مختلف ساهم في تلقيه معارف جديدة. صفاته الحياء والهدوء والرزانة في إصابة هدفه، اهتم بهندامه كرجل عربي وفارس من فرسان منطقته.

إن الحديث عن النتاج الشعري والنثري للأمير عبد القادر الجزائري، في فترة عاشها بين السلم والحرب تمثل جهدا بلغ الآفاق، وعبر عن فكر متميز أمدّ الحضارة العربية الإسلامية بكنوز تهافت عليها العارفون بقيمتها وأصالتها، فهذا الزخم عصارة ساهمت في إثراء مراحل الأدب الجزائري الحديث، وإنطاق مرحلة من مراحل الجزائر الصامدة والتعبير عن وجوهها الثقافية، ولعل أكبر شاهد لفكر الأمير عبد القادر ما أثير حول قضايا لازالت كل واحدة منها مجال المناقشة والتنقيب في الأوساط البحثية تنظر إليها بمنظار القبول تارة، والرفض تارة أخرى؛ إذ يستوقفنا أولها المتمثلة في بعض الآراء التي تشكك في نسبة المؤلف الجلل " المواقف" للأمير عبد القادر الجزائري، وثانيها تصوفه والأخرى حول العلاقة المشكوك فيها بين الأمير والجمعية الماسونية. أما القضية الأولى فقد أثارها الباحثون والمتعمقون في ترجمة الشخصية، وعرض مسيرته النضالية والفكرية؛ إذ نجد السيدة بديعة وهي حفيدته تدرج في ملحقات كتابها" وما بدلوا تبديلا" الذي خصصته لعرض تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير عبد القادر الجزائري، ودولته وهجرته، آراء في الصفحة 262 حول تبرئة الأمير عبد القادر من كتاب المواقف بوقوفها على عدة شواهد، والقضية الثانية هي أمر تصوف الأمير عبد

القادر الجزائري، إذ يثار حولها التساؤلات هل الأمير عبد القادر الجزائري متصوف أم كتب في التصوف؟ وترجيح بعد الأمير كل البعد عن الماسونية تبعا لما جاء في عدة كتب وندوات.

من خلال مناقشة آثار الأمير عبد القادر، وكل ما اتصف به من آداب المعاملة تجاه شعبه والغرب نجده قد أسس أنموذج فكري عابر للتيارات وللإيديولوجيات تتصالح فيه كل الديانات وكل المذاهب. ورسم الأمير سقفا أعلى لفهم الدين وطقوسه ،وكثيرا من المفاهيم والتصورات التي تعيد تشكيل التراث الديني والثقافي للإنسان كله في تصور صوفي أنطولوجي شامل، وجامع للهوية والاختلاف؛ إذ استطاع الأمير أن يرسم خطوط دولته من تحقيق الاتحاد بين قبائل البلد الواحد بإستراتيجية راشدة، استنبتت جذورها من التاريخ الإسلامي كيف لا وهو من النسب الشريف لنبيّ الله محمد صلوات الله عليه وتسليمه، وإتباعه الأصول الدينية في بناء دولته وإرساء أسس هياكلها سواء في تحقيق التعاون والعدل والأمان بين أفراد مجتمعه، وإتباع القوانين الدينية في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية وحتى في الفصل بين المتخاصمين، فمسؤوليته كانت شاملة وعلى يقظة كبيرة.

فقد كانت غاية الأمير تحرير ذهنية الفرد، وتطوير ثقافته، وتزويد الفضاء الأهلي؛ بأسباب وحوافز تدفع به نحو التمدن، للخروج من عقلية البنية القبلية إلى عقلية البنية المدنية، وبناء للفضاء الحضاري الأكثر انفتاحا على العصر لأجل البذل والقتال لصون العشيرة وتحقيق الغلبة على الكفار. فكانت عملية البناء واستزراع القيم النهضوية العصرية سواء في مواجهة الاستعمار والنصر للحق أو في ترقية فكر المجتمع إلى إحداث مستقبل أفضل الرامي إلى توسيع ثقافة الوطن و المواطنة.

ولأجل ذلك كان الأمير عبد القادر قيمة القيم، وأهمها انبثقت عن فكره الرائد؛ إذ تضمن القيمة الدينية؛ تشبع الأمير بمبادئ الشريعة الإسلامية؛ فقد حفظ القرآن في سن مبكر بالإضافة إلى تعمقه في الأصول الشرعية، فوالده كان قائما على الزاوية القادرية؛ بادئا بتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وقد كان للزاوية غير التعليم إتباع منهج موروث في أدوار مختلفة تخص الأفراد في قضاء حوائجهم، وقد نشأ في أسرة محافظة على القيم الإسلامية، تحب العلم وتبجله، من أسرة عريقة ذات النسب الشريف، التزم الأمير بالأحكام الشرعية وسار على خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في إصلاح مجتمعه، وإعطاء كل ذي حق حقه ، في طعامهم فهو يأكل لحاجته متصفا بالقناعة وبساطة حتى في الملابس، بالرغم أنه من أثرياء المنطقة وفي مقدوره التمتع بممتلكاته، وما أثار اهتمام البعض معاملته للأسرى بالرغم من عدائهم.

تفرد الأمير عبد القادر بالقيمة الإنسانية عن مميزات غيره من العظماء في معاملته وسلوكياته بين القوة واللين، وبين الشجاعة والتروي، وبين الإقدام وحسن التقدير، وأظهر العبقرية في شخصيته فالأمير أعطى أهمية كبرى لقيمة الإنسان، إذ أصبح يتعامل مع الناس ذوي المبادئ دون مراعاة لدياناتهم، أو أجناسهم، فقد ناصر كثيرا من الشعوب المضطهدة؛ لأنّ الإنسان في القرآن الكريم قائم على علاقتين أساسيتين الأولى الصلة بين الأفراد والشعوب المبنية على التسامح والتعارف، والتآزر والثانية هو انتماء كل الناس إلى أسرة البشرية، التي لا تفاضل بين أفرادها إلا بالعمل الصالح الذي دعانا إليه الله في تنزيله الحكيم، وكانت سواء في تحقيق الضمير الجمعي في بناء دولته أو في حلّ مسألة أزمة دمشق، وإنقاذ حياة الأبرياء.

تتمثل قيمة الأمير عبد القادر التاريخية تلك المسيرة الطويلة. بأحداثها ومنجزاته خلالها، سهر على بلورتها خاصة عندما أصبح الوجه المقاوم، فكانت الحادثة المهمة التي نشد بها الوحدة لشعبه ـالبيعة ـ التي كانت تحمل نزعة الفخر والشرف في ردّ الغزاة.

إنّ الأمير عبد القادر وجه مشرف للقيمة القيادية، من طينة المخلوقات النادرة، ونموذج للقائد المثالي، كما أظهر أن العلم هو السبيل إلى الكمال، مما جعله واعيا بمسؤولياته تجاه وطنه بصفته رجل وقائد، فهو دائما في الصفوف الأولى في السباق، كما حاز على ثقة وإعجاب من حوله. وتطرقت إلى القيمة الأدبية التي يشيد أصحاب المصنفات بأدبية الأمير عبد القادر ويشير النقاد إلى القيمة الأدبية للرجل سواء في الشعر أو النثر، فمنهم من يعده رائدا في الشعر العربي الحديث، ومنهم من يجعله نموذجا في الثقافة في الفترة الاستعمارية.

تربع الأمير عبد القادر على عرش الذاكرة التاريخية؛ إذ استطاع أن يؤصل في بناء دولته وفق المنهج الإسلامي، ابتداء من بيعة القبائل له سلطانا وقائدا، والذي سمح له بتوحيد صفوف المواطنين وتهيئتهم، وتكوينهم ثم قيادتهم في مواجهة لإثبات هويتهم.

وختمت هذا البحث بمجموعة من النقاط تتلخص في ما يلي:

إنّ تنظيم المجتمع وحياته وحركته تتوقف على نظام الأفكار، واستقرارها لتشكل جزءا هاما من أدوات التطور، لكن ذلك اصطدم بالاستعمار؛ الذي أحدث تغييرا في عالم الأفكار والقيم، وبفعل القوة انساق المجتمع المستعمَر في طريق التخلف والتقليد، لكن ذلك لم يدم طويلا؛ إذ عرف الفكر استقلال الرؤية، والمنهج في بناء الذات، والتواجد من جديد.

نشأت الحركة الإصلاحية والدفاعية بعد هذا التواجد بدء من عمل الأمير عبد القادر الجزائري الذي يعتبر واحد من المفكرين الذين حملوا بين جوانحهم تلك الأفكار.انتفض ردا على استعمارية العدوّ الفرنسي للجزائر وسياسته الاستيطانية. نجح الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء أول دولة جزائرية حديثة بقيادة شعبه يدا واحدة وقلبا واحد، وإنشاء كافة مجالاتها، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق مناهج وقوانين مصدرها العقيدة الإسلامية، وقيم الرسالة المحمدية، فكان بمثابة أول خطوة في خطوات الحضارة، ثم عقب هذا الجهد حركة إصلاحية التي وجدت مناخا مناسبا؛ لبعث الوعي، والفكر في أوساط الشعب الجزائري بإعادة هيكلة سياسة التربية والتعليم، وبناء المدارس ومراكز العلم وتصحيح المناهج، وفتح الآفاق لاستكمال التعليم بالخارج، وفتح الأبواب أمام الإبداع وتحمّل المسؤولية وفق منظومة القيم، فكانت النهضة الفكرية والأدبية التي شقت طريقها نحو المستقبل الأفضل.

إنّ الفكر الحضاري الجزائري مسيرة الألف ميل، بدأها الإنسان من فكرة الوجود ثم جسدها بالعمل المتواصل، وصدقها العقل، ورصد قيمها التاريخ.

Introduction:

There is no doubt that the follower of literary and scientific life, well as the university community, is fully aware of the intellectual activity is role in upgrading the level of certificate holders. That activity carries us to drive the renaissance according to well studied foundations and methodologies.

Our great need is to stimulate through, therefore national and international meetings are organized in the university and tourist centers, in addition to the cultural and national events as well as festival. All of them lead to open up the field of meeting, dialogue and exchanging ideas towards solving the problem of civilization.

Looking for the history which is full of events and following the march of pioneers and thinkers that is experiences and news and tribulations.

There is a revival in the thought of the individual little by little in comparison with to the decline and the state of decline among the ancestors of the Indus of civilization. It is our priority first. That‘s why I choose this title of; the values of Algerian civilization thought in the modern era, I took some of the Emir Abd-el-Kader construction of civilization as a model for the discovery of intellectual history in a period characterized by intellectual conflict between the north and south and the emergence of liberation and independence movements.

The study of civilization thought in the Arab society in general and Algeria, in particular is one of the priorities of every Arabic researcher to contribute, to the restoration of the glory of the sound Islamic Arab state, and remove all uncle an and hawk to analyze the causes of its collapse. Studies have been carried out by scientists who relied on the views of their elders. The search began from the author

of the introduction to the master of the renaissance, through analysis and study to show the great value of Arab Islamic civilization and her thought.

Our contribution is modest in trying to detect contradictions between the theory and the practice solving the problems that affect the aspects surrounding the Arab Muslim (social- cultural, economic and civilization) and what happened to him in particular has seen him status and authority in the past. All this makes us look up manifestations and the hopes that he stood on in order to regain his position and get out of ready to be the circle of intellectual conflict superior and civilized, may be what concerns us more access to the value system. That produced a specific mint and remains the principal basis for work and development in one side and in another side it was considered as a motivated catalyst for advance.

We find them searching and dinging for the intellectual secret, that brought a developing nation to the ranks of developed countries. This allowed her to break the restriction and escape from the fangs of ignorance and then draw her way towards renaissance. And to show the impact of Algerian thought and its repercussion in the Arab and western world through the universality Algerian personalities, which put the lines of modern renaissance in various field. This subject is still a field of research to discover what is hidden ambiguous the following problems were planned.

-What were the values of Algerian cultural thought?

-How did Algerian thought effect Islamic civilization?

-To what extent did Algerian thought arrive?

In my research I relied on the following references: ”Modjeze of Algeria for Yahia bouazize, Algeria cultural history for Abu- El- Qasim

Saadallha to highlight the determinants of Algerian territory in various fields. The foundation renaissance project at Abdel Hamid ben Badis for Mohammed ben Sumina, Ben Badis and Arab Algeria for Mohammed Milli, and the history of the Arabic press for Mofdi Zakaria to reveal the renaissance of Algeria and its march towards civilization, by the heaves immortalized their names during successive periods. The third chapter collected a collection of books that interested the L Emir Abdul Kadar and his leadership in thought and literature. The most important: L Emir Abdul Kadar Metz ova and poet of Fuad Selah- EL Sayed, and L Emir Abdul Kadar culture its impact on literature for Mohammed Ali Wazir, and Symbols from the depth of Algeria to Yahya Yahyaten, and other books represent the image of this thought.

It is not possible to determine the methodology used in the research process, because the subject nature and its transformations necessitates adopting a specific approach, which was descriptive at times and inductive the texts of reference that support our reading and explanation.

The main objectives of research: to demonstrate, the existence of values of Algerian thought, revealing names that are still on the horizon and passing thought time, on the basis of which structures and policies were built and immortal ideas were essential, both in extrapolating colonialism or in presenting the thesis analyzing of civilization and culture, the epidemiology of theories and proving to many the strength of the Algerian nation intellectually and culturally.

In his research I followed a plan consisted of an introduction reface, and three chapters in which I wish I achieve my intended goals, I opened the introduction by explaining my research topic and all its aspects. Them a prelude to highlight the pillars of being and

existence is identity and its relationship to cultural, and political thinking and its relationship to globalization.

The first chapter included two section; first is about the identity of Algeria thought at the history to the modern era and the second to the concept of values, thought and civilization, which was associated with this country according to the books and the second chapter which contains three topic devoted to the first thought of civilization in Algeria in the modern period and highlight the dynamics of the renaissance and its pioneers, I chose Ibn Badis, Ibrahimi and Ben Nabi to explain it, and the second dealt with the role of the press in two periods and concluded the third, which included modern Algerian literature. And the last chapters dealt with a reading of the personality of L Emir Abdul Kadar Al-Jazairi Al Hassani, and most important values that emerged from his pioneering idea.

The first article mentioned the most important effects of the L Emir and the second included the L Emir project in building the state, and the third dealt with the values of thought at the L Emir Abdul Kadar. I concluded my research with a summary and conclusion of the most important results that are the culmination of research.

The last word on this research, which opened the way for different discussions followed by other attempts, or the center of previous research to stimulate the interest about the momentum Algerian thought strength and pioneers and the best example; is
L Emir Abdul Kadar, whose life and works are still obscure.

I have not had the chance to search extensively because his material is sensitive needs to move to neighboring countries to investigate the truth and to present the article in details and to shed light on the thought and its areas more widely.

I would like to convey a word of thanks to all those who helped me in accessing this subject and follow firm steps to raise this issue, namely the issue of civilization thought in Algeria as well was all their advice, especially supervisor.

Tlemcen in 15-08-2016

Conclusion:

The Algerian community witnessed what we can call the cultural shock, because of the invasion of the French colonization and the impact of it culture and civilization on the Algerian one.

These changes that occurred to the community have resulted in some reflections on the structure of the Algerian society and the system of its relations, besides it national identity religious and social values.

The French colonizers have tried to vanish the Arab Muslim feature and hide his personality. On the other hand printing the French image and style of life in almost all fields, in management throughout making a new policy, in addition to this they have established a pier French government and a new system of education.

The French colonizer seized all production places by strittieping the Algerian citizen from all his own rights exempt for those who worshipped and followed their policy. And all this to eliminate his identity, on the level of religious and social values, these changes have contributed in finding some adjustments especially with regard to the perception of these values and its actualization.

Despite the fact that Algerian citizens have been affected by this modernization on its structure and internal relations and disruption of its religious and social values which was characterized by the spread of illiteracy, ignorance poverty and pests.

The research about the reasons behind the continuity and existence of the Algerian identity with significance to illiteracy rates, in parallel the orient have seen the emergent of liberal ideas, and

pioneers of reform spread over the Algerian lands by Algerian reformers as well.

They followed their path after their immigration and their several journeys to the east. Hence the idea was clear to show the struggle between the colonizer and the colonized.

Throughout this research we try to illustrate some cultural aspects about preserving and protecting the Algerian identity and the Arab religious values, from the Algerian men who gave birth to the history of modern Algeria, Which was incorporated on the field.

The later was in the period of modern age, beginning from the period of El-Emir Abdel Kadar moving to the period of reform and literary revival.

That armed struggle was fruitful because it resulted in the great Algerian victory and independence. We hope that this research has contributed to some extent in the field of scientific research about the values of civilized thought in Algeria in a period of recession them it new path to activity and it was considered as one among the brilliant periods in Algeria especially in establishing the first Algerian country in entity and spiritual side.

All our hope is to contribute with our ideas and information to develop other studies about this topic.

And among these lines we can conclude with the following ideas:

1- The real presence of a human being is banned to the existence of his values which draw his cultural identity and education, and the way how to face the problems of modernization.

2- The Arab Muslim society in the Arab land in general and Algeria in specific have known the importance of cultural

heritage of its civilization to Algerians worked to protect it from the in Vader.

3- The organization of the society in life depend on the coordination of thoughts and its stability form a great tool of evolution, but this collided with colonization which brought a change in the world of thoughts and values hens this didn't last long since there was an evolution. Concerning vision of independence the self building and reconstruction.

4- This situation occurred after the reform and defense movement. It began with the work of Emir Abdul Kadar Al-Jazairi who rose up in response to the colonialism of the French enemy Algeria. We will leave a reference to its contribution to the last points according to the sequence of the research.

5- Dealing with some of the pioneers of Algerian reform and their composition, and the foundation and ways, they have worked to carry the banner of reform and upgrading to reach the desired results.

6- The strategy of pioneers of reform is a certificate that remains useful and necessary for the resumption of civilization building to an Islam approach that confirms the conformity of the idea, behavior and performance.

7- The reform movement was an appropriates environment to awareness and thought among the Algerian people about restructuring education policy, building schools and science center, correcting curricle, opening up prospects for

completing education abroad and opening doors to creativity and responsibility.

8- The reformers focused on the Algerian Arab Islamic personality in its education, thought, and literature, revving the Arab- Islamic heritage and preserving its constituents of language, religious and Arabism and linking the history and civilization to the succeeding generation.

9- Algeria has seen the reformist movement renaissance in the development of its means, such as the world of journalism and opening the field of creativity in front of national pens. The emergence and spread of printing presses, newspaper and magazines, which reflect in their content the issues of thought and culture, literature, and face the machinations and heresies that pollute the values of the Algerian personality.

10- The development of the reform movement has increased its reverberation of reformist and consultative ideas by establishing bridges of thought, science and civilization through educational trips, scientific missions and correspondence of consultation among the people of the Arab world.

11- The reform movement played a role in literature, as the literary production that used the word to preserve values and resist colonialism. The claim of rights, freedom and independence on the one hand, and the promotion of creativity and the creation of literary races on the other.

12- This renaissance has literary roots; it is a thought of brilliance. The era of Emir Abdul Kadar defined the flourishing of scientific life, culminating in planting the seed of resistance, bringing together the Algerian people in one spirit and personality, and creating their identity and presence in a modern Algerian state.

13- Emir Abdul Kadar attempted to establish the first modern Algerian state under the leadership of his people, one hand and one heart, and the establishment of all its political, economic and social field according to the methods and laws of the Islamic faith and the values of the Muhammadiyh message.

14- Emir showed his intelligence and his understanding and wisdom in recognizing the strategic solution in resisting the enemy. This is what emerged in the great armed liberation revolution “what is taken by force to recover only by force?”.

15- Emir is a political leader, seasoned with a general and private certificate, and a thinker who draws his lines on mechanisms. It is derived from Islamic law and its Sufism education, and education study and contact with scientist, thinkers, leaders from all over the Arab world and western personalities, as well as its literary production and attitudes towards Muslims and others.

16- Emir a symbol of the march of civilization in the nineteenth century established a system of values in his home land, led by the resistance of intellectual and political thoughts sometimes, and outside the country led by the trend

of humanity and the spirit of religious to clearance. The researchers chronicled his steps in building civilization.

17- Emir, the marvel of his age, emerged from his career in the study to his biography, and his poetry and prose. And the discussion about the doubts about the proportion of some of his writing and his access to the world of mysticism, as well an approach to the jurisprudence of human dealing.

18- Emir Abdul Kadar values for a set of values. He denied the viability of the Muslim, and emphasized his ability to develop when he led and mad of his people as a single entity, and developed thought. He stood as a man standing to defend his homeland and his faith. And on the other land carried the banner of truth and science and established the law of tolerance and peaceful coexistence, and raise the voice of the human being honored by God. It deserves the attention of every researcher in the exploration of the secrets of this man who illuminated his age and remained his name frequented on the tongues of the year and the private and Arab and foreign, and sits on the pages of books and studies, and satellite channels; analyzed his intellectual and cultural life, literary and military, and because it is symbol of the symbols of Algeria and humanity.

دراسات أدبية
LITERARY STUDIES

العدد 22

دورية مُحكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّمية
العدد الثاني والعشرون - ماي 2017 - شعبان 1438

إسهامات العرب في تطوير الزراعة بالأندلس
ابن عزوز نبيلة

تعليمية اللغة العربية في ظل تجربة المقاربة بالكفاءات
زوليخة شعبان صاري

مظاهر الحياة الاجتماعية في الشعر «عصر الموحدين»
مشرنن زهيرة

التعريب و تداعياته في الوطن العربي
كرزابي فادية

أثر حرف(من) في تقرير العقيدة
محمد ربحي

إشكالية المصطلح في اللسانيات الحديثة (المصطلح اللساني ومشكلات الترجمة)
قنون أمينة

الترقيم الدولي ISSN 2170-046X

دراسات أدبية

دورية فصلية محكمة تصدر عن:

مركز البصيرة

للبحوث والاستشارات
والخدمات التعلّمية

- العدد الثاني و العشرون -

(22)

عدد خاص

د. ريوقي عبد الحليم
eladabiva@hotmail.fr

- إسماعيل بوزيدي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة
- د. بن يامنة سامية - المدرسة العليا للأساتذة وهران
- د. فتيحة بن يحي - جامعة تلمسان-
- د. محصول سامية - المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

المراسلات باسم مدير مركز البصيرة
46 تعاونية الرشد القبة القديمة. الجزائر
ها: 0021321289778
فا: 0021321283648

البريد الالكتروني:
markaz_ bassira@.yahoo.fr
الموقع الالكتروني:
www.albasseera.net

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 2008/1900
ردمد ISBN 2170-046X

التوزيع

دار الخلدونية للنشر والتوزيع
05، شارع محمد مسعودي القبة الجزائر
ها/فا: 021.68.86.48 ها: 021.68.86.49

قائمة المحتويات

إسهامات العرب في تطوير الزراعة بالأندلس 9
ابن عزوز نبيلة
تعليمية اللغة العربية في ظل تجربة المقاربة بالكفاءات 19
زوليخة شعبان صاري
مظاهر الحياة الاجتماعية في الشعر «عصر الموحدين» 25
مشرنن زهيرة
التعريب و تداعياته في الوطن العربي 39
كرزابي فادية
أثر حرف(من) في تقرير العقيدة 47
محمد ربحي
إشكالية المصطلح في اللسانيات الحديثة (المصطلح اللساني ومشكلات الترجمة) 57
قنون أمينة
حركة التّأليف في فنّ التّراجم والسّير بالمغرب الإسلاميّ في القرنين التّاسع والعاشر الهجريّين 63
عياد عبد القادر
مقاربة سيميائية - رواية زمن العشق والأخطار لمحمد مفلاح - 75
ليلى عوينتي
دور المجاز في آيات الإنفاق -شواهد من سورة البقرة- 85
بوجلول زكرياء
مصطلح المفارقة في الخطاب الشفهي أمثال الميداني أنموذجا 95
بوجمعة بومدين
المعجم اللُّغويُّ في القرآن الكريم معجم مفردات جسم الإنسان؛ الدّلالة والاستعمال 105
بلي عبد القادر
الجملة بين القدماء والمحدثين 113
العرباوي هاجر
رَدُّ العامِّيِّ الجزائريِّ إلى أصله الفصيح -الأمثال الشعبية أُنموذجاً- دراسة تأثيلية 119
زيان ليلى / بن أحمد بن علي
دور القرآن الكريم في تقعيد اللغة العربية الفصحى 127
مزيود سامية
البعد التداولي لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي-مفتاح العلوم للسكاكي نموذجا- 137
ليلى برمضان

الاحتجاج بالقراءات القرآنية في النحو العربي. 143
حكوم مريم
أبعاد ترجمة معاني القرآن الكريم والمصطلحات الإسلامية لدى المستشرقين الفرنسيين 149
فتحية عبد الكامل
عوامل ازدهار الحركة العلمية في الفترة الأموية بالأندلس 161
صابر حفيظة
الإسناد الوظيفي في ظل الاستعمال اللغوي 171
سليمة دالي
الأمير عبد القادر الجزائري والحضارة 179
رابح مليكة
الاكتساب اللغوي من منظور البراديغم المعرفي 187
حاجب سلسبيل
تعليمية العربية وفق ما جاء في مناهج الإصلاح في مرحلة التعليم الابتدائي 201
سمير جباري
الجاحظ مبدع فن السخرية البخلاء أنموذجا 215
ستي بوكليخة
اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى 231
بوعام نجاة
نظرية العامل بين القدماء و المحدثين و انعكاساتها على الدرس النّحوي 239
حموم مريم
صورة الثورة في ثلاثية الطاهر وطار- اللاز، العشق والموت في الزمن الحراشي، الشمعة والدهاليز 253
أيوب لعدودي
مأتمية الأنا وإدانة الآخر في يوم مشيتُ في جنازتي... ومشى النّاس للطّاهر وطّار 269
أمينة بن جماعي
إشكالات ترجمة المصطلح اللّسانيّ 277
وهيبة وهيب
واقع الهويّة اللغوية الجزائرية في شبكات التواصل الاجتماعي 285
آمنة شنتوف
أثر أدب الرحلة الجزائرية في الموروث الثقافي الجزائري و المتوسطي 293
نورالدين بلحاج
السرقات الشعرية عند ابن خلدون والمقري 311
بلعربي جليلة
التخالف الصوتي في قراءة ابن كثير 323
عصماني مختارية

الأمير عبد القادر الجزائري والحضارة
L'Emir Abd El kadder and the civilization

الطالبة: رابح مليكة
إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد دكار
جامعة تلمسان

الملخص:
تحيلنا هذه السطور إلى علاقة الشخصيات الفاعلة بصناعة حضارة الأمم والشعوب ومن هؤلاء الأمير عبد القادر الجزائري؛ الذي قاد شعبه إلى التحضر من بناء الأساس الديني ومنهجيته الإسلامية السمحة في الترشيد، ووفق فلسفة التعليم والتكوين بين الأفراد، ونشر الأمن والعدالة بينهم، وتنظيم جسور- المجالات المختلفة - الدولة.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات الفاعلة - الحضارة - الأمير عبد القادر الجزائري - الفكرة الدينية - التربية - التعليم - التكوين - الأفكار - العمران - الصناعة - السيادة - العدل - الأمن والاستقرار.

Abstract:

Reflecting these lines, the relationship of the figures actors civilization industry of the Nation, it is Emir Abd El Kader Algeria, who led his people to urbanization from building the religious basis and the methodology the tolerant Islamic in rationalization, and philosophy of education, configuration between the members, and dissemination of security, justice inculcating, and organization of the state Bridges.

Key words: The figures actors-The Civilization- Emir Abd El Kader Algeria-The Religious idea-The Education-The Configuration-The Construction- The sovereignty- The Justice-The Security- The Stability

صنع المسلم حضارة الدولة الإسلامية، وبلغت قمة من المجد والتطور بدءا من بناء أول دولة إسلامية ارتبطت برجل سمي بالمعلم، تمثل في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي تميز بصفة القيادة الحقيقية، وبذلك فالإنسان مرتبط بالحضارة، والأفكار ليست منفصلة عن عالم الأشخاص؛ بل ملحمتها تجري كلها على الأرض حتى لا يمكننا أن نفصل مغامرة فكرة عن مغامرة صاحبها.

الإنسان هو مفتاح إشكالية الحضارة؛ إذ يتعامل مع الأشياء والظروف المحيطة به في تجربة شخصية من أجل إضاءة الفكرة، وإعطائها بعدا. فهو يستغل الطبيعة، والتاريخ ليصنع نفسه ومواهبه لبناء هدفه، هذه الأفكار لطالما وجدناه في الكتب عند مطالعتنا لها ومن أبرز هؤلاء "بن نبي" وباعتبارنا نتحدث عن الدولة الإسلامية فالفكرة الدينية - الإسلام - تلعب دورها الكبير في هذه المعادلة؛ إذ هي المعالج لكل مشاكل المجتمع النفسية والاجتماعية " إن هذه المشكلات ذاتها التي تتعلق بعلم النفس

الفردي والاجتماعي قد سبق أن وجدت لها الفكرة الإسلامية حلها منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمن"..(1)

لطالما عرفنا قوة الدين في إرشاد المجتمع وتوجيهه إلى هدفه، وإبعاده عن الآفات التي تقتل طموحاته، فهو من مقومات الحضارة الإسلامية، وأسباب قوتها ومناعتها؛ لذا نجد الاستعمار في البلاد الإسلامية قد استهدف الدين الإسلامي وحاربه بكل قوته وبث فيه من الخرافات ما أثر على عقول المواطنين، ونشر نوعا من التناقض، كما حاول فصله عن السياسة وعن الدولة، ومن ذلك استرسل إلى تمزيق الروابط بين أفراد الشعب، وهذا الصراع استرسال لسياسة الإبادة الموجهة ضد الشعوب العربية المسلمة ووجودها على الأرض، وهو امتداد لطابع الغزو الحضاري الذي مارسته المسيحية واليهودية منذ القديم. وهذا يوضح مدى قوة الفكرة الدينية - الإسلام - في إرساء أسس الحضارة العربية الإسلامية.

ومن أجل صناعة الحضارة لابد من تواجد مثل هؤلاء الرجال الذين يعبرون الزمن ويحملون المجتمع على التحضر - فالإنسان يصنع الحضارة وله تُصنع - وفق مقوماته الدينية والوطنية، وهذا ما لمسناه عند رائد النهضة العربية الإسلامية الأمير عبد القادر الجزائري الذي تغذى على الدين الإسلامي منذ نعومة أظافره؛ فهو ابن المسجد ودار العلم، وتشبع بأصول العلم والمعرفة الدينية على يد علماء أجلاء من بلده والوطن العربي، وأكسبته الطبيعة البدوية شهامة وشجاعة. وبقوة زاده المعرفي اكتمل زاده الأخلاقي والجمالي في معاملة الناس. وككل الأبطال تميز بفروسيته - من سجايا العرب قديما- وحسن المبارزة بالسيف - من خصال الفرسان - والتركيز في إصابة الهدف، حتى أنه غدا من أحسن فرسان الجهة الغربية، بالإضافة إلى كونه نموذجا للفكر الجزائري الحديث المبكر، فهو فارس السيف والقلم في القرن التاسع عشر الميلادي، " ويمكن أن يعد الأمير عبد القادر بهذه الخاصية النضالية العقدية من نحو آخر النموذج المبكر في تاريخ الفكر الجزائري الحديث الذي يجسد قوة ذلك التلاحم المتين ما بين الدين والوطن"...(2)

إن البناء الحضاري عند الأمير عبد القادر هو إعادة تشكيل المجتمع الجزائري وتنشئته عن طريق تكوين الفرد الجزائري، وفق مفهوم التحضر عند مالك بن نبي مع مراعاة المشاكل التي تعاني منها الفئات الاجتماعية، والسير على نهج الأجداد المجيد وإتباع التراث المتأصل؛ فقد سار على نهج آبائه الذين سبقوه من إدريس الأكبر الذي أنشأ دولة في فاس ومسجد القرويين، وحمل سيف جدّه عليّ رمز الذود إلى إدريس الأصغر الذي جاب بلاد المغرب وشيد الإمارات وصولا إلى غريس بوهران، أين كان والده محي الدين رمزا للعلم والشرف بين وجهاء المنطقة وسلطة العثمانيين.

بدأ الأمير عبد القادر بتصحيح الأخطاء والمفاهيم المغلوطة، وذلك ابتداء من مفهوم المجتمع الذي يعتبره الجميع أنه تجميع لعدد من الناس يعيشون كما يشاءون مهما كانت الصلات بينهم، وإنما المجتمع هو الذي يقوم بدوره التاريخي؛ إذ يقف وقفة رجل واحد ضد عدوه الذي رمى بكل ثقله لتجريده من قيمه، ومقومات حضارته وثقافته، وسلبه وطنه وموروثه الديني والتربوي، فكان لابد لهذا المجتمع من حركة الجهاد للدفاع عن وجوده وهويته وبالتالي يحقق الراحة لأفراده، ويحافظ على أشيائه المقدسة.

الحضارة عند مالك بن نبي" مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقيم لكل عضو من أعضائه... المساعدة الضرورية"..(3) ، ونجد أيضا " الحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته"..(4) ؛ إذن فهي وليدة الإنسان؛ إذ هو محركها يسعى إلى تحقيقها بتكوين مجتمع بغية تحقيق

هدف مرصود، ومحدد بدقة، والقرآن أكد على هدف المسلم، إذ يقول الله تعالى:" وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنْسَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُ المُفْسِدِينَ"..(5). فالبدرة الدينية هي التي تصنع إنسانية الإنسان واجتماعية المجتمع، فهي بنزين الطاقة الذي يمد الإنسان بالقوة والاستمرار، وذلك بتحسين الأوضاع وتغييرها إلى الأحسن مصداقا لقوله تعالى:" إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم"..(6).

فالتغيير لابد منه للقضاء على جراثيم المجتمع التي تلاحقه دائما، وتحاول إلحاق الخمول والركود به، لذا نجد الأمير عبد القادر حارب كل العقد، والخرافات، والعصبيات الهدامة التي كانت تتحكم في القبائل وتفرق بينهم، فنشد نشر اللحمة، وتصحيح العقيدة، وغرس السلوك الحسن بين القبائل وجمع شملهم لمواجهة الاستعمار ومراميه خاصة الغزو الثقافي المفرنس تحت راية " البيعة" التي شكلت الطريق الشرعي لقيادة الشعب في بناء حضارته، وتحقيق الحرية والاستقلال.

وهي من منظور إسلامي نظام حكم تفرد به المسلمون "والبيعة نظام الحكم في الإسلام تفرد به عن غيره من النظم الأخرى في القديم والحديث، فكل من الحاكم والمحكوم مقيدا بما جاء به الإسلام من الأحكام الشرعية" (7)، فقد قال عنه المؤرخ الفرنسي أوغستان برنار:"وقد أظهر الأمير بعد أن وتد إليه الأمر على الرغم من أنّه ابن الزوايا والطرق حنكة سياسية وبراعة عسكرية فائقة وكان يتمتع على أنّه خُلق ليحكم"...(8).

بذلك تظهر قيمة هذه الخطوة التي لها صلة وثيقة بالإسلام وشريعته، وما لها من تأثير، ومسؤوليتها للجاثبين المقدمان على التغيير. " وبإقرار البيعة توجه الأمير بخطاب يبيّن فيه قيمة الخطوة المرحلية، وينفي كل مصلحته في قيادة القبائل غير توحيد شمل الجزائريين وتحقيق الاستقرار، والعدل والمساواة والتآخي. وتطهير الأرض الطيبة من الغزاة، والحفاظ على رسالة الأجداد"(9). من ذلك أثبت الأمير عبد القادر منهجه في تحضر بلاده وإرساء قواعده، وعن ذلك قال عنه بعض المؤرخين:" إنّ عبد القادر قد تحدى أكبر الجيوش في وقته، واخترع حرب العصابات، ووضع أسس الوطنية الجزائرية، وأعطى لغيره دروسا في المهارة والالتزام للدبلوماسيين..." (10).وقد علق على هذا القول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله بقوة الأمير عبد القادر إلى درجة كبيرة جعلت الغرب يهابه ويخشاه، فنصب له شبكة من الجواسيس والخونة لمعرفة أخباره وتحركاته، وبث مجموعة من الدجالين ومدعي الصوفية، وبهذه المواجهة اعتراف واضح بريادته في ثورة الإصلاح الديني وبنائه أسس الوطنية الجزائرية.

ركز الأمير عبد القادر على تربية الجيل وتعليمه؛ لأنهما يمثلان الركيزة الأولى لتكوين الفرد وبناء شخصيته، والتاريخ الإسلامي خير ما نستشهد به على ذلك؛ إذ أنّ أول آية نزلت على الرسول ﷺ وسلم هي "إقرأ"، ليصنع أمة العلم والحضارة، فالتربية والتعليم يساعدان على تطوير الإنسان وتدريبه، وتنشئته ليخوض معركة التحضر، وقد تحدث ابن خلدون كثيرا عن هذه الظاهرة الاجتماعية بقوله: "اكتساب الملكات التي تساعده في إتقان عمله وذلك عن طريق التعليم والتدريب"(11). ويشير كُتّاب آخرون بضرورة التربية ؛ لأنها من عوامل النهضة، وهي بمثابة المناعة ضد كل تهديد " إنّ التربية عامل هام في كل نهضة يراد لها النجاح والمناعة، إذ أنها تلعب دورا طلائعيا في إعداد الإنسان لتحمّل المسؤولية بوعي وكفاءة لأنها تزوده بالخبرات اللازمة للتفكير والعمل"..(12).

من إدراك الأمير الواسع بأن العلم سلاح قويٌ بادر إلى تكليف كل من يتميزون بالعلم الغزير تعليم الأبناء العلوم والآداب زيادة على حفظ القرآن، الذي كان ميزة المسلمين، فأنشأ الأمير عبد القادر المراكز التعليمية وضمن لهم التعليم الحسن، وشجع الأفراد على التعلم بإعفائهم من التجنيد.

كما دفع بخطوط التصنيع في كل أرجاء البلاد لصناعة السلاح، وعتاد الدفاع عن الشرعية الوطنية من منطلق الإسلام الإطار الحضاري دفع النهضة رافضا للهمجية، التي حملها المستعمر واستهدف بها الشعوب قصد إبادتها؛ إذ يشكل القاعدة الصلبة لعمل الإنسان حيث فتح أمامه طريق الوعي بالماضي التاريخي واستلهام كل إيجابياته، وأخذ العبرة من سلبياته فهو قد وضع سياسة لتوجيه الحكم تحت قاعدة الشورى لضبط الخطط والقوانين، كما أرشده إلى إتباع أحكام القرآن والسنة، والسلف الصالح محددا بذلك آليات التطور والمضي نحو بناء الحضارة والشرعية "فكان يستعين برجال العلم من الأزهر، والزيتونة، والقرويين... نظم الأمير الكثير من الأمور التي تهم الشعب والجيش...."(13)

تميز الأمير عبد القادر بفكر قيادي من تكوينه الديني ، واضطلاعه على الكتب القديمة والتاريخ الإسلامي والأمم السابقة، ومما قوى زاده المعرفي تلك الرحلات التي خاضها؛ إلى الحج، والبلاد العربية، والالتقاء برجال الدين والمصلحين، كل ذلك شكل له مخزونا مكدسا أخذ منه العبر والاستراتيجيات. فباشر عمله الحضاري؛ إذ أسند إليه قيادة الجيوش وتنظيمها، وإعدادها لمواجهة معركة المصير ضد المستعمر الفرنسي، فكان قيمة سياسية. ونظّم الحياة الاجتماعية بإرساء القواعد التي تضمن السلام والعدل بين الفئات، وبذلك حقق تقدما في حياة المواطن الجزائري، وضمن له نمطا معيشيّا، وهذا ما أكد عليه الفلاسفة "...أن التقدم معادلة من القيم والحضارة، والتي تعتمد على المعرفة والتعليم وتحقيق المساواة والحرية له، كما أشاروا إلى ضرورة إضافة التغير الثقافي الذي يصيب الشخص"(14).

ولبلوغ السير الحسن لمجتمعه، وضمان حقوق الأفراد عمد إلى توفير العدالة بالفصل في القضايا والأمور المختلفة وهو ما عرفة المسلمون قديما بما يعرف بالمجال القضائي ؛ إذ ابتكر جهاز القضاء بتنصيب قضاة القضايا المدنية والعسكرية كل واحدة على حدا ذو المرجعية الإسلامية" كانت الشريعة مطبقة في أغلب الحالات؛ إذ جعل الزواج والوصية والبيوع والمواريث تحت وصاية القاضي"(15). نلمس حبه للشرعية في تحقيق العدل؛ لأن يعرف بأمور البلاد كغيرها، وضغائن أهلها، وعدم انتظام بعضا فكان لزاما عليه تنظيم القضاء الإسلامي، وجعله حازما في أحكامه " وكان الأمير محافظا على إقامة الحق، ناشرا لواء العدل على عموم الرعايا، يجري القصاص الشرعي والسياسي على أصحاب الجنايات بما يستحقونه لا تأخذه في ذلك لومة لائم. وكان الناس يقبلون أحكامه ويتلقونها بانشراح صدر وطيب نفس"(16) فالعدالة كانت من ركائز قيام الدولة، وبذلك يشعر الأهالي أنهم على قدر كبير من الحماية، يمارسون حياتهم في اطمئنان واثقين من وجود راع لهم ولأمورهم، وهذا ما جعلهم راضين على بأحكام القضاء الأميري.

واهتم الأمير بالجانب المكمل لبناء أساسات الدولة، وهو تسيير الأوضاع الاقتصادية "إذ شطب ضريبة الخراج على الفلاحين بعدما زاد منتوجه"(17)، ونشط المبادلات التجارية مع المغرب وإنجلترا للحصول على السلاح والبارود، كما نظم أعمال التجارية بين التل والجنوب، ووزع المهام على المتخصصين، إذ أشرف على مصانع المدافع اسباني مهاجر، واستغل كل الأجانب الذين لهم معرفة في صناعة العتاد الحربي بنوع من المتابعة، والتيقظ. واستطاع الأمير تنظيم وتجديد الاقتصاد

بإبطال الخراج على الرعية، وإبقاء على نظام العشور، والزكاة، والمؤونة وخصص ذلك للحاجة العامة.

امتلك الأمير ما يؤهله لخوض معركة توحيد الصف بين القبائل المنتشرة في الوطن، بتوظيف ما اجتمع لديه من البراعة في فنّ القول، والزاد المعرفي، وأساسيات الفلسفة التعاملية والتخطيطية في بناء دولته. فكانت الوحدة العامة، والبيعة بالإجماع، بالرغم من المعارضين الخارجين أطماع الفرنسيين، وعقد العزم على تصفية المجتمع وتطهيره. أول ما بدأ به الأمير هو تأسيس لنهضة قضت على عادات وتقاليد هدامة وأفكار قتّالة دون حمل السلاح ـ العمل السياسي السلمي، والدعوة بالموعظة الحسنة ـ على القبائل اللامبالية بالرغم من الردود التي ساهمت في إحداث اضطراب بين أفراد القبائل فواجهته أولى الصعوبات في طريق عمله، وهو يخوض معركة المصير؛ إذ تتأتى فكرة مجتمع جديد إلا بكسر قيود الاستعمار الذي كان بدوره أحد العقبات ، فهو حاول تجنيسه، وتسميمه بأفكاره الكاذبة.ولقد أشاد بعبقرية هذا الرجل مؤرخون كثرٌ منهم الكولونيل سكوت الإنجليزي عندما كان مقيما بالزمالة خلال رحلته إلى الجزائر بقوله:" إنّ أعظم الشخصيات في العالم الإسلامي في العالم المعاصر هما محمد علي وعبد القادر الرجل عبقري في الحرب، تميز بنذرة عبقريته حتى في السياسة..."(18)

وضع الأمير نهضة هذا المجتمع الجديد بالقضاء على رواسب الماضي واستبدالها بحياة جديدة وفق بناء الدولة الجزائرية تماشيا وفكرة سارتر الوجودية لكن بصبغة دينية إسلامية، أين وضع أساس الدولة "الدين الإسلامي "بذلك نفى كل أفكار الجاهلية البالية(العصبية) التي حاربها الإسلام، واستبدلها بالعصبية للدين الحقّ لاسيما العصبية للدولة الجزائرية وأرضها كما قال ابن خلدون" إنّ العرب لا تجتمع إلا على عصبية أو دين"(19).

رسم الفكرة الإسلامية الصافية بالمساواة والعدل بين كل الجزائريين وفق هُوية واحدة. وبعد جمع الجزائريين في نسيج لحمة الجماعة نحو هدف واضح، رسخ ذلك على التراب الجزائري برسم حدود دولته التي يعمّها الأمن و العدل. وبذلك ربط بين الجزائريين والأرض باعتبارها أداة بناء للمشروع الاجتماعي والثقافي، والسياسي ثم الحضاري، ووظف الفضاء العمراني لتوطيد العلاقة بين جهات الجزائر، وتوحيد الصف بينها؛ فقام الأمير عبد القادر بإنشاء حصون جديدة تحمي الحياة المدنية وتضمن الاستقرار والأمن لها.

ومن ذلك نستنتج أنّ شروط الحضارة توفرت في مشروع الأمير في رسم مخطط الارتقاء وتحقيق الوجود. نتيجة حسن تسيير العلاقة بين الأهالي والسلطة زادت وتيرة التفاعل الإيجابي بينهما؛ لأنه قد غرس روح الدولة في وجدان الشعب، وجعله يتمسك برموز الطهارة والكمال الإنساني عبر دلالات دينية. ولم ينس قوة الراية ورمزيتها في وجدان المجتمع الجزائري، وذات اعتبارات مهمة لديه، فكانت لابد من راية ترفرف في سماء هذه الدولة الفتية، تثبت العزة، والسيادة والتمكين نسجت من راية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا الخلفاء الراشدون، ودولة بني العباس" حسب الأعراف الحضارية هي شارة القوة والسيادة والمكين تخفق فوق صفوف الجند في سلمهم وحربهم، وهي مظاهر العزّة وعلامة الرسوخ، واصطناع الراية دلالة على خصوصية الدولة ضمن الهيئة الحضارية والدولية"(20).

فهو جعل علمَ الدولة في شكل الراية عبرت عن المكانة والسيادة بين دول العالم وبرهن على وجودها وكينونتها" كانت راية خضراء اللون ممزوجة بالأبيض وتتوسطها كف سوداء"..(21) وهو كف الجماعة المتماسكة، ودليل على اليد المسالمة

سمة المسلم الذي سلم الناس من يده ولسانه قبل اللجوء إلى القوة، واليد ترمز إلى الصفح والمبايعة التي منحت للأمير قصد المضي بالجزائر إلى المجد والعزّة.

ربط الأمير مسيرته الحضارية في بناء دولة الجزائر بالمفاهيم الدينية، واستمد كل قوته من المعاني الإسلامية التي تلقاها سواء من تربيته أوتعليمه. واستطاع أن يرسم المنهج الفريد لدولته، بانطلاقة معقلنة تخدم نشاطه نحو التقدم والتطور والتغير والحضارة، فاعترف بهذا الإنجاز حتى المستعمر الذي حاول محاربته. ودولة الأمير لم تنته؛ بل لازمته في منفاه حيث صنع حضارة أخرى في غير وسطه بالعلم والتأليف، ونشر روح الإسلام، والتسامح الديني، فحينما نعود إلى تاريخ العرب المجيد نجد أنّ الخلفاء على علم وأدب كبيرين، وهذا ما جسده الأمير من خلال فترات حياته، إستطاع أن يبنيّ نفسه ويكتسب العلوم من قراءاته وجولاته، ومصاحبته للعلماء والمفكرين، وحتى الأجانب ليكون على دراية بأمور الدولة، ويستطيع إرساء القاعدة الأساسية التي تمد خيوط التطور والحضارة لوطنه، ويصنع منه دولة قائمة لها سيادة. وحتى بعد وفاته ترك وراءه التاريخ الحافل والروح التي نُفخت في روح الأجيال من بعده، وواصل المجتمع الجزائري على يد رجالاته مسيرة الجهاد ضد عدوّ لم يعرف الكلل أوالملل. وكانت المعركة تلوى المعركة والحرب تلوى الأخرى وصولا إلى مرحلة النهضة الكبرى في عصر التنوير أين ركّز المصلحون على صنع الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية من جديد بعدما مسختها الأيادي الاستعمارية، بتعليمها، وإرساء فكرها وأدبها؛ وبإحياء التراث العربي الإسلامي، والمحافظة على مقوماتها من لغة ودين وعروبة وربط التاريخ والحضارة السابقين بالأجيال اللاحقة. وهو ما مثل الاتجاه الإصلاحي في فترة جمعية المسلمين وروادها كابن باديس الذي واجه الاستعمار بقصيدته" شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" والإبراهيمي وكل أعضائها الذين ساروا على نهجه. الذين استلموا المشعل وحاولوا المحافظة على قيم الأمة والميراث العريق والشخصية الجزائرية. فثورة الشعر أنتجت ثورة الشعب كما قال نزار قباني في حديثه عن القضية الفلسطينية ومفدي زكرياء في تخليده لبطولة الأمير عبد القادر:

فَنَمْ يا أميرَ المُؤمنين فإنَّنَا بِرُوحِكَ لاستِقْلالِنا نتصَعَّدُ
يُقَدِّسُ فيكَ الشَّعْبُ أعظَمَ قائِدٍ هُمَامٍ لهُ الأجْيَالُ تَروي وتَشْهَدُ (22)

الأمير عبد القادر الجزائري قيمة لمجموعة من القيم، نفى قابلية المسلم للاستعمار وأكّد على قابليته للتطور، عندما قاد وصنع من شعبه المستعمر كيانا واحدا، وطور فكره فوقف وقفة رجل واحد للدفاع عن وطنه وعقيدته، وعلى أرض أخرى حمل لواء الحق والعلم وأسس بهما قانون التسامح والتعايش السلمي، ورفع صوت الإنسان الذي كرمه الله. فكان بذلك عناية كل باحث في التنقيب عن خفايا هذا الرجل الذي أنار عصره وبقي اسمه يتردد على ألسنة العام والخاص والعربي والأجنبي، ويتربع على صفحات الكتب، والدراسات، وتناولته الفضائيات بتحليل لفترة حياته الفكرية، والثقافية، والأدبية والعسكرية. ولأنه رمز من رموز الجزائر، والإنسانية جمعاء، وعبد القادر الجزائري رمز من رموز المسيرة الحضارية في القرن التاسع عشر كما أسلفنا الذكر؛ أنشأ منظومة القيم داخل الوطن، بقيادة تيار المقاومة الفكرية والسياسية تارة، وخارج الوطن بقيادة تيار الإنسانية وروح التسامح الديني، فأرّخ الباحثون خطواته في بناء الحضارة، وتهافت عليه المؤرخون والعلماء والمستشرقون لتدوين أفكاره وآرائه، فكان عبد القادر الجزائري أعجوبة عصره، انبثق عن مسيرته

عيون الفكر في تدارس سيرته، وآثاره الشعرية والنثرية، وكذا بعث المناقشات حول نسبة بعض مؤلفاته، وولوجه عالم التصوف، وكذا منهجه في فقه التعامل الإنساني.

ومن ذلك تفخر الجزائر بهذا الرجل الذي أرسى أسس المقاومة دفاعا عن هويته للتخلص من مخالب الاستعباد، والتملص من براثن الاستعمار، وبناء دولة مستقلة متقدمة على أساس ديني محض، ارتكاسا منها ضد الحضارة الغربية الآثمة الهاجمة عليها بكل قواها المادية، لكن هيهات هيهات فالأمير عبد القادر كان صورة للكفاح العنيد والقوي، ليأتي بعدة صورة الكفاح المسلح متمثلا في الثورة التحريرية التي وصل بها ثوارها إلى هدف الأمير الذي رسمه في الأفق وعقد العزم على تحقيقه.

<u>هوامش الدراسة:</u>

(1)- شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق 1979، ص72.

(2)- في الأدب الجزائري الحديث، محمد بن سمينة، ص17

(3)- ينظر شروط النهضة، مالك بن نبي ص 101

(4)- الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، ص13.

(5) - سورة القصص، الآية 77.

(6)- سورة الرعد، الآية 11.

(7)- سيرة الأمير عبد القادر القائد ربباني ومجاهد إسلامي، علي بن محمد الصلابي، ص113.

(8)- انظر المرجع نفسه،ص118.

(9)- الأمير عبد القادر وأدبه، عبد الرزاق بن السبع، موسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين،2000 ص39.

(10)- روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، إبراهيم مياسي، دار هومة، الجزائر، 2011،ص167.

(11)- الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون، محمد الأخضر حاسين، شبكة الألوكة ص68

(12)- النقد الأدبي الجزائري الحديث، عمار بن زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990،ص18

(13)- الأمير عبد القادر حقائق و وثائق،بديعة الحسني الجزائري،دار المعرفة، الجزائر 2008

(14)-أفكار ورجال في الفلسفة، إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، مصر،2011 ص244.

(15)- جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830- 1954، محفوظ قداش، منشورات ANEP ، الجزائر 2008ص78

(16)- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، محمد بن عبد القادر تحقيق ممدوح حقي، ج 1، دار ثالة، الجزائر 2007، ص258.

(17)- جزائر الجزائريين، ص81-82.

(18)- مذكرات الكولونيل سكوت ترجمة وتعليق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ص108

(19)- الأمير عبد القادر قراءة في فرادة الريادة والرمز ، سليمان عشراتي ص 140

(20)- روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، إبراهيم مياسي، دار هومه، الجزائر،2011،ص170

(21) -الأمير عبد القادر قراءة في فرادة الريادة والرمز، سليمان عشراتي، ص142.

(22)- اللهب المقدس، مفدي زكريا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص174 .

LITERARY STUDIES

مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية

46 تعاونية الرشد القبة القديمة- الجزائر

هاتف: 78 97 28 021 فاكس: 48 36 28 021

www.baseeracenter.com / Email:markaz_bassira@yahoo.fr

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة تلمسان

المُعتمَدُ في الاصطلاح

عـــرب عـلم

مجلة يصدرها مخبر

تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد : 13 - 14 السنة :مارس 2017
رقم الإيداع القانوني : 1542 - 2004
ISSN: 2507 - 7678

دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع
قطعة بودغن عين النجار تلمسان-الجزائر
هاتف/ فاكس:60-40-38-43 (0) 213 +
E-MAIL:KKOUNOUZ@YAHOO.FR
WWW.KKONOUZ.COM

المحتويات

تصدير	أ.د/ محمّد عبّاس	7
العدول عن مقتضى الظاهر من الحال - دراسة في المصطلح وتداعياته-	أ.د/ عبد الخالق رشيد	9
التناص وأثره في الانسجام النصي - دراسة تحليلية -	د/ بوعمامة نجادي	21
الصناعة الحجاجية والمناظرة في منهج الإمام القرطبي.	د/ سيد أحمد محمّد عبد الله	33
المصطلح التربوي في الفلسفة	أ.د/ دكار احمد	47
التداخل بين مصطلحي أصول الفقه و أصول الدين	أ/ صورية بوكلخة	53
الالتفات عند ضياء الدين بن الأثير (ت 677 هـ) قراءة في المفهوم والأغراض	عبد القـــادر لا نصاري	65
مفاهيم نقديّة في تحليل الخطاب الشّعري	أ.د/ محمد عباس	79
قراءة في الشعر الجزائري القديم، بكر بن حماد التاهرتي أنموذجاً	د/ فتحي محمد	91
تأصيل صناعة البديع بإتباع أثر الجاحظ	أ/ حطاب بن شهرة	107
صِـــلاتُ القَـــرابَـــة بين العربيّة واللّغات السّامية	أ/ سعـــاد بلعبـاس	129
دراسة دلالية لرسالة الضب للبشير الإبراهيمي	أ/ محمد ربحي	147
الجهود العلميّة لدى عبد القاهر الجرجاني	أ/ فتيحة عبّاس	157
المصطلح النقدي عند محمد مندور بين المورد العربي والثقافة الوافدة	أ/ فتوح محمود	177
مصطلح التناص بين العرب والغرب	أ/ شيباني رحمة	187

تطور مفهوم الحضارة بين الشرق والغرب»	أ/ عائشة خالدي	193
مفهوم الإعجاز في الدراسات البلاغية والنقدية	أ/ علي لخضاري	203
المفهوم الدلالي لمصطلح القيم الخلقية ودروها في بناء المجتمعات الإنسانية	أ/ بن الصالح طيب	211
المصطلحات الدينية والتعليمية بحاضرة توات	أ/ عبد الله حرمه	227
صورة المثالية في فضيلة المنفلوطي	أ/ رابح مليكة	245

صورة المثالية في فضيلة المنفلوطي

من إعداد الطالبة: رابح مليكة/ تحت إشراف:أ.د أحمد دكار

الملخص:

إنّ للأدب وظيفة فعالة في المجتمع، والأديب بدوره مسؤول عن التغيير الذي يسعى إليه لتحقيق الحياة الكريمة والسعيدة. فالمنفلوطي من خلال روايته يحاول ترشيد الجيل للقيم والفضيلة.

الكلمات المفتاحية: صورة، المثالية، الأدب، الفضيلة، القيم، الشخصيات، الأخلاق، المكان.

Abstract :

The effective functoin of literature in thecommunity and the writer responsible for the change you seek to achieve a decent and happy life; if El manfaluti throught his novel streamline the generation of values and virtue.

Key words: picture, Idealism, Literature, Virtue, Values, Place, Character, Etlics .

المثالية من الأمثل يعني الأفضل،قال عزوجل:»أَمثَلُهم طَريقَةٌ»أي أعدلهم وأشبههم بأهل الحق...(1) والمثيل الأفضل و المراد بالطريقة المثلى، الطريقة الحسنة، وجاء قول أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل أي ما يشابههم ثم الأشراف الذي يساويهم في الشرف والعلو وفي المكانة، والأمثل من بلغ درجة عالية في الخير....(2) وفيلسوف المثالية أفلاطون يرى أن للعالم ظاهرا وباطنا، والباطن هو عالم المعقولات، والنفس خالدة، ، ويقول «إن جميع المعقولات تستمد من الخير الأعلى وجودها وماهيتها، والخير الأعلى أساس العلم والحقيقة مع أن كل من المعرفة والحقيقة جمل جدا فمن الصواب أن صورة الخير الأعلى تمتاز عليها وتفوقها جمالا..»(3)

وارتبطت المثالية بالفضيلة التي يوصف بها السلوك الخيّر، وقد ذكر أفلاطون أربع فضائل هي العفة والشجاعة والحكمة والعدل؛ فالعفة الجانب الشهواني، والشجاعة الجانب العاطفي، والحكمة الجانب العقلي، والعدل يتحقق حين تتحقق الفضائل الثلاث....(4) والفضيلة الاستعداد الطبيعي أو المكتسب للقيام بالأفعال المطابقة للخير..(5)، وهي المبدأ الداخلي للأفعال التي يحقق بها الإنسان كماله الذاتي وسعادته وسعادة غير...(6).

شاعت المثالية عند فلاسفة اليونان، والتي أُريد بها الكمال ومكارم الأخلاق التي يجب على كل واحد أن يتحلى بها، مما تحقق من المكانة والمنزلة العالية. وقسّم أفلاطون المثالية إلى عالم المعقولات التي نتوصل بها إلى المعرفة والحقيقة في صورة الخير. كما ارتبطت المثالية بالفضيلة لأن كل واحدة تكمل الأخرى، فكلاهما يهدف إلى الخير الذي يحقق به الإنسان كماله ووجوده الصحيح على الأرض.

قد جعل الكاتب المثالية تتجسد في فن نثري عذب تمثل في أدب الرواية، التي هي إحدى سبل معالجة القضايا الاجتماعية في الأمم بعد ظهور تيار الإصلاح ، وأفكار الحرية والعدالة والأخلاق.

والأدب سواء كان شعرا أو نثرا آلة مصورة لحوادث الزمان والمكان؛ يقتحم حياة الشعوب، ويبيّن مظاهرها خلال الحقب والعصور، يقتفي عزيمته في الصمود والاستمرار، وبلوغ أهدافه، وتحقيق الحياة المطمئنة من جهة، ويعرض كل تقلبات الدهر على شعب عريق تاريخا وحضارة، ويعكس المراحل التاريخية والاجتماعية، والاقتصادية من جهة أخرى.

هذا الأدب ظل الوسيلة؛ التي لطالما نقلت لنا أفكار الأدباء، وآرائهم حول قضايا متعددة تخص بالدرجة الأولى الإنسان وعلاقاته.كما تتمثل في إبراز أصحابه لمضامين الأخلاق، والفضيلة والمثالية. ومن هؤلاء مصطفى لطفي المنفلوطي في أعماله الكاملة، ورواياته العديدة؛ التي حاول فيها ترشيد الفتى والفتاة المسلمين إلى الطريق القويم والتربية الحسنة في حياتهما. ولكي يتحقق ذلك المبتغى لابد من ربط هذا الكائن العاقل بالمكان؛ الذي يعيش به الإنسان ويحقق أهدافه. ونجد الكاتب دائم البحث عن هذه الشخصية الرمزية والمكان المناسب لها لتستكمل حياتها المرغوبة لديها، انطلاقا من بيئتها القروية، الخشنة إلا أنّها بسيطة وطاهرة. ومن الحديث عن مثالية المكان ما تطرق له المنفلوطي في رواية الفضيلة المترجمة عن رواية «بول وفرجيني» لكاتبها الفرنسي «برناردين دي سان بيير».

فالقصة نقلت عن الشيخ الذي قابله فيها الكاتب، والتي حدثت على أرض جزيرة»موريس» الواقعة في المحيط الهندي على مقربة من جزيرة «مدغشقر»، وعلى مدى غير بعيد من جزر «السيشل» هذه الجزيرة سكنتها عائلتان، واحدة من بريطانيا المتمثل في «مارغريت» التي وفدت إليها إثر نكبة حلتها بها وأنجبت طفلا سمته «بول»، فعاشت في الجزيرة عيشة القانتات، والصالحات. أما الثانية فكانت في الزوجين»هلين وميسيودي لاتور» الوافدان من فرنسا لطلب الرزق، لكن المرأة فقدت زوجها إثر حمى أودت بحياته خلال سفره لجلب عمال من مدغشقر.

انتقلت «هيلين » وخادمتها إلى الجهة التي كانت تعيش بها مارغريت، وعاشتا الأسرتان مع بعضهما في محبة وتعاون، ورزقت هيلين بطفلة سمتها «فرجيني»، توالت الأيام وكبر الطفلان معا على الفضيلة ، وفعل المعروف يحبان بعضهما ويمرحان ويتجادلان على اللعب، وبعد بلوغهما تحولت هذه الأخوة إلى حبّ هادئ لطيف لا شكوى منه.

استطرد الشيخ في الحديث عن هاتين الأسرتين، وعن حياتهما المملوءة بالفضيلة والخير ومساعدة الضعيف، ولعل أحسن مثال على ذلك حماية الزنجية التي فرت من سيدها طلبا للطعام والرحمة، فأجابتها، وأكرمتها، وقد رافقا الزنجية بول وفرجيني إلى سيدها يلتمسان منه العفو لها والمعاملة الحسنة، وعند عودتهما أضاعا الطريق وكادا أن يهلكا، لولا خادمهما «دومنيج».

وبعد تطور العلاقة بين بول وفرجيني، اقترحت مارغريت تزويجهما، إلا أنّ هيلين خافت على ابنتها من الحياة في الجزيرة من بعدها، فأرسلت رسالة إلى عمّتها بفرنسا تطلب منها العفو والسماح لها ولابنتها بالقدوم إليها والعيش معها. لكن العمّة لم ترد عليها وأتبعتها هيلين برسالة أخرى تتضرع إليها، فردت العمة برسالة سخط وتأنيب تطلب منها عدم مراسلتها. وفي يوم من الأيام جاءتها رسالة من عمّتها، تطلب قدوم ابنتها وحدها؛ لأنه ليس من المعقول ترك هذه النبتة الندية في هذه التربة القاحلة، وأنّها سوف تكتب كل أملاكها لها، إذا رعتها في أيامها الأخيرة. وكللت هذه الرسالة بمجيء كاهن الجزيرة لاصطحاب فرجيني، وإعطاء أمها بعض النقود للعيش في هذه المرحلة. فكان وقع الخبر على أمها ومارغريت كالصاعقة، فالأولى حزنت على فراق ابنتها، والثانية حزنت على معاناة بول الذي سوف يتألم من فراق فرجيني.

سافرت فرجيني بالقوة التي فرضها عليها الكاهن والحاكم العام للجزيرة، واستلت من الجزيرة تاركة ألم بول وحزنه من فراقها، ورحلت دون وداعه، فعاش أياما سوداء عان فيها الأمرين. بعد مرور ثلاث سنوات تعلم فيها بول القراءة والكتابة، وطالع كتب التاريخ والأدب والفلاحة، وأخبار فرجيني منقطعة إلى أن ظهر بصيص الأمل تمثل في رسالة استطاعت أن تفلت من مخالب العمة التي مزقت رسائلها التي كانت تبعثها لأمها وبول، تخبرهم بما حصل لها مع عمّتها عندما رفضت الزواج من واحد من أشراف المجتمع الفرنسي المزعوم، وأنها عائدة في الباخرة القادمة.

وصلت الباخرة إلى المياه الإقليمية لهذه الجزيرة، إلا أنها لم تستطع الاقتراب بسبب العاصفة الهوجاء؛ التي اعترضتا فجنحت السفينة إلى منطقة صخرية بعد أن تمزقت أشرعتها، فتحطمت قرب الشاطئ على مرمى من أبناء الجزيرة، وكان بول من المتحمسين للقاء هذه السفينة لأنها

تحمل رفيقة الحياة فرجيني.

حاول المستحيل للوصول إليها دون جدوى؛ بسبب قوة التيار في العاصفة وعلو الأمواج، كما تكررت محاولات البحارة لإنقاذها إلا أنها باءت بالفشل، وحتى البحار الذي طلب منها خلع ثيابها لأنها ثقيلة وتمكنها من السباحة إلا أنها رفضت تعرية جسمها، فاختارت الموت باستحياء؛ إذ ضربت السفينة موجة عالية سحبتها إلى الأعماق، وفي لمح البصر كان كل شيء قد انقضى.

بعد المشهد المريع لفتاة قدمت نفسها قربانا للحياء والفضيلة هدأت العاصفة، وقدم البحر عروسه لتوارى في الأرض الذي قاسمتها الحب والعفاف. انتشلت جثة فرجيني ودفنت بمقبرة في الجانب الغربي لكنيسة بامبلوس تحت شجرة خيزران. تخيلوا حالة بول الذي أصابه ما يشبه الجنون يجوب الأماكن التي تذكره بها حتى وصل إلى قبرها، وبعد أسبوع لحق بها مودعا حياته، وبعد أقل من شهر توفيت كل من هيلين ومارغريت وخادمهما وحتى الحيوانات التي كانت ترافقهم، وخلى المنزل من سكانه إلى الأبد وكأن شيئا لم يكن.

شهد هذا المكان العذري، المترامي الأطراف مجموعة من الثنائيات؛ فقد جمع بين الألفة والوحشية، المحبة والكراهية، السعادة والتعاسة، الفرح والحزن، الحياة والموت، الكمال والدونية.

عاشت الأسرتان حياة التقى، والفضيلة في علاقتهما مع بعضهما؛ إذ كانت حياتهما مملوءة بالتعاون والتضامن، وبذلك نلمح صورة الفطرة الإنسانية النقية والشفافة في ارتباط الإنسان بالطبيعة» تتدفق القيم الخالصة، والمفاهيم النقية التي تعكس رموز الفضيلة، فنحن أمام مبتغى مثالي يتجلى في كرامة الإنسان، وحريته...»(7)

هؤلاء الأشخاص تعاملوا مع الطبيعة بكل حبّ ورقة، استسلمت لهم، وكأنها كائن يحس بروحهم الصافية، ووثقت فيهم، وقدمت ما تملكه وجعلته تحت إمرة «بول» الذي بدوره أحبها وحرك عناصر السعادة فيها، فحولها إلى جنّة فيحاء من جنان الأرض» كان لا يعمل قبل أن يفكر، ولا يفكر إلا تفكيرا صحيحا مستقيما، وقد وهبه الله قريحة وقادة، وذهنا خصبا، وذوقا سليما، ومخيلة قادرة على جميع شوارد الأشياء، والتأليف بين متنافرها، فرسم في ذهنه صورا بديعة لذلك الوادي الجميل، كما فعل المهندس الماهر...»(8)

إنّ «بول»قد حباه الله بموهبة فطرية جعلت تصميمه للزراعات المناسبة لهذا المكان، وخصص كل جانب بنوع من الشجر، والزهر، فكان جنة تحقق فيها التوازن، والتناسق اللوني والجمال في الأشكال الهندسية، فتجسد المثال الذي يصعب وجوده في هذه الأماكن الوحشية. والإنسان

العاقل يتساءل كيف استطاع هذا الشخص تلوين المكان بلون الحياة وتعايش معه؟ واستسلم له، وطوعه؟

لعل الجواب على ذلك يمكن إدراجه في قدرة الله جلى ثناؤه، الذي أراد أن تكون تلك البقعة مثالا يقتدي به الأجيال اللاحقة؛ إذ تتجلى فطرتهم في تحركاتهم ونشاطاتهم اليومية، وعلاقاتهم مع سكان الجزيرة، وإبراز الطبيعة الخيرة للإنسان في اتصاله بمكان أوجدته الطبيعة نتيجة التراكمات المناخية، ورسمته التحولات الجغرافية كما يقول يوري لتمان:»إنه نتاج لانشغال تراكمي...»(9).

يصور الكاتب لنا في هذا التراكم قيم المثالية، التي تجسدت في هذا المكان؛ إذ تصوره الفلاسفة مدينة المثل العليا من خلال الجمهورية الكاملة بمبادئها السامية عبر العلاقة بين الطبيعة المعطاءة والإنسان الحنون. فالوصف الدقيق لهذه البقعة جعلها روضة من رياض الجنة التي نتمنى الحصول عليها بأشجارها المتعانقة توحي بالدفء والالتحام والانسجام والتكافل بين عناصرها، فالطيور تعبر بأصواتها عن فرحتها وحبها لكل الكائنات الحية، وتلك النسمات التي تعطر الجو، وتبعث برائحتها الفواحة على امتداد غابات الجزيرة. في كنفها يعيش هؤلاء في سعادة، وقد أطلق عليه اسم «الوادي السعيد»

تفرد الوادي بالحياة الساحرة، انطلاقا من النور الذي أفرزته مكونات الطبيعة الجميلة، والذي تسلل حتى إلى نفوس ساكنيها، وظهرت في معاملاتهم وعيشهم في الجزيرة.

ركز الكاتب على الصورة البديعية وأنتج دلالة معرفية من مناظر الجبال الخلابة ورأى أنها توحي بإعادة الأخلاق التي ولت، وذهبت ريحها من المجتمعات الإنسانية. كما أن هؤلاء الناس الذين عاشوا في هذه الأرض حاولوا ترسيخ القيم بأسماء زاوجوها بأمكنة «كصخرة الصداقة»؛ التي تدل على الحب والتعاون والتضامن بين الجنس البشري، وعمدوا إلى التأثير بأرواحهم النقية حتى في الكائنات الحية؛ فقد ألقوا بأشعة أرواحهم النورانية السامية عليها، فدبت فيها الحياة الجديدة مثل « ميدان الاتفاق» على بساط العشب الأخضر مستور بسياج من شجيرات البرتقال، واسم « الدموع الممسوحة» على شجرة عتيقة جلست « هلين» في أول عهدها مع «مارغريت» عندما أسرت إليها بأحزانها، وآلامها.

لاشك أن هذه الشجرة جعلت كل من السيدتين تتعانق، وتتقاسم الوجع، والألم مع الأخرى ومن ذلك التأم الجرح وعمّت النفس الراحة والهدوء. كما شكلت جذور الشجر والصخور فضاء لأناملهم في التعبير عن حنينهم لأوطانهم، وتدوين العبر والحكم لتكون وصية للأجيال القادمة

على سبيل المثال»عبارة هوراس على شجرة العلم القائلة:» وقاك الله شرّ العاصفة ولا عبثت بك أيدي النسائم...»(10)

يتدبر الإنسان في خلق السموات والأرض، وشساعة الكون وامتداده، ونجد «بول» يجلس تحت شجرة يشاهد البحر الهائج يتعجب ويعظم تسبيحه» ما أعظم سعادتك لأنك لا تعرف إلها غير إله النبات»(11) وعلى باب كوخ هيلين وهو مجتمع الأسرة ومنتداها كلمة» وهنا ضمير صالح ونفس لا تعرف الخداع»(12) وغير ذلك من الأمثلة الأخرى التي جعلت هذه الطبيعة وكأنها مدرسة مليئة بالدروس و العبر والحكم التي توجهك إلى العلوّ في سلم القيم في حياة هؤلاء، ينشدون الطهر والعلم. لقد حوّل الكاتب الطبيعة إلى شخصية تعبر عن نفسها وكأنها داعية إلى الخير والحق والأصالة.

لقد نجح الكاتب في إعطاء صورة مثالية للمكان الموصوف، حتى يخيل لنا أنّه قد ولدت الفضيلة فيه انعكاسا للشخصيات التي عاشت فيه، وتلون بأشعة أرواحهم النورانية وأسدت إليه مشاهد الحسن والجمال، فهناك علاقة قد نشأت بين هذه الشخصيات والمكان؛ أولا يظهر ذلك جليا من خلال روعة الخالق الذي جعل المنظر وكأنه يؤكد أسطورة» بول وفرجيني»، لأنهما طمحا إلى تحقيق حالات الرضا والطمأنينة التامة في أبعادهما الإنسانية كما جسدهما في مشهد فتّان لا أجمل ولا أعلق بالقلوب، ولا أشهى على النفوس؛ نجد النظام الدقيق الذي كان قائما على قيم فردية وجمعية وتتغير هذه القيم من شخصية وأخرى، وتتكرر هذه القيم في ما توضحه النصوص من عزلة المكان وفطريته، والحرية بين الشخصيات، والطهر الذي اتصفت به ...فكان مظهرا من مظاهر الجمالية.

«الجمال عملية إدراك واع «...(13) تمثل ذلك في تعامل الناس مع الطبيعة على الأساس النفعي، والتعليمي، والأخلاقي، والاجتماعي؛ إذ ظهر الجانب النفعي من خلال ما قدمته هذه البقعة للعائلتين (مأوى، الدفء اللذان حرمت منهما في أوطانها، العيش الذي ساعدهما على الاستمرار، الحرية، خلاص بالرغم من صعوبة)، أما التعليمي في كون هذه الجزيرة علمت أفرادها الصبر والحكمة وهي بقعة بعيدة عن المجتمع المتمدن، وفيها الأساس الأخلاقي في حياة النقاء والطهر التي عاشتها أفراد الأسرتين، وفيما يخص الجانب الاجتماعي ما حققته الأسرتان من تعاون وتضامن أوقات الشدة والفرج، واهتمامهما ببعضهما، وأناس آخرين من الجزيرة.

« حمل الباحثين على تسمية الشخصيات من حيث هي فاعلة وموضوع الفعل وكذلك الأفعال

من حيث هي تحفز سكوني وتحفز نشط بالعوامل»...(14)

العوامل دلالة على النجاح، والمحافظة على المبادئ...نشرح ذلك من القصة المليئة بالنجاح والاستمرار والمواجهة والعزم والإرادة؛ فمنذ وصول هذه الشخصيات إلى الجزيرة وهي تعتمد على نفسها في توفير لقمة العيش وضمان الراحة في بساطة، فجعلت لنفسها مكانة بين السكان الذين تواجدوا في القرية. كما عرفوا بنبل أخلاقهم تجاههم، زيادة على ما حققوه سواء في أعمالهم أو معاملاتهم.

حاول الأديب إظهار جمالية الشخصية في حدثها الواقعي ليس من نسج الخيال؛ باعتبار وجود هذا المكان محدد جغرافيا، ومع وحشيته وغموضه، وامتداده. من الواقعية يتحول المكان إلى أسطورة من تزاوج غرابة العناصر المكونة لها؛ من الشخصيات وعدم انتمائها إلى هذه البقعة والمكان الذي يمثل الوطن و الملجئ ، الذي اتصف بصعوبة كبيرة من حيث نمط العيش، وانتشار الظلم والمزاعم الكاذبة لدى بعض خدام الكنيسة، وكذا وجود سمات الاستعباد؛ ويظهر ذلك من سيطرة الرجل الأبيض على الممتلكات حتى استحواذه لمصير الأشخاص ويبرز في حياة الزنجية الهاربة؛ والتي فرّت من قسوة ووحشية سيّدها.

هذا المكان بكل تراكماته نزعت منه الأُنسة، والراحة بأخلاقيات الشخصيات، وتفاعلاتها الطيبة والخيرة مع بعضها البعض ومع الناس، ثم أظهرت وجوده من اللا وجود الوجود، فلولا أسطورة «بول وفرجيني» لما ظهر هذا المكان. فقد ارتبطت الشخصيات بالمكان ارتباطا وثيقا وصنعت المعجزة. واكتسب المكان الطابع العلمي بتعدد وظائفه ومعانيه بالنسبة لساكنيه « التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك..تتأسس على اهتمام فردي، ثم تنفتح لعديد من العلاقات الأخرى.»(15). « وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الإفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية، والسياسي، والأخلاقية...»(16)

يكتسي المكان قيمة تثقيفية من خلال التجربة التي عاشتها الشخصيات في جزيرة بعيدة عن الأنظار فهي نقلتنا إلى عالم بعيد عن المجتمعات الراقية، يتعارك فيه الخير والشر بين مختلف الطبقات الاجتماعية، المحبة والكراهية بين السيد والعبد، الحرية والعدالة بين الحكام والرعية وبين أبناء البلاد والوافدين إليها من مختلف الجنسيات إلا أنها قيست بمقياس معاملتها الفطرية التي فطر عليها الإنسان.

ظهرت الجمالية في نفوس هذه الشخصيات التي لجأت إلى هذه الجزيرة من مختلف أطراف العالم؛ إذ عاشت في جهة منها باستقامة وورع، وحب الناس ومساعدتهم.

يعقد الروائي موازنة بين الحياة في المجتمع البريطاني وبيّن آفاته التي تفشت فيه، وظاهر البيئة التعيسة الجامدة من الإحساس، والأخوة والتعاون، فأفراده تعساء تنعدم الإنسانية فيهم. ثم توجه إلى مجتمع فرجيني التي هجرت هذا المجتمع تاركة كل زخمه وفخامته المشبوهة، راجعة إلى مكان ولاتها البسيط لكنه يعبر عن رموز التفاني في التواضع والفخامة الفطرية، وإلى أحبائها الذين غمروها بحبهم ورعايتهم دون هدف أو مصلحة.

يتحدث المنفلوطي عن الحياة الفطرية التي ولد عليها الإنسان قبل تعرضه للظروف والمصاعب وتأثيرها السلبي، وانسلاخ الفرد بسببها عن كل ما يعبر عن إنسانيته. لذا عمق في المثالية لهدف الرجوع إلى الأصالة.

بالإضافة إلى الهدف الأساسي لهذا الفن، نجد اللغة الجميلة في بساطة الألفاظ، والأسلوب الممتع المشوق، وورود المفاجآت الواحدة تلوى الأخرى في المواقف الإنسانية، وتلك الرنين للكلمات التي وظفها في نصه من خلال عبارات مشهورة:

«الوادي السعيد» الذي نسمع فيه رنين الفرح والسرور والضحكات ،»صخرة الصداقة» نلمس منها موسيقى المحبة والأمان، والطمأنينة، « الدموع الممسوحة» نستسقي منها رنين التكافل والتضامن والتعاون، «ميدان الاتفاق» أين ينطلق صوت الجموع المتحدة والمتضامنة في الخير والشر.

جعل المنفلوطي مثاليته في عمق الفضيلة، وهو شيء مهم للكائن البشري، قصد نشر القيم الجوهرية التي بدأت تندثر في عالم المدينة؛ كالحياء والصدق والإخاء والإيثار والقناعة. ولعل ما يفاجئ القارئ يظهر في خاتمة القصة التي بدأت بموت فرجيني المأساوي وقد وصل إلى حدّ المبالغة، وما ترتب عنه من أحداث موت كل الشخصيات وعودة المكان إلى حالة السكون المثالي.

مصادر الدراسة:

1: لسان العرب ابن منظور، المجلد الرابع عشر،ص19.

2:المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مجموعة من اللغويين،دار المشرق، بيروت، ط2 سنة 2001، ص1318

3: الكافي في الفلسفة، عدنان رزيقة، دار الريحان للكتاب، الجزائر،ط3، 2003،ص258.

4:المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص1099.

5: الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من اللغويين، دار النهضة ابنان المجلد الثاني 1986،ص1303.

6:المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء الثاني، دار الكتاب العالمي،ج2، لبنان 1994،ص339.

7: ينظر علامات الإبداع الجزائري، عبد الحميد هيمة، رابطة أهل العلم، الجزائر،ط2، 2006، ص(109-110).

8: الفضيلة، مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الجيل،لبنان،2003،ص58.

9: علامات في الإبداع الجزائري،عبد الحميد هيمة،ص111.

10: الفضيلة، المنفلوطي،ص64.

11: المصدر نفسه،ص65.

12: المصدر نفسه، الصفحة نفسها

13: جمالية الصحراء في الرواية العربية، وليد بن حمد الذهلي، دار جرير،ط1،الأردن، 2013، ص13.

14:المرجع نفسه، ص22.

15:فلسفة المكان في الشعرالعربي،ديوان المطبوعات الجامعية، الزائر، 2011،ص5

16: المرجع نفسه، ص10.

république algérienne démocratique et populaire
Université de Tlemcen

EL-MOATAMED
en Terminologie

Arabo ilm

Revue du Laboratoire
L'Arabisation du terme en sciences Humaines et sociales
N° : 13-14 / Année: Mars 2017
ISBN: 1542 - 2004
ISSN: 2507 - 7678

دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع
قطعة بودغن عين النجار تلمسان-الجزائر
هاتف/ فاكس:60-40-38-43 (0) 213 +
E-MAIL:KKOUNOUZ@YAHOO.FR
WWW.KKONOUZ.COM